

# في بناء المقامات الرئسية

المشروعية - الأهداف - الضوابط

الشيخ حسين أحمد الخشن

إصدار المركز الإسلامي الثقافي

مجمع الإمامين الحسينين عليهما السلام



## المقدمة

### لماذا هذا البحث؟

إنّ هذا البحث - كما يشي عنوانه - مخصّص للحديث عن كيفية بناء المقامات والمراقد الدينيّة، وشروط ذلك وضوابطه.

ورُبّ سائل يسأل: لماذا هذا البحث؟ وما الحاجة إلى إثارة الموضوع؟ ألا ينبغي أن نصرف جهدنا في أمورٍ أخرى قد تكون أجدى وأولى؟

وفي الإجابة على ذلك نقول: إنّه وأمام سيلٍ من التشكيكات والأسئلة البريئة أو غير البريئة التي تُثار حول بناء المقامات وزيارتها، لا بدّ لكلّ حريص على استمرار هذه السُنّة الطيّبة، وهي زيارة المشاهد المشرفة والمراقد المطهّرة لأنبياء الله وحججه عليهم السلام على عباده أن يندفع إلى تأصيل عملية البناء على أسس شرعيّة متينة، وذلك لعلمنا بأنّ هذه القضايا لا تُعالج على أساس الرغبات والعواطف، بل لا بدّ - وفي ظلّ انقسام إسلاميّ حول مشروعيّة البناء على المراقد، ما دفع البعض إلى حدّ الاعتقاد بضرورة هدم هذه المقامات، لأنّها برأيه تمثّل نوعاً من الأوثان والأصنام - أن تتمّ مواجهة هذه التشكيكات بالحجج والبراهين التي تثبت مشروعية البناء والزيارة معاً.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ مشروعيّة البناء على القبور حتّى لو

تم إثباتها بالدليل فهي مشروعية من حيث المبدأ، ولا تلغي وجود الكثير من التحفظات في التفاصيل، إن لجهة شروط البناء ومبرراته، أو لجهة الزيارة وما قد يكتنفها من ممارسات خاطئة وغير مشروعة، ولهذا فإن بلوغ الهدف المنشود من زيارة المقامات بما يجعلها زيارة مثمرة ومَرْضِيَّة لله سبحانه وتعالى، لا يتحقق بمجرد الأمانى، بل لا بد من السعي الدؤوب لتوفير أمرين:

الأول: العمل على إبقاء الزيارة نفسها وما يكتنفها من ممارسات وتصرفات في خطّ الشرعية الإسلامية، بعيداً عن كل ما يشين، أو يُسيء لمبدأ الزيارة، أو لصورة الجماعة المؤمنة. وهو أمر قد تطرّقنا إليه في محل آخر<sup>(١)</sup>.

الثاني: العمل على وضع الضوابط لمسألة بناء المقامات، وتحديد الموارد التي يُشرع فيها بناء المقام، حتى لا يتمّ الاندفاع إلى بناء مقامات في غير محلّها المناسب، لأنّ لذلك محاذير شرعية عديدة، كما سنلاحظ في سياق هذا البحث، حيث إنّ ذلك سيشكل ذريعة لمعارضتي مبدأ الزيارة من أصله.

وإذا كان علماء المسلمين وفقهاؤهم قد كفونا مؤنة الاستدلال على مشروعية الزيارة، وكذا البناء فوق مراقد الأنبياء والأولياء - حيث حظي هذا الأمر باهتمامهم الواسع، وألّفت فيه الكتب المتعدّدة منذ أن اندفع بعض ضيّقي الأفق من المسلمين إلى هدم مراقد أئمة أهل البيت عليهم السلام في بقيع الغرقدي في «المدينة المنورة»، ثمّ لم يكتفوا بذلك، بل همّوا بهدم القبّة الشريفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ توجهوا إلى العراق لهدم مقامات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام الموجودة هناك - فإنّ الأمر الذي نقدر أنّه لم يحظّ بالاهتمام الكافي، هو مسألة بيان ضوابط البناء وشروطه وموارد شرعيته، ولذا كان هذا البحث الذي نقدر أنّه يملأ هذا الفراغ، ويمثّل مدخلاً ضرورياً يقدّم إجابات واضحة وصريحة على الأسئلة التالية:

(١) أنظر للمؤلف: عاشوراء، قراءة في المفاهيم وأساليب الإحياء، ص ١٣٦.

كيف تُبنى المقامات الدينيّة؟ وعلى أيّ أساس تُشاد الأضرحة والمراقد؟ ما هي ضوابط ذلك وشروطه؟ ومن هي الشخصيات التي تستحق أن تُبنى المقامات فوق قبورها، وتحول إلى مزارات يؤمّها المؤمنون ويقصدها المتعبّدون؟ والكتاب مؤلّف من فصلين:

**الفصل الأول:** هو تحت عنوان «بناء المقامات: المشروعية والأهداف والضوابط». وقد ضمّ هذا الفصل العناوين التالية:

- ١ - بناء المقامات: المشروعية والأهداف.
- ٢ - أهمية البحث ومحلّه وأدواته.
- ٣ - ظاهرة تزايد عدد المقامات: ظروفها وأسبابها.
- ٤ - كيف نشأت صدقيّة المراقد؟
- ٥ - بناء المقام: شروط وضوابط.
- ٦ - المحاذير الشرعية لبناء المقامات دون أساس صحيح.
- ٧ - مبررات دفاعية.

**الفصل الثاني:** وهو تحت عنوان «مقامات لم يثبت اعتبارها»، وقد سلّطنا فيه الضوء على بعض النماذج من المقامات أو الأضرحة التي نقدر أنّها لم تتوفّر على شروط بناء المقام الدينيّ أو شروط نسبة الضريح إلى شخصيّة بعينها، وهي أربعة مقامات:

- ١ - مقام السيدة «خولة» في «بعلبك» بלבنا.
- ٢ - مقام أبي لؤلؤة في «كاشان» بإيران.
- ٣ - مقام الخواجه «ربيع بن خثيم» في «مشهد» بخراسان.

٤ - قبر «مالك الأشر» في «بعلبك».

وقد ألحقنا في ختام الكتاب بعض المطالب بعنوان «ملاحق» تناولنا فيها بعض القضايا المهمة التي تتصل بموضوع البحث، وهي خمسة:

الملحق الأول، نقلنا فيه دراسة لبعض الباحثين الإيرانيين حول مقامات أبناء الأئمة المعصومين عليهم السلام في إيران.

الملحق الثاني، وهو دراسة مختصرة حول مقامات أولاد الأئمة عليهم السلام غير الموثقين.

الملحق الثالث، نقلنا فيه مشاهدات عالم حجازي في بلاد «بعلبك» وجبل عامل.

الملحق الرابع، ونقلنا فيه نصاً للشيخ عباس القمي حول حصول الدس والتزوير في كتب الزيارات وغيرها.

الملحق الخامس، وتعرض فيه لما ذكره بعض العلماء من نفي وجود بنتٍ لأمير المؤمنين عليه السلام باسم سكينه.

وإني إذ أتناول بعض «المقامات الدينية» بالبحث والتنقيب وأضعها تحت سؤال الشرعية فلا أبغي من وراء ذلك المسّ بمشاعر أحد ممن يرتاد هذه المقامات بهدف الزيارة، وإنما أطرح وجهة نظري بأسلوب علمي، وكلّي أمل أن أرى ردوداً علمية على ما أطرحه، ما يثري البحث ويصوّب الرأي ويخدم الحقّ والحقيقة، بعيداً عن أسلوب الإنشائيات العاطفية التي لا أعتقد أنها تُثبت حقاً أو تُزهق باطلاً، فالحقائق لا تُبنى على أساس العواطف والمشاعر حتى لو كانت نبيلة وصادقة.

ولا أخالني في ختام هذه المقدمة بحاجةٍ إلى التأكيد - مجدداً - على أنّ الباعث

الوحيد على تأليف هذا الكتاب هو الإحساس بالمسؤولية الشرعية والحرص على صفاء الإسلام وأصالته في خطّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام، هذه المدرسة التي أشعر بالفخر والاعتزاز بالانتماء إليها.

وإني أعدّ القراء الكرام أن يبقى الحقُّ هو رائدنا، ومنطقُ: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] هو منهجنا، والدفْعُ بالتي هي أحسن هو أسلوبنا وخيارنا.

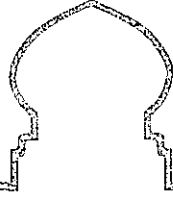
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل...

حسين أحمد الخشن

١٥ رجب ١٤٣٣ هـ







## بناء المقامات: المشروعية والأهداف والضوابط

- بناء المقامات، المشروعية، والأهداف.
- أهمية البحث ومحلّه وأدواته.
- ظاهرة تزايد عدد المقامات: ظروفها وأسبابها.
- كيف نثبت صدقيّة المراقدا؟
- بناء المقام: شروط وضوابط.
- المحاذير الشرعية لبناء المقامات دون أساس صحيح.
- مبررات دفاعية.







## بناء المقامات: المشروعية والأهداف

لا أخال أن تكريم الأمم لعباقرتها وعظمائها، والتنويه بأسمائهم، وإحياء ذكرياتهم، والعناية بتراتهم، وتشيد الصروح باسمهم هو أمر مذموم في منطق العقل، أو مستنكر في «شريعة» العقلاء من بني الإنسان، فإن الأمة عندما تعني بتاريخها ورموزها، فهذا دليل ومؤشر على أصالتها وسلامة انتمائها. وتاريخ الأمم هو جزء من هويتها، ومكوّن رئيس لشخصيتها، وعندما تكرم الأمة عظماءها فإن ذلك يعبر عن وفائها لهم وتقديرها لجهودهم.

والحقيقة أن تكريم العظماء والمبدعين يمثل تكريماً للفكر وتشجيعاً على الإبداع، بالإضافة إلى أن ذلك يعبر عن حرص الأمة على الارتباط بهؤلاء الرموز باعتبارهم منارات هادية، وأعلاماً منيرة، ومقامات شامخة، تستلهم الأجيال عطاءاتهم ومواقفهم.

في هذا الإطار نضع الهدف من بناء المقامات الدينية كظاهرة منتشرة ليس في بلاد المسلمين فحسب، بل في بلاد الشرق بأجمعها وعلى اختلاف أديانها، ولم نجد في الشريعة الإسلامية - وخلافاً لبعض الآراء الراضية لفكرة المقامات الدينية من أصلها - رادعاً عن «سنة» العقلاء المشار إليها، بحيث يمنع أو يحظر تشييد المقامات الدينية على أضرحة وقبور الأنبياء عليهم السلام أو الأولياء، ما دام أن الهدف من البناء هو ما ذكرناه، وما دامت الممارسات التي تؤدى في المقامات

تتحرك في خط عبادة الله وَحْدَهُ، بعيداً عن كل أشكال الشرك والوثنية والصنمية والمغالاة.

ونلاحظ في هذا المجال أنّ ظاهرة بناء المقامات على أضرحة الأنبياء أو الأولياء هي ظاهرة إسلامية، وليست شيعية فحسب، فقد عُرف عن جميع المسلمين اهتمامهم بتكريم الأنبياء والأولياء والاحتفال بذكرى ولاداتهم أو وفياتهم وبناء المقامات فوق قبورهم، وانتشرت هذه الظاهرة في البلدان الإسلامية كافة على اختلاف مذاهبها، ولا أظنّ أنّ اندفاع المسلمين السُّنة في مصر - مثلاً - على العناية بالمقام المنسوب إلى السيدة زينب عليها السلام أو رأس الحسين عليه السلام في القاهرة وحرصهم على زيارته، هو أقلّ من اندفاع المسلمين الشيعة في إيران أو العراق على الاعتناء بمقامات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام المنتشرة في هذين البلدين وحرصهم على زيارتها.

وربّما انطلق بناء المقامات في الأساس من اعتبارات تنظيمية، باعتبار أنّ وجودها وفّر للزائر ولا سيّما إذا كان بعيد الشُّقة أمرين أساسيين:

الأول: وفّر علامةً يُستدلّ بها على قبر الشخصية التي يقصدها للزيارة، وبالأخص إذا كانت هذه الشخصية قد دُفنت في فلاةٍ من الأرض بعيداً عن الأماكن المأهولة، كما هو الحال في قبر الإمام علي عليه السلام أو ولده الإمام الحسين عليه السلام أو قبر غيرهما من الرموز الدينية.

الثاني: ووفّر مكاناً يُستظلّ به من الحرّ والبرد أثناء الزيارة، بالإضافة إلى حاجته الماسّة إلى وجود مرافق خاصة للوضوء والغسل وقضاء الحاجات الخاصة للزائر.

وشيئاً فشيئاً - وكما هي طبيعة الأشياء - أخذ بناء هذه المقامات بالتوسّع والتنظيم، ولا سيّما مع كثرة الزائرين وما تفرضه من تهيئة الباحات الكبيرة

الملائمة لهم حتى لا يحصل التدافع بينهم، كما هو الحال في التوسعات المتعددة في المسجد الحرام، أو المسجد النبوي في حُقبٍ زمنية مختلفة، حيث وعى المسلمون ضرورة توسعة هذين المسجدين منذ بداية القرن الهجري الأول، وإلى يومنا هذا.

ولا ننكر أن بعض الاتجاهات الإسلامية المتحجرة قد وقفت - في العصور المتأخرة - موقفاً سلبياً من بناء المقامات ودعت إلى هدمها، وسعت جهدها في هذا السبيل، ولكن هذا الرأي المستجد، وعلى الرغم من أنه استطاع في العقود المتأخرة أن يتمدد ويتشرب في أوساط المسلمين بشكل لافت، فإنه وبسبب افتقاره إلى الحجّة المقنعة لا يزال يلقي صدوداً ورفضاً إسلامياً، شعبياً وعلمائياً، من مختلف المذاهب الإسلامية؛ ومن المؤسف أن أصحاب هذا الرأي لم يعملوا على إقناع الآخرين برأيهم على أساس الدليل والبرهان، بقدر ما استخدموا لغة التكفير والتبديع في وجه كل من خالفهم الرأي، وعملوا على فرض قناعاتهم على الآخرين، وتلك هي إحدى مآسينا الكبرى حيث يريد البعض تحكيم اجتهاداته وقناعاته وفرضها بالقوة على المسلمين الآخرين، والذين لديهم اجتهاداتهم الإسلامية التي تبرّر لهم هذه الممارسات!

ولسنا هنا بصدد مناقشة الأدلة التي يسوقها هؤلاء، أو تنفيذ مزاعمهم وشبهاتهم، فقد امتلأت المكتبة الإسلامية بالكتابات المتكفلة لذلك، وكتب العلماء والفقهاء من شتى المذاهب الإسلامية حول شرعية بناء المقامات وزيارتها<sup>(١)</sup>، بما لا مزيد

(١) أنظر: «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» للشيخ تقي الدين السبكي (٦٨٣ - ٧٥٦هـ) ص ٢٥٧، و«الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر: نصوص الغرب الإسلامي نموذجاً»، تأليف: حمادي الزديسي، وأسماء نوييرة، دار الطليعة، بيروت، فقد تضمن هذا الكتاب ردود جمع من العلماء المغاربة، لاحظ في الكتاب المذكور على سبيل المثال: رد الشيخ عمر بن قاسم المحجوب ص ١٥٧ - ص ١٦٦ في شأن بناء المقامات، ولاحظ الرد المتين والمحكم لقاضي المالكية في الديار التونسية العلامة إسماعيل التميمي الشريف ص ١٩٣، ولاحظ من ردود الشيعة كتاب: «كشف الارتباب في أتباع محمد بن عبد الوهاب» للسيد محسن الأمين العاملي ص ٢٨٦ وما بعدها، وكتاب «الأجوبة النجفية في الرد على الفتاوى الوهابية» للشيخ هادي كاشف الغطاء ص ٣٥ - ٤٢.

عليه، واعتبروا ذلك من مصاديق تعظيم الشعائر التي أمر الله تعالى بها في كتابه، بقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ويكفيك شاهداً على أن بناء المقامات وزيارتها ليست عقيدة اختص بها الشيعة دون غيرهم من الفرق الإسلامية، مراجعة السيرة العملية التي انتهجها المسلمون في غالب البلدان الإسلامية، حيث ستكتشف وجود المشاهد والمقامات في هذه البلدان منذ أمد بعيد، وما قبرا أبي حنيفة النعمان والشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد، وقبرا الإمام الشافعي والسيدة نفيسة في القاهرة سوى نماذج ماثلة للعيان وشواهد حية على صدق ما نقوله. وإن من يراجع كتب الرحالة المسلمين، أمثال ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ) وابن جبير (ت ٦١٤هـ) وعبد الغني النابلسي (١١٤٣هـ) وغيرهم سيكتشف - أيضاً - أن ظاهرة بناء المقامات والمزارات فوق أرضحة الأنبياء عليهم السلام والصحابة والأولياء ليست جديدة، بل كانت موجودة ومنتشرة منذ القديم في بلدان المسلمين كافة، من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة<sup>(١)</sup> إلى بلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر، إلى غير ذلك من البلدان الإسلامية.

وقد كانت إحدى ثمار بناء المشاهد للشخصيات والرموز الدينية هي حفظ المعالم التاريخية - بما في ذلك القبور - من الانداس والضياع، وحفظ هذه المعالم مهم جداً، لأنه يضيء على أحداث ذلك التاريخ ومجرياته، فضلاً عن الفوائد الدينية المترتبة على ذلك.

(١) يحدّثنا السهمودي ت ٩١١ هـ عن عشرات المشاهد التي كانت منتشرة في المدينة المنورة، سواء في البقيع، أو غيره، أنظر: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، مجلد ٣ ص ٩١٦ - ٩٢٤.

## المقامات مصدر للتعبئة الروحية والثقافية

ومن أهم هذه الفوائد والمنافع أنّ المقامات والمزارات الدينية المنتشرة في بلاد المسلمين - مع ما قد يعترئها من شوائب<sup>(١)</sup> - شكّلت، ويُراد لها أن تشكّل على الدوام مصدراً للتعبئة الروحية والثقافية، وعلى المسلم الذي يقصدها للزيارة أن يتصرّف داخلها باعتبارها في بيت من بيوت الله التي يُذكر فيها اسمه، ويسبّح له فيها بالعدوِّ والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

كما أنّ المفترض بالزائر عندما يقصد هذه المقامات أن يستلهم روح المزور، ويستحضر مبادئه وتعاليمه وأخلاقياته ويسعى للاقتداء به والسير على نهجه وهديه، ليكون ارتباطه به ارتباطاً رسالياً، وليس ارتباطاً شخصياً أو عشائرياً.. ومن هنا، فإنّ المطلوب تحويل هذه المقامات إلى مراكز عبادية وثقافية، مع ضرورة إبعادها عن كلّ ما يشين أو ما فيه شائبة الشرك أو العُلُوِّ<sup>(٢)</sup>.

وقد لفت نظري في العام المنصرم وأثناء زيارتي للإمام الرضا عليه السلام في مدينة مشهد الإيرانية أنّ الهيئة المشرفة على المقام قامت بعمل جليل ومفيد، وهو إنشاء معهد قرآني داخل الحضرة الرضوية يهتم بتعليم القرآن وتجويده وحفظه وتفسيره، كما وتُقام ليلاً وبعد صلاتي المغرب والعشاء في بعض الباحات الكبيرة داخل المقام جلسات قرآنية رائعة يشترك فيها بعض القراء المجيدين، ليتلوّ هذا القارئ أو ذاك على الناس ما تيسّر له من كتاب الله، والناس تتابع معه التلاوة بخشوع تامّ، كما أنّ إدارة بعض المقامات المشرفة في العراق وإيران أخذت على عاتقها القيام بمهامّ ثقافية متنوعة، كتحقيق الكتب وإصدار الدوريات الثقافية وإطلاق الفضائيات الدينية، وما إلى ذلك من أنشطة.

(١) أشار السيد محسن الأمين إلى بعض هذه الشوائب التي كانت موجودة في زمانه، أنظر: رحلات السيد محسن الأمين ص ١٣٣.

(٢) أنظر للمؤلف: عاشوراء قراءة في المفاهيم وأساليب الإحياء ص ١٤٠. مصدر سابق.

أجل لا بد لنا أن نسجّل هنا ملاحظة نقدّر أنّها ملاحظة هامة وأساسية، وهي أنّ العمارة المادية للمقامات والمتمثلة بزخرفتها وتذهيبها وتزيينها لا يجوز أن ننسى أنّ الهدف الأسمى يبقى هو عمارتها المعنوية، وذلك بإحيائها بذكر الله، وتلاوة القرآن، والدعاء، والتفاعل الروحي مع المزور والاستلهام من معينه الفكري والمعنوي، ولا يخفى أنّ المبالغة في العمارة المادية ربّما تؤثر سلباً على العمارة المعنوية، وهذا أمر لا يختصّ بالمقامات والمرافد الدينيّة، بل ويشمل المساجد أيضاً والتي غدا الاهتمام بزخرفتها ظاهرة ملحوظة في بلدان المسلمين عامة، مع أنّ المبالغة في الزخرفة والنقوش لا تليق ببيوت الله، وتُفقدّها الكثير من أجوائها الروحيّة، ولعلّه لهذا ورد في بعض الروايات<sup>(١)</sup> النهي عن زخرفة المساجد، وهو الأمر الذي قد يُستفاد منه كراهة الزخرفة في المراقد والمقامات أيضاً.



(١) راجع وسائل الشيعة الباب ١٥ من أبواب أحكام المساجد.



## أهمية البحث ومحلّه وأدواته

غير خفيّ أنّ بناء المقامات الدينيّة على أضرحة الأنبياء والأولياء قد استدعى منذ بداية الأمر ظهور أحكام شرعيّة خاصة ترتبط بالزيارة، وكيفيّتها وآدابها، وأحكام الداخل إلى المشاهد المشرفّة، لجهة الطهارة والنجاسة، أو الصلاة، أو كيفيّة الوقف وتزاحم الزوّار وحقّ السبق والألويّة... إلى غير ذلك من الأحكام التي تندرج فيما يمكن تسميته بفقّه المقامات المشرفّة<sup>(١)</sup>.

ولعلّ من أساسيات فقّه المقامات الدينيّة أن يحدّد لنا ضوابط وشروط بناء المشاهد المشرفّة، ومتى يصحّ بناؤها؟ ومتى لا يصحّ ولا يشرع؟ لأننا إذا كنّا نواجه بعض الشوائب والممارسات الخاطئة التي تُرتكب في هذه المقامات المشرفّة، بما يتعدّد عن خطّ الشرعية الإسلاميّة، فإننا نواجه أيضاً أخطاءً وتجاوزات في أصل بناء بعض المشاهد، الأمر الذي يتسبّب في الوقوع في الشبهات والإشكالات الشرعيّة على أكثر من صعيد، كما سنبيّن ذلك بالتفصيل.

إنّ البُعد العقدي والفقهي لبناء المقامات ولزيارتها يمثّل الحافز الأول الذي يدعونا ويفرض علينا وضع ضوابط محدّدة لعملية البناء، ويملي علينا ضرورة البحث والتنقيب عن صدقيّة المقامات القائمة بالفعل، والحافز الآخر على هذا

(١) أنظر: حول هذه الأحكام والآداب: كتاب الدروس للشهيد الأول ج ٢ ص ٢٢ - ٢٥، وجواهر الكلام ج ٢٠ ص ١٠٢، وكتاب المزار للسيد مهدي القزويني (ت ١٣٠٠ هـ) ص ٢٨٢، ومرآة الكمال للمامقاني ج ٣ ص ١٩٧ وما بعدها.



الصعيد هو علمنا بأن ثمة مقامات تُبنى حالياً أو بُنيت في الزمن الغابر دون أساس صحيح كما سنرى لاحقاً.

## ضرورة التنقيب والبحث

ومن هنا، فإننا نطلقها دعوة ملحة إلى ضرورة البحث عن المقامات أو القبور المنتشرة في مختلف البلدان الإسلامية والتي تُنسب إلى بعض المعارف والرموز الدينية من الأنبياء ﷺ أو الأولياء أو الصحابة أو أبناء الأئمة أو غيرهم من مشاهير العلماء، فإن التحري والتنقيب عن قبورهم أمر في غاية الأهمية لاعتبارات دينية وأخرى تاريخية، وغير بعيدٍ عن هذه الاعتبارات أن الكثير من البلدان الإسلامية كفلسطين أو الأندلس أو غيرها قد وقعت تحت الاحتلال الذي عمل ليس فقط على مصادرة الأرض، بل على تبديل هويتها وتزوير تاريخها ومحو ذاكرتها، وبقيت تلك القبور وبقايا الأطلال هي الشاهد الحيّ وربّما الوحيد أحياناً الذي يؤكّد على انتماء هذه الأرض وحضارتها السالفة وتاريخها الزاهي.

كما أن تعاقب الدول وتبدّل القناعات والمعتقدات طَمَسَ الكثير من القبور بما في ذلك قبور المعارف والشخصيات، فغدت أطلالاً لدارسة عفا عليها الزمان وطواها النسيان، بل إن ذلك قد أدى إلى قلب الحقائق، فأحيا قبوراً وأمات أخرى، وسرق قبوراً وأسندها إلى غير أهلها، كما حصل ذلك في فلسطين عندما ادّعى اليهود أن بعض مقامات الأنبياء هي مقامات تخصّهم وغيروا هويتها وأسماءها، الأمر الذي يفرض إنشاء مراكز علمية متخصصة في هذا المجال تعنى بدراسة مواقع المراقد والمقامات.

وإن متابعة ما كتبه العلامة المتتبع الشيخ محمّد حرز الدين في كتابه «مراقد المعارف» تظهر صدق ما نقوله من ضياع حقيقة الكثير من المراقد، فقد نصّ على جهالة عشرات المراقد والمشاهد المنتشرة في بلاد المسلمين ولا سيّما العراق

وإيران، مؤكداً أنه يضعها «تحت الفحص والتنقيب»، دون أن يعتني في كثير من الأحيان بـ«الشهرة القُطرية» أو «الموضعية» التي تنسب هذه المراقد إلى أسماء معينة<sup>(١)</sup>.

## تضافر الجهود

وتجدر الإشارة إلى أن موضوع «المقامات الدينية» هو موضوع متعدد الأبعاد، فهو من جهة يتصل بالجانب الفقهي والعقدي، ومن جهة أخرى يتصل بالتاريخ وعلم الأنساب، الأمر الذي يستدعي استنفار جهود الفقهاء والمؤرخين والنسابين والرحالة والبلدانيين كل في مجال تخصصه، ليُدليَ الفقيه بدلوه في مجاله الخاص، فيؤصل فقه المقامات وزيارتها طبقاً لضوابط الاستنباط الفقهي، ويدلي المؤرخ بدلوه في مجاله الخاص أيضاً، ليكشف لنا ما غاب عنا من أسرار

(١) إليك أسماء المراقد المشكوك في أمرها، والتي وضعها العلامة حرز الدين في كتابه «مراقد المعارف» تحت البحث والتنقيب: قبر ابن حمران في الخالص من توابع بعقوبة، ج ١ ص ٥٥، مرقد ابن الحنفية في «أبو صخير» من أقضية لواء الديوانية في العراق، ج ١ ص ٥٩، مرقد «أبو الخير» في العتايق من قرى الحلة المزيدية الشرقية، ج ١ ص ٩٨، قبر السيد أحمد الحارث في الحلة في العراق ج ١ ص ١٢٦، عالم وعلويان، قبور ثلاثة بالقرب من آثار مدينة الهاشمية القديمة في العراق ج ٢ ص ٦، مرقد عبد الله بن زيد، شرقي شمالي قرية الكفل ج ٢ ص ٤٧، مرقد عبد الله بن الكاظم جنب مدينة (الخرم - غماس) ضمن لواء الديوانية ج ٢ ص ٤٧، مرقد عون بن علي، يقع في صور الزرفية هي نهر من الفرات ج ٢ ص ١٤٣، قبر محمّد بن الحسن الحسيني يقع شمال شرقي مرقد ذي الكفل في العراق ج ٢ ص ٢٧٣، مرقد محمّد بن الحسن الحسيني في الرحبة في العراق، ج ٢ ص ٢٨٠. مرقد محمّد بن الهادي على نهر الجريوعية في الهاشمية ج ٢ ص ٢٨٣، مرقد محمّد بن الحسن في أرض خفاجة المكرمة في العراق ج ٢ ص ٢٤٨، مرقد القاسم بن الحسن في العتيقيات بضواحي مدينة المسيب ج ٢ ص ١٩٤. مرقد محمّد سوار في شوشة - إيران، ج ٢ ص ٢٩٠، مرقد محمّد المهدي في مقاطعة الحمزاوية ضمن لواء الحلة المزيدية - العراق ج ٢ ص ٢٩٦، مرقد محمود سركنج في صحراء شوشتر - إيران ج ٢ ص ٢٩٨، باباكرهي في بعض قرى شوشتر - إيران ج ١ ص ١٧٧، قبور بنات الكاظم في مقاطعة «علاج» شرقي البصرة ضمن لواء الحلة ج ١ ص ٢٠٠، قبر الساري أو السّمري في قبائل خفاجة المكرمة شرقي مرقد ذي الكفل ج ١ ص ٣٥٤، مرقد سلطان محمّد علم دار في شوشتر - إيران ج ١ ص ٣٧٣، مرقد شريفة بنت الحسن في حدود قرى قنافة من توابع الحلة السيفية - العراق ج ١ ص ٣٨٤، مرقد الشواي في أراضي السنية في الحلة السيفية - العراق ج ١ ص ٣٩٦، مرقد إمام زاده صالح الحسيني في شوشتر - إيران ج ١ ص ٤٠٣. إلى غير ذلك من المراقد والقبور التي ذكر العلامة حرز الدين بأنها قبور مجهولة، أو إنها تحت الفحص والتنقيب.

التاريخ وخبائاه فيما يتصل بهذه الشخصية الدينية أو تلك أو مكان دفنها، ويدلي النسابةً بدلوه في مجال تخصصه ليبين لنا ما خفي من أنساب بعض الشخصيات وأصولهم حتى لا نقع في حال تجاوز التخصصات في استنتاجات خاطئة بشأن بعض الرموز، أو بإرباك معين، كما حصل مع بعض العلماء<sup>(١)</sup>.

## بعيداً عن العقل الجمعي

ونحن إذ نحاول دراسة هذه القضية فمن الضروري أن يكون الحرص على الدين هو غايتنا، وحفظ حدوده وشعائره هو هدفنا ومبتغانا، وإذا كان الأمر كذلك، فمن الطبيعي أن نعمل على التجرد من تأثيرات العقل الجمعي الذي يعمل - لدى عامة الشعوب - على اصطناع هويّات خاصة يجد الجمع ذاته وخصوصيته فيها، ويترجم ذلك من خلال ممارسات قد تكون بعيدة كل البعد عن تعاليم الدين ومقاصده، إلا أنها تُعطى صبغة دينية ويتمّ لباسها لبوس الدين ويحتضنها المتدينون، لتصبح مع الوقت جزءاً من تكوينهم الثقافي والإنساني، إنه في مثل هذه الحالات يغدو التزام الموضوعية في البحث واعتماد المنطق العلمي أمراً في غاية الصعوبة، لأنّ سطوة الجماهير ومخافة العزلة ومحاذرة ردّات الفعل المختلفة سوف تتحكّم بالباحث وتحاصره وتدفعه لمجاراة السائد أو السكوت في الحدّ الأدنى، ولكّتي أعتقد أنّ الجهاد في سبيل الله وحفظ أصالة الدين مطلوب على جميع الجبهات وعلى الأصعدة كافة، ولعلّني لا أبالغ بالقول: إنّ أبرز ميادين الجهاد في الإسلام هو ميدان الإصلاح الديني ومواجهة الانحراف

(١) سئل السيد الشهيد محمّد محمد صادق الصدر عن مرقد علي بن الحسين الموجود في «المحاويل» في العراق وهل أنّه من أحفاد العباس بن علي عليه السلام؟ فأجاب: «لم يثبت لسيدنا أبي الفضل العباس ذريةً باقيةً بعد واقعة الطف إلى الآن إطلاقاً»، أنظر كتاب: مسائل وردود ج ٣ ص ١٣٩. ثمّ إنّه (رحمة الله عليه) سُئل بعد ذلك: كيف تنفون وجود ذرية لأبي الفضل العباس عليه السلام؟ مع أنّ «الحمزة» الموجود قبره في الحلة (المحدثية) ينتهي نسبه إلى أبي الفضل؟! فأجاب: «لا نعلم من الذي كتب النسب هناك، علماً أنّي ربّما أكون مشتبهاً فاسألوا النسايب فإنهم أهل الاختصاص». أنظر: مسائل وردود ج ٤ ص ١٠٧.

والبدع والمنكرات، ويجدر بالعالم الذي يستهدي رسول الله ﷺ في موافقه وسلوكه أن يكون لديه غيرة على دين الله أكثر من غيرته على مكانته الشخصية وحيثيته الاجتماعية، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

## محلّ البحث

وأما عن محلّ البحث فلا بدّ أن يُفَرَّقَ بادئ ذي بدء بين نوعين من المقامات:

الأول: المقامات القائمة بالفعل ولم تثبت صحتّها بالدليل مع إمكان أن تكون صحيحة، كما في مقامات بعض الأنبياء المنتشرة في بلاد الشام أو بلاد الرافدين منذ قرون طويلة<sup>(١)</sup>، ومن الطبيعي أن يبقى البحث مفتوحاً بشأن هذا النوع من المقامات، ومن المهمّ أن يُحافظ عليها من الانداس، إذ ربّما يستطيع الباحث أن يتوصّل بشأنها إلى نتيجة إيجابية مُرضية.

الثاني: المقامات التي ثبت بالدليل عدم صحتّها، أو قامت القرائن على ذلك، وهذه ليس ثمة ما يُلزم بوجوب حفظها أو تجديد بنائها، أو تشجيع الناس على زيارتها، وما سنذكره من محاذير شرعية حول بناء المقامات ناظر إلى هذا النوع من المقامات.



(١) من قبيل قبر «شيث» في البقاع في لبنان، فهو مقام مضي على بنائه قرون مديدة، وهكذا قبر «نوح» في «الكرك» في البقاع اللبناني، وهو كسابقه قديم جداً، وقد ذكرهما ابن جبير في رحلته، وذكر أنّهما وُصفا له، لأنه لم يتمكّن من معاينتهما بنفسه، (أنظر: رحلة ابن جبير ص ٢٤١).





## ظاهرة تزايد المقامات: ظروفها وأسبابها

عطفاً على ما جاء في النقطة الثانية المتقدمة من أنّ وجود مقامات قد بُنيت سابقاً، أو تُبنى حالياً دون أساس صحيح، يحتم علينا أن نبحث هذا الأمر ونوليه أهمية خاصة، نقول: إنّ ممّا يضاعف مسؤوليتنا إزاء هذا الأمر هو أنّ التجاوز في هذا المجال قد بلغ حدّ الظاهرة التي عمّت مختلف البلدان والأقطار الإسلامية، من بلاد الشام إلى العراق وإيران وأفغانستان وغيرها؛ يقول العلامة السيد مهدي القزويني (ت ١٣٠٠): «وفي العراق والعجم قبور كثيرة منسوبة إلى أولاد الأئمة لم تثبت صحتها»<sup>(١)</sup>، ويشير المحدث النوري إلى ظاهرة خطيرة في زمانه وهي أنّه «قد عُيّن مكان دفن الكثير من الشخصيات المهمة مع أنّه لا أصل لذلك التعيين ولم يذكره أحد ولم نقف له على مستند، مثل البيت المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ومثل الكثير من القبور التي منها ما لا أصل له، ومنها ما نقطع بعدم صحتها..»<sup>(٢)</sup>.

وفي بلاد الشام أيضاً ثمة مقامات كثيرة منتشرة منذ زمن بعيد لم تثبت صحّة الكثير منها، بل إنّ هناك أكثر من علامة استفهام حولها، كما سنذكر بعض الأمثلة على ذلك، نقول هذا مع علمنا بكثرة مَنْ دُفن في بلاد الشام من «الأنبياء والأوصياء والعلماء والصلحاء، فإنّهم لا يُعدّون ولا يُحصّون» كما قال الشيخ الحرّ العاملي<sup>(٣)</sup>.

(١) المزمار ص ١٣٨.

(٢) اللؤلؤ والمرجان ص ١٣٧.

(٣) أمل الأمل في علماء جبل عامل ج ١ ص ١٦.

وأما في إيران فإن ظاهرة بناء المقامات الدينية لأبناء وأحفاد الأئمة عليهم السلام ولا سيما في العقود الأخيرة، غدت ظاهرة مستغربة للغاية، لا لتزايد هذه المقامات يوماً بعد يوم فحسب، بل لأنها تُبنى أحياناً على أسس واهية واعتبارات تلامس حدّ الخرافة، وتشير الأرقام الرسميّة (طبقاً لما نقلته بعض الصحف الإيرانية والعهدّة على كاتب المقال) إلى أنّه وقبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران كان عدد المقامات التي تُنسب إلى أولاد الأئمة وأحفادهم وهو ما يُعرف بالفارسية بـ (إمام زاده) قد وصل إلى (١٥٠٠) مقام، لكن هذا العدد ارتفع في عام ٢٠٠٨م إلى (١٠٦٩١) مقاماً، أي إنّه يبرز لدينا في كلّ سنة (٣٠٠) إمام زاده! <sup>(١)</sup> وتشير إحصائية أخرى نُقلت عن معاون منظمة الأوقاف والأموال الخيرية إلى تزايد عدد مقامات ما يعرف بـ «إمام زاده» من ٥٩٥٤ مقاماً في عام ١٣٨٢ هـ.ش إلى ٨٠٠٠ مقام في عام ١٣٨٧ هـ.ش أي بزيادة حوالي ٢٠٤١ مقاماً خلال خمسة أعوام <sup>(٢)</sup>.

ويشير بعض الباحثين والعلماء الإيرانيين إلى أنّ المناطق التي يتزايد فيها بناء المقامات أكثر من غيرها هي المناطق الأكثر جمالاً واعتدالاً مناخياً في إيران، (من قبيل منطقتي جيلان ومازندران) حيث يستغلّ بعض الأشخاص المشاعر الدينيّة للمؤمنين ويبنون مقاماً ويُنسب إلى أحد أبناء الأئمة عليهم السلام ولا سيما الإمام موسى الكاظم عليه السلام ويجمعون من خلال ذلك الأموال التي تعود بالفائدة على متولّي الضريح، الأمر الذي استلقت نظر بعض العلماء الكبار فرفعوا الصوت عالياً وندّدوا بهذه الظاهرة المريية، وسعى بعضهم <sup>(٣)</sup> في هدم بعض تلك

(١) أنظر جريدة جمهوري إسلامي بتاريخ ٢٥/٠١/١٣٩٠ هـ.ش، عنوان المقال «تأمل در إمام زاده های صحیح السنه ایران» للكاتب السيد حسين شريفی.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ومنهم حُجّة الإسلام والمسلمين قرباني وكيل السيد القائد الخامنئي (حفظه الله) في محافظة جيلان وإمام جمعة رشت، وهكذا حُجّة الإسلام مير حسين أشكوري.

المقامات وقطع العديد من الأشجار «المقدّسة» والتي اتُّخذت ذريعةً لاستغلال عاقبة الناس وسلب أموالهم<sup>(١)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أنّ بناء المقامات الدينيّة في إيران دون أساس صحيح ليس بالأمر الجديد، بحسب الظاهر، وقد ألمح إلى ذلك العلامة السيد الخونساري في كتابه «روضات الجنّات»، حيث إنّه وبعد أن يتحدّث عن قبور أولاد الأئمّة عليهم السلام الموجودة في أرض الرّيّ (جنوبي طهران) وجبالها العالية، وكذا الموجودة في مدينة قم، يضيف قائلاً: «وأما غير ذلك الموضوعين من ديار العجم فلم يثبت به قبر أحد من أولاد الأئمّة عليهم السلام والأنبياء عليهم السلام» باستثناء أربعة قبور يشير الخونساري إليها محدّداً مواضعها<sup>(٢)</sup>.

وما قد يُقال من أنّ أبناء الأئمّة عليهم السلام وأحفادهم وبسبب ما لاقوه أو تعرّضوا له من مظالم تفرّقوا في البلاد البعيدة ولجأوا إلى الأماكن النائية حيث المأمن والمأوى، وقد كانت إيران هي إحدى تلك الملاذات التي لجأوا إليها ودُفِنوا في ربوعها، فهو وإن كان صحيحاً إلاّ أنّه ليس كافياً وحده لإثبات صدقيّة أيّ مرقد من المراقد ما لم ينهض دليل على صحته. أجل، إنّ ذلك سيسكّل حافزاً إضافياً يدفع باتجاه المزيد من البحث والتدقيق في أمر تلك المقامات، إذ ربّما نكتشف صدقيّتها.

إزاء هذا الواقع لا بدّ أن نعيد التأكيد على ضرورة فتح هذا الملف، لينطلق البحث العلمي الهادىء والهادف في دراسة كلّ المقامات المحتملة الصدقيّة،

(١) المصدر نفسه، ولأهمية المقال المشار إليه فإننا نقله للأخوة القراء مترجماً في الملحق رقم (١) من ملاحق هذا الكتاب.

(٢) أحدها: قبر أحمد بن موسى المعروف بشاه جراغ في شيراز، والثاني: قبر السيد علي بن محمّد الباقر الواقع بالقرب من بلدة كاشان، المعروف بإمام زاده مشهد باركرس، والثالث: قبر ولده أحمد بن علي في أصفهان، والرابع: قبر السيد أبي الحسن الملقّب بزین العابدين بن علي بن نظام الدين... أنظر: روضات الجنّات، ج ٤ ص ٢١٢.



كما لا بدّ لنا أن نتحلّى بجرأة النطق بالحقّ إزاء كلّ المقامات التي لا أساس لها من الصّحة ولا حظّ لها من المصادقية، إنّنا بحاجة إلى علماء يتّخذون مواقف حاسمة وحازمة وجريئة في مواجهة كلّ أنواع التضليل والخداع الدينيّ والمتاجرة بالمقدّسات، هذه الجرأة التي رأيناها عند الفقيه الكبير الشيخ عبد الحسين الطهراني عندما رفض استلام المال المبدول إليه لبناء بعض المقامات التي لم يتعيّن محلّها عنده كما سيأتي، ورأيناها عند المحدث والمتتبع الشيخ النوري في مواقف عديدة له على هذا الصعيد، مع أنّه رجل أخباري النزعة واعتمد في بعض كتبه على الأحاديث الضعيفة وأكثر من الاستشهاد بالمنامات<sup>(١)</sup>.

### أسباب الظاهرة

وإذا كان الأمر كما قدّمنا من وجود مقامات كثيرة في بلدان المسلمين لا أصل لها من الصّحة أو لم تثبت صحتها، فإنّ السؤال البديهي الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف بُنيت هذه المقامات؟ وما هي الدوافع إلى بنائها؟

وفي مقام الإجابة على ذلك نقول: إنّ بناء المقامات قد يكون انطلق من دوافع طيبة ومشاعر صادقة ونبيلة، إلا أنّ صدق المشاعر ونبيل العواطف، والذي هو محل تقدير، لا يصحّ اعتماده مستنداً في بناء المقامات وتشيدها، لأنّ صدق المشاعر لا يمنع من الخطأ والاشتباه، على أنّ من المؤكّد أنّ ظاهرة تشييد المقامات، لها في بعض الأحيان دوافع غير سليمة أو غير منطقية، ولذا لا يمكن لنا أن نعتبر أنّ أصل بناء المقام هو شاهد على مصداقيّته، كما سنوضح ذلك لاحقاً، وفيما يلي نشير إلى بعض الدوافع غير السليمة أو الاعتبارات الأخرى التي لا علاقة لها بالدين في بناء المقامات:

(١) حتّى صار محلاً للانتقاد من بعض الأعلام، ومنهم السيد الإمام الخميني رحمته الله، أنظر: أنوار الهداية في شرح الكفاية، ج ١ ص ٢٤٥.

## أولاً: الجهل والاشتباه

والدافع الأول الذي يمكن ذكره في المقام، هو الجهل والاشتباه، والجهل أو الاشتباه لهما أسبابهما المختلفة، فربما كانت أسباباً عاطفية، حيث يندفع بعض الناس من منطلقات عاطفية إلى بناء بعض المقامات وتشيد بعض المراقد، اعتماداً على بعض المعطيات الواهية ولأدنى شبهة أو ملاسة، كرؤيا منام، أو حدوث كرامة في بعض الأمكنة.

وعلى سبيل المثال، فإنَّ بناء مقام لأمير المؤمنين علي عليه السلام في أفغانستان، لا منشأ له ظاهراً سوى الجهل بالمعطيات التاريخية وحصول تشابه في الأسماء، كما سنذكر لاحقاً.

وإنَّ وجود مقام في بعض قرى البقاع اللبناني باسم «النبى محمد العوسجي» ناشئ على الأرجح من الجهل، لأنَّه لم يعهد في الأنبياء - على كثرتهم - أنَّ اسم أحدٍ منهم هو محمد غير نبينا محمد صلى الله عليه وآله.

وهكذا، فإنَّ انتشار بعض الأضرحة أو الأماكن التي ينسبها العامة إلى نساءٍ نبيات في بعض بلاد الشام هو شاهد ومؤشِّر على أنَّ الجهل يفعل فعله في النفوس، حيث لم يُعهد أنَّه تعالى أرسل أنبياء من النساء، ويُرجَّح أن تكون هذه الأضرحة هي لبعض النساء الصالحات، وقد أطلق عليها بعض الناس صفة «النبيات» جهلاً واشتباهاً.

والاشتباه له أسبابه المختلفة وإليك بعضها:

أ - فقد يكون سبب الاشتباه هو الاعتقاد الشائع بأنَّه إذا انكشف قبر أو نُبش، وبأنَّ أنَّ جسد الميت المدفون فيه لا يزال طرياً، فإنَّ هذا دليل على أنَّ هذا الميت

(١) أنظر: كتاب الكشكول للشيخ إبراهيم آل عرفات ص ٧٨.

هو ولي من الأولياء وصاحب كرامة، فيبنى له مقام ومشهد، مع أنّ الأمر ليس بالضرورة أن يكون كذلك، كما سيأتي أيضاً.

ب - ومن جملة الأسباب أيضاً أنّ بعض الناس كانوا يتخيّلون في الأزمنة السابقة أنّ ظهور كرامة عند ضريح معين، كشفاء مريض أو نحو ذلك، يكشف عن أنّ صاحبه هو نبيّ من الأنبياء وليس ولياً من الأولياء، باعتبار أنّ الكرامة لا تظهر إلاّ على أيدي الأنبياء ولا تظهر على يد الأولياء، يقول الشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١٤٣١ هـ) في رحلته إلى بلاد «بعلبك» والبقاع المسمّاة «حلة الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز»: «ومررنا في الطريق، فقرأنا الفاتحة لنبيّ الله عزّ الدين ونبيّ الله الرشادي حين قربنا من قبريهما بقدر ما نميّز، ولعلّهما من الأولياء الأمجاد، ولكنّ إطلاق النبوة عليهما وعلى أمثالهما أيضاً في هاتيك البلاد، باعتبار ما عليه غالب أهل تلك القرى من الاعتقاد، في إنكار كرامة الوليّ، فإذا رأوها قالوا هو نبيّ، كما بعض الفضلاء في «بعلبك» لنا هذا أفاد، أو أنّ ذلك باعتبار الجهل وعدم الرشاد، أو أنّه وارد على أصله، والله أعلم بالمراد»<sup>(١)</sup>.

ج - وتعتبر الخلافات المذهبية من جملة الأسباب التي أدّت إلى ضياع الحقيقة في أمر كثير من القبور، يقول العلامة حرز الدين: «ولا يخفى أنّ سبب جهالة كثير من القبور أنّه كان في القرن التاسع الهجري في العراق زوابع وفعاليات طائفية بين الشيعة والسنة في أوائل العهد الصفوي، فعُفيت لذلك كثير من قبور العلويين، وبعضها أُبقيت وسُمّيت بأسماء الأنبياء، وأخرى بأسماء النساء، لكي لا يشملها الهدم والنبش والتخريب»<sup>(٢)</sup>.

د - ومن جملة مناشيء الاشتباه وأسبابه، انصراف الذهن إلى الفرد الأبرز عند إطلاق الاسم المسمّى به أكثر من شخص، ومن أمثلة ذلك - بحسب ما يرى

(١) حلة الذهب الإبريز في رحلة «بعلبك» والبقاع العزيز ص ٩٠

(٢) مرآة المعارف، ج ١، ص ٣٨٥.

السيد محسن الأمين -: أنه عندما يُقال: إنَّ في مصر قبراً ومشهداً للسيدة زينب، فإنَّ الناس سوف يتوهمون أنه قبر السيدة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليها السلام، ولا سبب لذلك «إلا تبادر الذهن إلى الفرد الأكمل»<sup>(١)</sup>، مع أنَّ المدفونة في مصر في رأي العلامة الأمين هي زينب بنت يحيى المتوَّج بن الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

### ثانياً: تنافس البلدان والمذاهب

وربَّما كان لتنافس البلدان أو المذاهب، والذي غدَّته ولا تزال النوازع العصبية وحِرْصُ الإنسان على تحقيق الهوية الخاصة به، دورٌ في بناء بعض المقامات على أسس واهية، في محاولة لمضاهاة البلدان أو المذاهب الأخرى أو الفخر عليها؛ وقد حدَّثنا بعض أساتذتنا أنَّ أهالي إحدى القرى في بعض الدول الإسلامية فكَّروا - ذات يوم - في قتل بعض الأشراف لينبؤوا على ضريحه مقاماً، وربَّما كان السبب الذي دفعهم إلى هذا التفكير العدواني أنَّهم أرادوا أن لا يفخر عليهم أبناء سائر القرى بوجود مقامات فيها دون قريتهم!

ونحن نعلم أنَّ العصبية للبلدان تفعل الكثير، فقد دفعت هذه العصبية إلى اختلاق الأحاديث المكذوبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله في مدح بلدان وذمَّ أخرى، ولذا فإنَّ أحاديث فضائل البلدان لا بدَّ أن تخضع للدرس الدقيق، لأنَّه قد كثر فيها الوضع والاختلاق، ولا سيَّما ما ورد في مدح الشام وذمَّ العراق أو الحجاز<sup>(٢)</sup>.

وهكذا فإنَّ العصبية المذهبية قد عملت على اختلاق مناسبات دينية وإحيائها، في مقابل مناسبات المذهب الآخر، فكان أن جعل «يوم الغار» مقابل «يوم

(١) أعيان الشيعة ج ٧ ص ١٤٠.

(٢) أنظر: لسان الميزان لابن حجر ج ١ ص ٢٠٠ ذكر في ترجمة أحمد بن عبد الله بن محمد بن مشكان أنَّ له في فضائل الشام أحاديث منكورة.

الغدِير»، ويوم مقتل «مصعب بن الزبير» في مقابل يوم عاشوراء الذي قُتل فيه الإمام الحسين عليه السلام <sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: البناء التذكري

ومن جملة الدوافع التي نخالها سبباً معقولاً في بناء بعض المقامات «الدينية» غير الثابتة: إقدام بعض الناس بداعي الحبّ والعاطفة الجياشة التي تسيطر على القلوب تجاه هذه الشخصية أو تلك، إلى تشييد مقام تذكاري لها في بعض الأماكن، ولا سيّما إذا كان هذا المكان قد أقامت فيه تلك الشخصية رداً من الزمن، أو صلّت فيه، أو وقعت فيه حادثة معبرة أو مؤلمة تتصل بتلك الشخصية، أو رُوِّيت تلك الشخصية في المنام في ذلك المكان.

وقد يندفع بعض البعيدين عن مركز الأحداث ومحور الحركة المتصلة بالشخصيات المقدّسة إلى بناء مقامات تذكارية لها في بلدانهم، بهدف التفاعل مع تلك الشخصيات دون أن يتحقّق شيء من الملابس المشار إليها (إقامة الشخصية في المكان، أو صلّاتها فيه، أو وقوع حادث مؤلم فيه)، وهذا ما يفسّر وجود بعض المقامات لبعض الشخصيات والرموز في أماكن يُقطع بعدم وصول تلك الشخصية إليها ولا دفنها فيها، وعلى كلّ التقادير فإنّه ومع مرور الوقت يحصل الالتباس، فيتوهّم بعض الناس أنّ تلك الشخصية مدفونة في هذا المشهد التذكاري؛ يقول العلامة المتتبع آغا بزرك الطهراني تعليقاً على وجود مقام يُنسب إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مدينة بلخ الأفغانية والتي عُرفت

(١) يقول الذهبي في أحداث سنة ٣٨٩هـ: «كانت قد جرت عادة الشيعة في «الكرخ» و«باب الطاق» بنصب القباب وإظهار الزينة يوم الغدير والوقيد في ليلته، فأرادت السّنة أن تعمل في مقابلة هذا أشياء، فادّعت أنّ اليوم الثامن من يوم الغدير كان اليوم الذي حصل فيه النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر في الغار، فعملت فيه ما تعمل الشيعة في يوم الغدير، وجعلت بإزاء عاشوراء يوماً بعده بثمانية أيام إلى مقتل «مصعب بن الزبير»، وزار قبره بمسكن كما يزار قبر الحسين...»، أنظر: تاريخ الإسلام ج ٢٧ ص ٢٥.

بمزار شريف: «الظاهر من عادة الشيعة أنهم كانوا يبنون أبنية تذكارية لرجالهم، كما بنّت الإسماعيلية عدة أماكن في زمان واحد تحت عنوان «رأس الحسين»، فإنّها بناء تذكاري ضدّ بني أمية، وليس المقصود أنّ رأس الحسين مدفون بها، كما أنّ لنا مكانات [هكذا، والصحيح أمكنة] عديدة باسم «مقام المهدي» ومن هذا القبيل: «مزار شريف» للإمام علي عليه السلام في بلخ وهرات، ومزار «طفلان مسلم» قرب سرخس بخراسان، و«شهر بانو» بالريّ، نعم إنّ العوام بعد سرور الزمن عليها كانت تعتقد أنّها معتبرة»<sup>(١)</sup>.

وغير مستبعد أن يكون المشهدان المنسوبان إلى أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه في بلدتي «ميس الجبل» و«الصرفند» العامليتين - جنوب لبنان - من الأبنية التذكارية التي هدف بانوها إلى تخليد ذكرى أبي ذرّ بسبب حادثة معيّنة، من قبيل مروره في هاتين البلديتين أو صلّاته فيهما أثناء نفيه إلى الشام في عهد عثمان<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: المصالح الماديّة

وربّما انطلق بعض الناس من منطلقات ماديّة بحثة في بناء بعض المقامات، لأنّ بناء المقام يساهم في إيجاد حركة اقتصادية حوله، فينتفع بذلك بعض المحيطين بالمقام من خلال حركة الزائرين وما ينتج عنها من نشاطٍ تجاري واقتصادي وعمراني. يذكر صاحب كتاب «حبيب السير» وهو يتحدّث عن كيفية ظهور مرقد الإمام علي عليه السلام في أفغانستان أنّ: «بعض الشيادين [يقصد البتّائين] لما رأوا هذه الحادثة أخذوا في نقل المنامات الكاذبة لتشخيص بعض النقاط بدعوى كونها من مراقد الأولياء، وقبراً من قبور الأنبياء وأولاد بعض الأئمة الأطهار،

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ٤ ص ١٣٤، وقد ورد هذا النصّ في هامش تلك الصفحة.

(٢) راجع حول ما هو مشهور عن مجيء أبي ذرّ الغفاري إلى جبل عامل ودوره في نشر التشيع فيه ما ذكرناه في كتابنا: «الحر العاملي موسوعة الحديث والفقه والأدب»، ص ١٥٩.

ويرتزقون من الشاردين والواردين وكلّ ذي حاجة جاء إلى ذلك المحلّ..»<sup>(١)</sup>.

إنّ هذا لا يعني أنّنا ندين النشاط الاقتصادي والتجاري الذي تشهده المدن المقدّسة سواءً التي تُقصد للحج أو التي تُقصد للزيارة، فهو نشاط مشروع ولا محذور فيه، وقد قال تعالى وهو يحدثنا عن فلسفة الحج: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]. ممّا يشمل بإطلاقه المنافع الاقتصادية، فضلاً عن المنافع الروحية والثقافية وغيرها، ونحن نعلم أنّ بعض المدن الإسلامية، إنّما قامت وأنشئت في الأساس بسبب وجود قبر لبعض الشخصيات الدينية فيها، كما هو الحال في مدينتي النجف الأشرف وكربلاء وغيرهما. بيد أنّ الشيء المدان هو أن يتحرّك الإنسان بدافع مادي وتجارى بحث إلى تشييد مقامات دينية على أسس واهية، إذ لا شك بأنّ هذا العمل هو من أسوأ أنواع الاتجار، كونه يمثّل اتجاراً بالدين وتلاعباً برموزه<sup>(٢)</sup>.

وإنّ الاتجار بالدين والاسترزاق بالمقدّسات ليس بالأمر الجديد، فقد عرفه الإنسان منذ زمنٍ قديم، حيث عمد الأحرار والرهبان وتجار الهيكل إلى استغلال المشاعر الدينية بغية أكل أموال الناس بالباطل، إما عن طريق صكوك الغفران وبيع الجنان للحمقى والمغفلين، كما كان يفعل بعض الرهبان، وإمّا عبر بيع تراب الأرض المقدّسة كما كان يفعل بعض السدنة في مرقد الإمامين العسكريين عليه السلام في مدينة سامراء، حيث إنهم لما رأوا اهتمام المؤمنين ورغبتهم الأكيدة بزيارة السرداب الذي كان بيتاً يسكنه ويتعبّد به الإمام علي الهادي عليه السلام، ومن ثمّ انتقل إلى ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ومن بعده إلى ولده الإمام الحجة عليه السلام، فجعلوا - أيّ السدنة - «يأخذون تراب ذلك المكان ويعطونه للزائرين

(١) أنظر: تحفة العالم في شرح خطبة المعالم للسيد جعفر بحر العلوم ج ١ ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٢) والاتجار من خلال الدين هو الذي يقف - بحسب الظاهر - خلف اختراع السبحة الخاصة التي تعرف بـ«سبحة أم البنين» مثلاً، والتي راجت في هذه الأيام في أوساط البسطاء والشُدج من دون أن يكون لها مستند شرعي!

بإزاء دراهم معدودة، فأدى ذلك أن حُفرت تلك البقعة مقدار درجتين، ثم تصدى إلى طمها العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الطهراني رَحْمَتُهُ، ثم حفرها بعض السدنة لمقاصدهم الخاصة وسموها بئر صاحب الزمان... ومع ذلك فقد جعلوا الآن قبة تحت الرخام بمقدار أن يدخل الكفّ فيه لأخذ التراب، وربما وضعوا التراب فيها من الخارج لإعطائه للزائرين الذين لا يعلمون حقيقة التراب»<sup>(١)</sup>.

وما أحوجنا إلى حزم الشيخ عبد الحسين الطهراني في مواجهة السدنة المعاصرين الذين يتجرون بالدين ويصدّون عن سبيل الله، كما قال تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُفُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].



(١) كما يقول المحدث النوري في كشف الأستار طبقاً لما ينقله عنه السيد الجلالى في مزارات أهل البيت وتاريخها ص ١٤٣، وقد أضاف السيد الجلالى قائلاً: «والعلماء هم المسؤولون عند الله لتركهم النهي عن المنكر وردع الجهال عن مثل هذه الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وبراء منها كل شيعة خبيث».







## كيف نثبت صدقيّة المراقد؟

عندما نتحدّث عن بناء المقامات والمزارات فوق أضرحة الشخصيات الدينيّة والرموز التاريخيّة، فإنّ السؤال البديهي الذي يواجهنا هو: كيف نثبت صدقيّة المراقد المبنية أو التي يُراد بناؤها؟ وما هي مصادر الإثبات المعتمدة التي تخوّلنا البتّ - إثباتاً أو نفيّاً - في انتساب القبور إلى أصحابها، مقدّمة لبناء المشاهد عليها؟

### المصادر المعتمدة

فيما يلي نتحدّث عن مصادر الإثبات المعتمدة، والتي قد تتفاوت في درجة إثباتها واعتبارها، ثم نتطرّق لاحقاً إلى المصادر غير المعتمدة على هذا الصعيد:

### أولاً: الشهرة والسيرة

تعدّ الشهرة المستمرّة والمتواصلة، وكذا السيرة العمليّة المتلقاة يداً بيد عن الأجيال السابقة وصولاً إلى زمان صاحب القبر أو المقام من المصادر المهمّة لإثبات صدقيّة المراقد، وكلٌّ من الشهرة والسيرة تمثّلان طريقاً معتبراً عند عامّة العقلاء، وتوجبان الاطمئنان بصدقّيّة المقام أو انتساب القبر إلى صاحبه<sup>(١)</sup>، وأمّا إذا كانت هذه الشهرة متأخّرة وغير متلقاة يداً بيد ولا متوارثة جيلاً بعد جيل

(١) لقد عوّل البحّاث الشيخ محمد حرز الدين على الشهرة في إثبات وتعيين الكثير من المراقد التي تناولها في كتابه القيم «مراقد المعارف»، أنظر على سبيل المثال: ج ١ ص ١٧٠.

وصولاً إلى زمان دفن صاحب الضريح، فلن يكون لها اعتبار في إثبات شيء أو نفيه، فكم من أمر اشتهر عند المتأخرين دون أن يكون له أساس تاريخي، كما سنرى بعض الأمثلة على ذلك.

وهكذا لا يُعنى بالشهرة فيما لو كانت موضوعية ومحدودة ولا تؤيدها الشواهد التاريخية أو غيرها.

وما ذكرناه في شأن الشهرة وشروط الاعتماد عليها في إثبات صحة المراقف نقوله بحذفيره في شأن الذاكرة الشعبية والتي قد يتمسك بها البعض في هذا المجال، فإن الذاكرة الشعبية - فضلاً عن أنها ليست أمراً مغايراً للشهرة - لا يمكن اعتبارها مصدر إثبات فيما نحن فيه إلا مع اتساعها وامتدادها التاريخي الذي تؤيده القرائن المختلفة، بحيث يحصل الاطمئنان بعدم كونها ذاكرة مستجدة أو وليدة بعض الاعتبارات العاطفية، أو «الاعتقادات» الشعبية التي هي أقرب إلى الأوهام منها إلى الحقائق، وقد علمتنا الخبرة في هذا المجال والمستفادة من خلال المتابعة لمسألة بناء المقامات أن العاطفة أو العصبية أو الأحلام والمنامات أو غيرها من الاعتبارات غير الصحيحة تلعب دوراً كبيراً في تشكّل الذاكرة الشعبية لدى الكثير من الناس في شأن المقامات الدينيّة، أو غيرها.

### ثانياً: الشهادات الموثوقة

والمصدر الثاني الذي يمكن اعتماده في المقام هو الشهادات الموثوقة، ولا سيّما شهادات العلماء، من المؤرخين كانوا أو الجغرافيين أو الرّحالة أو الفقهاء أو غيرهم ممّن عاصروا صاحب المرقد وعابنوا دفته، أو نقلوا ذلك عن الثقة، أو شهدوا بشهرة ذلك في زمانهم شهرةً ممتدة إلى زمن صاحب الضريح.

ويندرج في هذا السياق شهادات أبناء أو أحفاد صاحب القبر أو المقام الموثوقين، فهم بحسب العادة أدري بذلك من غيرهم، ومن هنا فإن المسلمين اعتمدوا على شهادة أبناء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأحفاده في تحديد موضع قبره عليه السلام في النجف الأشرف، لأن قبره - كما هو معروف - قد أخفي في بداية الأمر، خوفاً من أن يتم انتهاكه من قبل بعض صغار النفوس من الخوارج<sup>(١)</sup> أو سواهم، أو لاعتبارات أخرى، ثم تم تعيينه لاحقاً من قبل أبنائه وأحفاده، وفيهم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام الذين توجب شهادتهم القطع واليقين<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: الاستناد إلى علماء الآثار والطب

ومن القرائن المهمة التي تنفع في المقام وإن لم تشكل أدلة حاسمة: المعطيات الحسيّة التي يتوصّل إليها علماء الآثار من خلال الدراسات الميدانية، وقراءة شواهد القبور، ومعرفة نوعية الخطوط المكتوبة عليها، ما يسمح بتقدير المرحلة الزمنية التي كتبت فيها الأسماء ونُقشت فيها الخطوط أو الزخارف.

ومن جملة القرائن النافعة في المقام أيضاً: ما يقدّمه علم التشريح الطبي، حيث إنّه لو تمّ نبش القبر لسبب أو لآخر - مع العلم أنّ النبش محرّم بالعنوان الأولي، لما فيه من هتكٍ لحرمة الميت - فإنّ العالم أو الطبيب المختص يستطيع أن يوضّح لنا الكثير من الغموض بشأن صاحب الجثة ويفكّ بعض الألغاز فيما يتصل بعمر الميت وجنسه ومرحلته الزمنية وسبب موته..

وطبيعي أنّ شواهد القبور والكتابات الموجودة عليها إنّما تُعدّ من القرائن الإثباتية

(١) أنظر: نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين، تأليف: السيد حسن الصدر (ت ١٣٥٤هـ)، ص ٢٢.

(٢) أنظر بشأن ذلك: كتاب فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام، تأليف: السيد غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن يونس بن طاووس الحسني (ت ٦٩٣).

الجيدة إذا تمّ - كما قلنا - التوثق من الكتابة بواسطة أهل الاختصاص وساعدت القرائن الأخرى على ذلك، إذ كثيراً ما يحصل التشابه بين الأسماء، فُنُسب القبور إلى غير أصحابها، كما حصل ذلك - في رأي البعض - في المقام المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام في مدينة مزار شريف التابعة لدولة أفغانستان حالياً<sup>(١)</sup>.

وربّما يندفع بعض الناس من غير ذوي المعرفة والاختصاص إلى إضافة أسماء جديدة على شواهد القبور عند تجديد بنائها، فيقع الالتباس وينشأ الإشكال، كما حصل ذلك في مشهد رؤوس بعض شهداء كربلاء المدفونة في مدينة دمشق، كما يقول السيد محسن الأمين رحمته الله<sup>(٢)</sup>.

### «المصادر» غير المعتمدة

في مقابل المصادر المعتمدة المتقدمة، فإنّ ثمة مصادر غير معتمدة ولا يمكن التعويل عليها في إثبات صدقية المقامات أو تصحيح نسبة القبور إلى أصحابها، وإليك أهمّ هذه «المصادر»:

(١) فقد نقل عن السيد أحمد بن علي المعروف بابن عتبة الأصغر مؤلف كتاب «أنساب آل أبي طالب» أنّه ذكر في كتابه المذكور أنّه دخل المزار المعروف ببلخ وقرأ المكتوب على الصخرة تحت الصندوق، فوجد مكتوباً عليها: «هذا قبر أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عبد الله بن علي بن الحسن بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين السبط عليه السلام»، فعلم أنّه من بني الحسين الذين ملكوا تلك البقاع، والاشترك في اللقب والاسم والكنية واسم الأب أو جب اشتباه عوام الناس في نسبتهم له إلى أمير المؤمنين»، راجع: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مصدر سابق، ج ٢ ص ٣٧٥-٣٧٦.

(٢) يقول رحمته الله: «رأيت بعد سنة ١٣٢٦ هـ في المقبرة المعروفة بمقبرة باب الصغير بدمشق مشهداً وضع فوق بابه صخرة كتب عليها ما صورته «هذا مدفن رأس العباس بن علي ورأس علي بن الحسين الأكبر ورأس حبيب بن مظاهر»، ثم أنّه بعد ذلك بسنين هُدم هذا المشهد وأعيد بناؤه وأزيلت الصخرة وبني ضريح داخل المشهد ونقش عليه أسماء كثيرة لشهداء كربلاء! ولكن الحقيقة أنّه منسوب إلى الرؤوس الشريفة الثلاثة المقدم ذكرها بحسب ما كان موضوعاً على بابه كما مرّ، وهذا المشهد الظنُّ قويٌّ بصحة نسبه، لأنّ الرؤوس الشريفة بعد حملها إلى دمشق والطواف بها وانتهاء غرض يزيد من إظهار الغلبة والتكبير بأهلها والتشفي، لا بدّ أن تدفن في إحدى المقابر، فدفنت هذه الرؤوس في مقبرة باب الصغير، وحُفظ محل دفنها، والله أعلم»، أنظر: أعيان الشيعة ج ١ ص ٦٢٧.

## أولاً: المنامات

وتأتي الأحلام والمنامات على رأس هذه المصادر، فإن المنامات ليست حُجّة شرعاً في إثبات شيء أو نفيه، ولا سيّما في مثل هذه القضايا التي يترتب عليها بعض الأحكام الشرعية والأعمال العبادية، ولكنّ الواقع أنّه قد تمّ بناء بعض المشاهد على أساس المنامات، يذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أنّ في حلب «عند باب الجنان مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام رؤي في النوم»، ثم يذكر قبر المحسن بن الحسين الذي يقال إنّهُ سُقُطٌ، أو طفل صغير مات ودفن في حلب لما جاء بالسبي من العراق إلى دمشق، ويضيف: «وبالقرب منه مشهد مليح العمارة تعصّب الحلبيون وبنوه أحكم بناء وأنفقوا عليه أموالاً يزعمون أنّهم رأوا عليّاً عليه السلام في المنام في ذلك المكان»<sup>(١)</sup>.

ومن المرجح أنّ لا يكون هدف الذين أشادوا البناء حيث تُرى بعض الشخصيات الدينية في المنام هو بناء مقام يضمّ مرقداً أو ضريحاً، وإنما الهدف منه بادئ الأمر هو تشييد صرح تذكاري يُنوّه فيه باسم تلك الشخصية على غرار الحسينيات المنتشرة في بلدان المسلمين الشيعة، لكنّه ومع مرور الزمن قد يندفع البعض إلى بناء ضريح داخل ذلك المشهد، ثم تؤمّه الناس للزيارة جهلاً منها بحقيقة الحال واعتقاداً منها أنّ تلك الشخصية مدفونة فيه.

وفي كلّ الأحوال لا يصحّ أن يُعتمد في بناء المشاهد والمرآقد على المنامات،

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٢٨٤، ومن اللافت أنّه كان هناك مشهد في دمشق أيضاً منسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام. يقول ابن جبير: «ومن أحفل هذه المشاهد - يقصد مشهد دمشق - مشهد منسوب لعلي بن أبي طالب عليه السلام قد بني عليه مسجد حافل رائق البناء ويزانه بستان كله نارنج، والماء يطرد فيه من سقاية معيّة، والمسجد كله ستور معلقة في جوانبه صغار وكبار، وفي المحراب حجر عظيم، وقد شقّ بنصفين والتحم ما بينهما ولم يُبين النصف عن النصف بالكلية يزعم الشيعة أنّه انشق لعلي بن أبي طالب عليه السلام: إنا بضربة بسيفه أو بأمر من الأمور الإلهية على يديه. ولم يُذكر عن علي عليه السلام أنّه دخل قط هذا البلد، اللهم إلا أنّ زعموا أنّه كان في النوم، فلعلّ جهة الرؤيا تصحّ لهم إذا لم تصح لهم جهة اليقظة، وذلك الحجر أو جب بنان ذلك المشهد، وللشيعة في هذه البلاد أمور عجيبة وهم أكثر من السنين بها...» (رحلة ابن جبير، مصدر سابق، ص ٢٣٩ - ٢٤٠).

هذا لو كانت صادقة، فكيف إذا كانت كاذبة مفتعلة لبعض الأغراض الرخيصة، كما حصل - أيضاً - في منطقة بلخ المشار إليها سابقاً، فقد نُقل عن كتاب «تاريخ حبيب السير» أنّ بعض الناس ادّعوا «منامات كاذبة لتشخيص بعض النقاط وزعموا أنّها تضمّ قبور الأنبياء أو الأولياء»<sup>(١)</sup>.

## ثانياً: حصول الكرامات

والمصدر الآخر الذي لا يمكن التعويل عليه في إثبات صحّة المراقده حصول الكرامات فيها، من شفاء مريض أو عليل أو استجابة دعاء أو قضاء حاجة، أو ما إلى ذلك، فإنّه ومع إيماننا بالكرامة، كتعبير عن لطف الله ببعض عباده الذين يتوجّهون إليه بإخلاص وصدق نية، متوسّلين إليه تعالى ببعض أسمائه أو أنبيائه، أو أوليائه، وهذا الإيمان لا يتنافى مع قانون السببية، لأنّ الله تعالى هو خالق القوانين ومسبّب الأسباب، وقد يلطف ببعض عباده ويستجيب دعاءهم ومأمولهم ولو من خارج القوانين المألوفة لهم، ولا سيّما أنّ في ذلك إظهاراً لقدرته تعالى وإفاناً إلى مكانة أوليائه وإيقاظاً لفطرة الإيمان به التي فطر العباد عليها، والتي قد تغيب أو تضع في خضمّ العلائق الدنيوية والألفة مع الأسباب الطبيعية، فتحتاح إلى ما يوقظها من ابتلاء هنا أو كرامة هناك.. إنه ومع إيماننا بهذا، فإننا لا نعتقد أنّ الكرامة التي تحصل في مقام معيّن هي دليل حاسم على صدقيّته أو صحّة انتسابه إلى أصحابه.

والسبب في رفضنا الاعتماد على الكرامات في المقام ليس فقط هو حصول المبالغات أو الأوهام بشأن بعض الكرامات، وربّما الأكاذيب التي تكثر حتّى في المقامات الثابتة النسبة إلى أصحابها<sup>(٢)</sup> فضلاً عن المقامات التي يراد إثباتها

(١) تحفة العالم في شرح خطبة المعالم، مصدر سابق، ج ٢ ص ٢٦٢.

(٢) يقول السيد محسن الأمين رحمه الله تعليقاً على كرامة مزعومة حدثت في مرافده بعض الأئمّة عليه السلام: «إنّ فضائل أئمّة

بواسطة الكرامة، وإنما السبب هو أنّ حصول الكرامة حتى لو تمّ التوثق منها ومن حدوثها في مقام مشكوك النسبة إلى شخصيّة معينة، فإنّ ذلك لا يمثل دليلاً على صحّة النسبة، ولا يعتبر شاهداً على أنّ صاحب هذا المقام هو شخصيّة دينيّة تحظى بالاحترام والتقدير، إذ لا ملازمة بين الأمرين، فاستجابة الدعاء وقضاء الحاجة في مثل هذا المقام الملتبس قد تكون ناشئة عن استجابة الله دعاء عبده المؤمن الذي توجه إليه بقلب مخلص ونية صادقة، طالباً منه تعالى أن يقضي حاجته، أرايت لو أنّ شخصاً مؤمناً من عامّة الناس دخل إلى «مزار شريف» حيث الضريح المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام ودعا الله مخلصاً أن يشافيه بحقّ عليّ عليه السلام، وبالفعل شافاه الله وقضى حاجته أفيكون ذلك دليلاً على أنّ هذا الضريح هو واقعاً لأمر المؤمنين عليهم السلام؟! بالطبع لا.

وقد حصل ذلك بالفعل، فإنّ بعض الباحثين يذكر أنّه وبعد انكشاف هذا الضريح وظهور صخرة بيضاء منقوش عليها «هذا قبر أسد الله أخي الرسول عليّ وليّ الله» شاع الخبر في الأطراف والبلدان وقصد المكان المؤمنون من الناس، وذوو الحاجات وسعوا في طلب حاجاتهم فعوفي كثير ورجعوا مقضّي المرام»<sup>(١)</sup>! أفهل تكون هذه الكرامات على فرض صحّتها دليلاً على دفن أمير المؤمنين عليه السلام في مزار شريف؟!

وثمة سبب آخر للتوقّف في الاعتماد على الكرامة في إثبات صدق المقام، وهو أنّ الكرامة لا يصحّ اعتمادها دليلاً على حقّانية المعتقد إلاّ في ظروف وشروط

أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم لا يشك فيها أحد، ولكنّ كثيراً من الكرامات التي تنقل على ألسنة الناس هي مكذوبة، لأنّ الكرامة لا تأتي عفواً ومتى شاءها الإنسان وعلى يد كلّ أحد ومع كلّ مناسبة، وإنما تكون عند موجب قوي يقتضيها...، أنظر: رحلات السيد محسن الأمين ص ١٤٥، وينقل المحدث النوري أنّ «جماعة اختلفوا بعض الكرامات، قد عتبن حصولها في مقامات الأئمة الطاهرين عليهم السلام ونشروها بين الناس، ثم ظهر بعد مدة أنّه لم يكن لذلك أصل على الإطلاق وأنّه كان محض اختلاق، وغرضهم من ذلك الافتراء التمثّل بالعامّة...»، اللؤلؤ والمرجان ص ١٩٩.

(١) أنظر: تحفة العالم في شرح خطبة المعالم ج ١ ص ٢٦٢ نقلاً عن تاريخ حبيب السير. م. س.



خاصة، كما ذكر في باب المعجزة من علم الكلام، فكيف يمكن اعتمادها لإثبات مصداقية المقام وأن صاحبه شخصية ذات اعتبار وتقدير؟! والسر في ذلك أن خوارق العادة قد تتحقق حتى في معابد الوثنية والمشركين، مما يمكن تفسيره: إما باعتباره نوعاً من الاستدراج أو الإملاء الإلهي، قال سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، أو لاعتماد هذه الخوارق على بعض الأسرار الخفية التي يتساوى فيها المسلم والكافر، يقول العلامة التنكابني: «إنَّ خوارق العادات تصدر من المحقِّق والمبطل فلا يجب إنكار ذلك من جماعة الصوفية خذلهم الله، ولا يجوز أن يُجعل ذلك دليلاً على حقانية مذهبهم، بل قد ينال بعض الأشقياء هذه المرتبة من باب الاستدراج... فالفريقان من أهل الكفر والطغيان وأهل الإيمان واليقين يمكن أن يبلغا هذه الرتبة على حسب الاستعداد والمصالح الكاملة، كما نلاحظ ذلك في بعض أهالي الهند وما يقومون به من الرياضات المختلفة في بيوت الأوثان، مثل أن يقف بعضهم لحاجة في بيت صنم ويرفع قدمه ويضع في كفه قمحاً أو حبوباً أخرى مع تراب وماء ويبقى كذلك عدة أشهر حتى تصير الحبة خضراً، ثم يقوم بالأمر الذي أراده.. فبمجرد ظهور خارق العادة لا يجوز الحكم بحقانية صاحبه..»<sup>(١)</sup>.

ومن خلال ما تقدّم يتضح أنّ مجرد العثور لدى نبش قبر معيّن على جسد إنسان لا يزال طرياً ومتماسكاً مع كون هذا القبر قديماً جداً وقد مرّت عليه عدّة عقود أو قرون لا يدلّ دلالة قطعية على أنّ صاحبه وليّ من الأولياء الصالحين أو الأنبياء والمعصومين، فإنّ بقاء الجسد على حاله لسنين أو عقود متطاولة يمكن إعطاؤه تفسيراً علمياً، كأن يكون محنطاً بمادة حافظة، أو تكون طريقة الدفن

(١) قصص العلماء ص ٤٤.

وطبيعة المكان والمُنَاخ العام يساعد على بقاءه كذلك، ولو فرض أنه لم يتسرَّن إعطاؤه تفسيراً علمياً، فهو لا يعني بالضرورة أن صاحب هذه الجثة شخصيّة مقدسة، إذ «ربما كانت المصلحة تتجاوزه إلى الواقع العام الذي يريد الله أن يُظهر فيه بعض ألطافه لتأكيد الإيمان به تعالى بشكل عام»<sup>(١)</sup>، وهذا ما يفسّر ظهور مثل هذه «الكرامات» عند قبور غير المسلمين وبقاء بعض أجساد موتاهم على حالها لزمان طويل وسنين متمادية، نعم لو أنّ صاحب القبر كان شخصاً معروفاً بورع أو زهدٍ أو كان وليّاً من الأولياء أو نبياً من الأنبياء وانكشف قبره وبان أن جسده لا يزال كهيئة دفنه، فهذا لا يبعد تفسيره على أنه لطف إلهي وكرامة لهذا النبيّ أو الوليِّ<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: الكشف والشهود

والمصدر الثالث الذي لا يمكن التعويل عليه في بناء المقامات الدينيّة هو الكشف أو الشهود الذي يحصل لبعض العرفاء أو الصوفية، والسرّ في ذلك هو عدم حُجّية الكشف في إثبات هذه الأمور، كما أنه ليس حُجّة في إثبات المعتقدات ولا الأحكام الشرعية<sup>(٣)</sup>. ومع ذلك فقد عوّل بعض الصوفية على كشف الشيخ علي المجذوب في إثبات أن زينب بنت علي عليه السلام قد دُفنت في مصر<sup>(٤)</sup>، كما اعتمدوا على كشف الشيخ المذكور للقول بأنّ سكينه أخت الحسين عليه السلام مدفونة أيضاً بمصر<sup>(٥)</sup>، هذا مع العلم أنّ سكينه هذه لم يثبت وجودها أصلاً في

(١) المسائل الفقهية للسيد فضل الله رحمته، ج ١ ص ٣١٦.

(٢) كما يحكى وينقل بشأن ما حصل مع الشاه إسماعيل الصفوي عندما انكشف في زمانه قبر الحرّ الرياحي وبان جسده طريّاً، أنظر: الكشكول للبحراني ج ١ ص ٣٤٤، نقل ذلك عن الأنوار النعمانية.

(٣) لدينا بحث مسهب حول مرجعية الكشف في المجالات الدينيّة في الكتاب المخطوط: أصول الاجتهاد الكلامي.

(٤) أنظر: مرقد العقيلة للسابقي ص ٦٧.

(٥) المصدر نفسه ص ٧٢، هذا وقد تحدّث الجبرتي في عجائب الآثار عن الشيخ المجذوب علي الهواري والذي كان - على حدّ قوله -: «من أرباب الأحوال الصادقين والأولياء المستغفرين، وأصله من الصعيد، وكان يركب الخيول ويروضها ويجيد ركوبها ولذلك لُقّب بالهواري، ثم ألقع عن ذلك وانجذب مرة واحدة، وكان للناس

نظر بعض العلماء، وستأتي مناقشة هذا القول في الملحق رقم (٥).

وينقل السيد حسن الصدر أنّ السيد مهدي القزويني كوشف من قبل صاحب الزمان عليه السلام في شأن قبر «حمزة بن القاسم بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب أبو يعلى، الثقة الجليل، قبره في الجزيرة في جنوب الحلة بين دجلة والفرات، له مزار معروف، كانت الأعراب تقول: إنه قبر حمزة بن الكاظم وهو غلط»<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: بناء المقامات وحسن الظنّ بالمسلمين

وقد يتصوّر البعض أنّ بناء المقام من قبل المسلمين هو بنفسه شاهد على صدقيّة هذا المقام وصحة انتسابه إلى صاحبه، وأنّ حُسن الظنّ بالمسلمين السابقين يقتضي أن لا نعيد فتح البحث والنقاش في مثل هذه المقامات.

ونلاحظ على ذلك، أنّ نفس بناء المقام وبصرف النظر عمّن بناه؟ ومتى؟ وكيف؟ ليس دليلاً على صحّة المقام واعتباره، فلا بدّ أن نلاحظ ظروف بنائه ومدى امتداده التاريخي وتلقّي المسلمين له بالقبول أو قيام القرائن والشواهد على صحته ومصداقيته.

أمّا مجرد حُسن الظنّ بالعامّة من المسلمين الذين يزورون المقام مع عدم توفر الشواهد المشار إليها، فهو لا يصلح قرينة إثباتية لا في هذا المجال ولا في غيره من المجالات، لأنّ حُسن الظنّ بالمسلم وحمل فعله على الصحّة معناه أنّه وعند دوران فعل المسلم بين الصحّة والفساد، فإنّه يُبنى على الصحّة، فلو صدر

فيه اعتقاد حسن، وحكى عنه غير واحد، ويدور في الأسواق والناس يتبركون به، مات شهيداً بالرميلة، أصابته رصاصة من يد رومي فقتله سنة ١١٦٧ هـ، وصلوا عليه بالأزهر وازدحم الناس على جنازته»، أنظر: عجائب الآثار للجبerty ج ١ ص ٣٢٥، ولعلّ الشيخ المجذوب صاحب الكشف بشأن مقامى زينب وسكينة هو هذا، والله العالم.

(١) أنظر: نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين، ص ٧٨.

منه عقدُ زواجٍ أو بيعٍ وشُكٌّ في صحته، يُبنى على الصِّحة، وهكذا الحال عند دوران أقواله وأفعاله بين الجائز والمحرّم، فعلينا أن نستبعد احتمال الحرام ولا نرتّب آثاره، فلو رأيناه يشرب مائعا تردّد أمره بين الخمر أو الماء، فحُسن الظنّ به، يعني أن نستبعد عنه شرب الخمر، وبالتالي لا يمكننا أن نحكم بسقوط عدالته، ولكن حُسن الظنّ بالمسلم لا يعني أبداً أنّ كلّ ما فكّر به فهو صحيح، وأنّ كلّ ما اعتقده فهو حقّ، أو أنّ ممارساته وأفعاله تمثّل حُجّة شرعيّة على الآخرين، فهذا لا مجال له إلّا إذا كان المسلم معصوماً، كما أنّ حُسنَ الظنّ بالمسلمين لا يعني عدم وقوعهم في الخطأ والاشتباه، فضلاً عن أن يمنع ذلك من البحث والتنقيب، وعليه فإنّ زيارة المسلم إلى «مقام»، معتقداً أنّه يضمّ قبر نبيّ من الأنبياء أو وليّ من الأولياء، لا يعني صحّة انتساب هذا المرقد إلى النبيّ أو الولي المرزور، وهكذا الحال في بنائه - أعني المسلم - لمقام من المقامات، فإنّه - في حدّ ذاته - لا يمثل حُجّة شرعية لإثبات صحّة المقام.







## بناء المقام شروط وضوابط

بعد التعرّف على وسائل الإثبات المعتبرة التي تخوّلنا نسبة القبور إلى أصحابها، فإنّ السؤال التالي الذي يطرح نفسه في هذا المجال هو متى يُبنى المقام الدينيّ؟ وما هي شروط ذلك وضوابطه؟  
تمكّننا الإشارة إلى جملة ضوابط:

### أولاً: العرش ثم النقش

إنّ من الطبيعي في عملية بناء مقام أو مزار ديني أن تكون الشخصية التي يُراد بناء المقام فوق ضريحها شخصية حقيقية وليست أسطورية أو وهمية، أو لم يثبت وجودها بأيّ دليل، أو بقريئة من القرائن، فإنّ بناء مقام لشخصية وهمية يُعدّ عملاً قبيحاً في شريعة العقلاء، ويعبّر عن ضحالة فكرية، وهو عمل محرّم شرعاً، لأنّه مصداق للكذب والخداع والتضليل، واختلاق أنساب لا واقع لها، وفي ضوء هذا الشرط فإنّه يجدر بنا التوقّف ملياً إزاء بعض المقامات التي بُنيت بأسماء شخصيات ليس هناك ما يثبت وجودها، من قبيل مقام «السيدة خولة» في مدينة «بعلبك» اللبنانية<sup>(١)</sup>، أو مقام السيدين «ياسر وناصر» في خراسان<sup>(٢)</sup>، وربما

(١) أنظر: الفصل الثاني من الكتاب.

(٢) يقع هذا المقام في منطقة گلستان، غربي مدينة مشهد المقدسة، وهو يبعد عن حدود مدينة «مشهد» حوالي ٥ كيلو مترات، وهو مقام عامر ومشيد بطريقة فنية رائعة، ويقصده آلاف الزوار، بما في ذلك الزوار القادمون من

يُذكر في هذا المجال مقام السيدة سكيئة بنت أمير المؤمنين عليها السلام في بلدة داريا في الشام<sup>(١)</sup>، أو غير ذلك من المقامات المنتشرة في بعض البلدان الإسلامية.

### ثانياً: المقام بالمقيم

والشرط الثاني لبناء مزارٍ أو مقام هو إثبات أنّ الشخصية التي يراد بناء المقام فوق ضريحها مدفونة في هذا المكان، بوسيلة من وسائل الإثبات المشار إليها سابقاً، وإحراز هذا الشرط هو أمر طبيعي تمليه علينا مصداقيتنا حتّى لا نقع في ممارسة التضليل والكذب أو غير ذلك من المحاذير الشرعية، ممّا سنشير إليه لاحقاً، وقد كان علماؤنا السابقون يحرصون على التثبت التام حيال هذا الأمر ويتعدون عن التساهل والتسرّع<sup>(٢)</sup>، ولعلّ من أوضح الأمثلة على الحالات التي بُنيَ فيها مقام في غير المكان الذي دُفِنَ فيه صاحب المقام: مقام الإمام علي عليه السلام وضريحه في مزار شريف في أفغانستان، وهناك أمثلة أخرى على ذلك<sup>(٣)</sup>.

لبنان والعراق وغيرهما من الدول العربية، وأما صاحبها هذا المقام «ياسر» و«ناصر» فهما على ما يُقال من أبناء الإمام الكاظم عليه السلام، لكنّ المصادر التاريخية والحديثية وغيرها لا تذكر «ياسر» و«ناصر» في عداد أولاد الإمام الكاظم عليه السلام، أجلّ هناك منشور يورّعه القَيِّمون على ذلك المقام جاء فيه نقلاً عن كتاب «كنز الأنساب» (وهو كتاب فارسي، زعم كاتب المنشور أنّه من تأليفات السيد المرتضى) أنّ «ياسر» و«ناصر» هما من أولاده عليه السلام، إلّا أنّه لا يمكننا التعويل على هذا الكلام، لأنّه لا يوجد في تأليفات السيد المرتضى كتاب باسم «كنز الأنساب» أو «بحر الأنساب»، هذا بالإضافة إلى أنّ الكتاب المذكور لم يحدّد مدفن هذين الشخصين على فرض وجودهما ولم يُشير إلى سبب موتهما في تلك المنطقة.

- (١) أنظر الملحق رقم (٥) حيث ستتم مناقشة هذا القول.
- (٢) كما نلاحظ هذا التثبت عند العلامة المحدث النوري وذلك فيما ذكره في شأن قبر الحرّ الرياحي حيث يقول: «وأما الحر فلم نحصل له على قبر سوى ما تشير إليه السيرة المستمرة عند الشيعة من أنّه معهم - يقصد الشهداء - ويظهر من المقالات والزيارات أنّه مع سائر الأصحاب...»، أنظر: اللؤلؤ والمرجان ١٣٦ - ١٣٧.
- (٣) منها: قبر المقداد بن الأسود الكندي في شيروان في إيران، فإنّه من المقامات التي لا أصل لها، كما جزم بذلك المحدث النوري حيث رجّح أنّه قبر بعض شيوخ العرب، لأنّ المقداد قد توفي في جرف اللؤلؤ والمرجان ص ١٣٧، وهناك قبر يُنسب إلى المقداد في منطقة السيدة زينب عليها السلام بالقرب من دمشق. ومنها: قبر أويس القرني في شوشتر، يقول العلامة الشيخ محمّد حرز الدين: «إنّ في شوشتر قبراً وبقعة عامرة ينسبون إليها أويس القرني،

أجل قد يحصل الخلاف بشأن مكان دفن بعض الشخصيات، كما هو الخلاف في مكان دفن السيدة زينب بنت علي عليها السلام وآته في الشام أو في القاهرة أو في المدينة المنورة<sup>(١)</sup>، وهكذا وقع الخلاف في مقام حمزة بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ولذا نجد له أكثر من مقام، فهناك مقام في الرّي متصل بمرقد السيّد عبد العظيم الحسيني، وله مقام آخر في قم، وثالث في شيراز، ورابع في كرمان، «والأول أشهر وروداً والرابع هو أضعف الأقوال»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا، وقع الخلاف في تعيين مكان دفن علي بن جعفر (هو ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام)، فمنهم من ذهب إلى أنّه مدفون في مدينة قم<sup>(٣)</sup>، ومنهم من ذهب إلى أنّه مدفون في العريض في المدينة المنورة.

وقد يُذكر في هذا الصدد قبر مالك الأشتر، حيث إنّ المعروف أنّه دفن في العريض أو القلزم<sup>(٤)</sup>، لكنّ بعض الباحثين المعاصرين رجّح أنّه دفن في «بعلبك».

ولا يخفى على كل المعني فطن أنّ نقل جسد أويس القرني من المعركة في صفين إلى شوشتر في حياة إمام زمانه أمير المؤمنين عليه السلام ممّا لا يفوه به أحد، أنظر: مرآة المعارف ج ١ ص ٢٦٤. ويذكر ابن جبير في رحلته أنّ في دمشق في الجبابة الغربية وعلى مقربة من باب الجابية قبر أويس القرني، أنظر: رحلة ابن جبير ص ٢٤١. ومنها: «المزار المعروف خارج طهران الذي يزار فيه رأس القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام، وهو قبر الشاه قاسم فيض بخش المتوفى سنة ٩٨١ هـ»، أنظر: تحفة العالم ج ١ ص ٣٠٢.

(١) بتّى القول بدفنها في الشام جمع من الأعلام والمحقّقين أمثال: السيد حسن الصدر أنظر: نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين ص ٧٢، والعلامة محمّد حرز الدين أنظر: مرآة المعارف، ج ١ ص ٣٢٧، وغيرهما من الأعلام، أنظر: مرقد العقيلة زينب للسابق، ص ١٨٣ - ٢١٥، وأما دفنها في القاهرة فقد نصّ عليه النسابة يحيى بن الحسن العبيدلي (٢١٤ - ٢٧٧ هـ) في أخبار الزينبيات، ص ١١٨ وما بعدها، وتبعه على ذلك بعض الأعلام، ومنهم العلامة النقدي في كتابه زينب الكبرى، ولكنّ السيد محسن الأمين العاملي قد رفض هذين القولين لضعف مستندهما، ورجّح أن تكون عليها السلام قد دفنت في المدينة المنورة، لأنّه «لم يثبت أنّها بعد رجوعها للمدينة خرجت منها»، أنظر: أعيان الشيعة، ج ٧ ص ١٤٠، وأما صاحبة القبر في «راوية» بالقرب من دمشق فهي برأي العلامة الأمين أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليها السلام وهي غير زينب الكبرى، ولكن يبدو أنّ السيد الأمين يكتفئ له بسنّه له الاطلاع على كتاب العبيدلي ورأيه في هذا المجال.

(٢) أنظر مرآة المعارف ج ١ ص ٢٦٢ - ٢٦٧.

(٣) يقول العلامة المجلسي بشأن مدفنه: «أمّا كونه مدفوناً في قمّ فغير مذكور في الكتب المعتمدة، لكنّ أثر قبره الشريف موجود قديم وعليه اسمه مكتوب»، بحار الأنوار، ج ٢ ص ٢٧٣.

(٤) يقول ياقوت الحموي عند حديثه عن «بعلبك»: «وبها قبر يزعمون أنّه قبر مالك الأشتر النخعي، وليس بصحيح».



إلا أنّ هذا الرأي يفتقر إلى الحُجّة المقنعة، ما يجعل من الرأي المشهور هو الأقرب إلى الصواب<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: شرف المكان بالمكين

والشرط الثالث لبناء المقام هو أن تكون الشخصية التي يُراد تشييد المقام على ضريحها ذات مكانة دينية تستحقّ لأجلها التكريم والتبجيل، أمّا الشخصيات التي ثبت أنها ليست ذات مصداقية دينية تستوجب التقدير والاحترام، أو التي لم يثبت كونها كذلك، لالتباس في مواقفها أو لغير ذلك من الأسباب، فلا مسوّغ شرعياً لبناء مقامات دينية لها، بل إنّ في البناء - والحال هذه - إشكالاً شرعياً، لما فيه من ترويح الباطل، ومن الأمثلة التي يمكن أن تُذكر في هذا المجال: مقام أبي لؤلؤة الذي قتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب والموجود في كاشان<sup>(٢)</sup>، ويمكن أن يندرج في ذلك أيضاً مقام ربيع بن خيثم المعروف بالخواجة ربيع في مشهد المقدسة، على الرغم من أنّ بعضهم قد وثّقه حتى عدّ من جملة الزهاد الثمانية، ولكن لم يثبت شيء من ذلك، بل إنّ الشواهد تشير إلى عكس ذلك<sup>(٣)</sup>.

### هل يكفي كونه من أبناء الأئمة عليهم السلام؟

ومجرّد كون الشخص من أبناء الأنبياء أو الأئمة عليهم السلام أو من أحفادهم لا يبرّر بناء مقام ديني له ما لم يثبت بالدليل أنّه شخصية ذات مكانة دينية، أو في الحد الأدنى أنّه شخصية ممدوحة، فإنّ بعض أبناء الأنبياء كانوا من الكافرين

فإنّ الأشتر مات بالقلزم في طريقه إلى مصر، وكان عليّ رضي الله عنه وجهه أميراً، فيقال: إنّ معاوية دسّ إليه عسلاً مسموماً فأكله فمات بالقلزم، فقال معاوية: «إنّ لله جنوداً من عسل»، فيقال: إنّهُ نقل إلى المدينة فدفن بها، وقبره بالمدينة معروف». أنظر: معجم البلدان ج ١ ص ٤٥٤

(١) أنظر الفصل الثاني من الكتاب.

(٢) أنظر الفصل الثاني من الكتاب.

(٣) أنظر الفصل الثاني من الكتاب.

بنبوة آبائهم، كما هو الحال في ابن نوح الذي هلك مع الهالكين، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ [هود: ٤٦]، وهكذا فإن بعض أبناء الأئمة عليهم السلام وأحفادهم لم يكونوا صالحين، بل صدرت من بعضهم تصرفات تدلّ على فساد عقيدتهم، أو عدم استقامتهم، ولم يرد في بعضهم مدح ولا تعديل، بل صدر في بعضهم الذم، كما لا يخفى على المراجع للمصادر التاريخية وسيرة الأئمة عليهم السلام والكتب الرجالية.. ومع ذلك فقد بنيت مقامات لبعض المذمومين منهم<sup>(١)</sup>.

### مقامات الأجنة

وثمة سؤال يطرح نفسه في المقام، وهو أنه في ضوء الشرط الثالث المتقدم لبناء المقامات الدينية، وهو أن تكون الشخصية ذات مكانة دينية، فهل يُبنى مقام للأجنة أو الأطفال غير المميّزين الذين لا يمتلكون مكانةً دينيةً مميزة، وإنما هم فقط من أبناء الأنبياء أو الأئمة عليهم السلام؟

وفي الإجابة على ذلك نقول: إنّ تعيين وحفظ المكان الذي دُفن فيه طفلٌ أو سُقط قد أجهض في حالات خاصة واستثنائية يكون مفهوماً ومبرراً عندما يأتي في سياق حفظ الشواهد التاريخية ذات الدلالة على بعض الأحداث، وليس من الحكمة طمس تلك المعالم والشواهد، لأننا قد نحتاجها في دراسة الحدث التاريخي والتعرّف عليه، وكذا في إعادة فهم الأحداث ومجريات الأمور، فهذه الشواهد هي سجلّ أو ذاكرة للأحداث التاريخية.

وأما إذا أُريد بناء مقام أو مزار ديني لهذا الجنين أو الطفل الصغير، فهذا أمر بحاجة إلى إثبات مشروعيته بدليل خاص أو عام، باعتبار أنّ حكمة الزيارة

(١) أنظر: الملحق رقم ٢.

الأساسية هي الاستلهام من روح المزور والتزوّد من معينه الفكري والروحي، أو إعلاء شأن الدين وتعظيم شعائره، وهذه غير متحققة في المقام، أجل لو كان هذا الطفل الذي يُراد بناء مقام له أو زيارته طفلاً مميّزاً وله مكانة علمية أو روحية رغم صغر سنّه، كما حدّثنا القرآن عن نبيّ الله يحيى الذي آتاه الله الحكمة وهو في مرحلة الصبا ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، فيكون الأمر مفهوماً ومبرراً.

وهكذا لا بدّ أن نخرج من محلّ البحث ما لو ورد النصّ في الحثّ على الاهتمام بطفل معيّن لخصوصية معيّنة، كما هو الحال - مثلاً - في الطفل الرضيع عبد الله ابن الإمام الحسين عليه السلام الذي قُتل عطشاناً مظلوماً يوم كربلاء، حيث يكون لبناء قبره وزيارته معنى الاحتجاج على الظلم وإدانة الإجرام والمجرمين.

### بناء مقام في موضع قدم النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام

والتساؤل عينه يُطرح إزاء ما قد يحصل أو هو حاصل بالفعل من بناء مقامات في موضع قدم النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام، فهل لنا أن نبني مقاماً في موضع القدم؟<sup>(١)</sup>

الحقيقة أنّي لم أجد أحداً من فقهاءنا قد ندب إلى هذا الأمر أو شجّع عليه، ولكن عثرتُ على رواية ربما يُستدلّ بها على شرعية البناء، وهي ما ورد في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «... ولقد وَضَعَ عَبْدٌ من عباد الله قدمه على حجر (صخرة) فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتّخذَه مصلًى..»<sup>(٢)</sup> في إشارة إلى مقام إبراهيم عليه السلام بالقرب من

(١) كما في المقام الموجود في منطقة نيسابور المعروف بـ «قدمگاه»، حيث يُزعم أنّ محلّ القدم الظاهر في الصخرة، هو محلّ قدم الإمام الرضا عليه السلام، والزوّار تتبرّك بمحلّ القدم، مع أنّ هذا الأمر كما يرى بعض العلماء لا مثبت له ولا دليل عليه، كما أنّه لا دليل على نفيه أيضاً. وتذكر بعض النشريات الصادرة عن إدارة «الحضرة الرضوية» أنّ عدد المقامات المبنية في منطقة مشهد وخراسان تحت عنوان: «قدمگاه» تزيد على العشرة!

(٢) التوحيد للشيخ الصدوق ص ١٧٩، وتفسير العياشي ج ١ ص ٥٩.

الكعبة المشرفة، وآثار القدم لا تزال بارزة في تلك الصخرة، قال تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، هذا ولكن العلامة المجلسي استظهر أن يكون المراد بالعبء في الحديث السابق هو النبي محمد ﷺ، حيث وضع قدمه ليلة المعراج في بيت المقدس وعرج منه إلى السماء<sup>(١)</sup>، ولكن التفسير الأول أقرب، وكيف كان فهذا الحديث قد يستدل به على استحباب اتخاذ موضع قدم النبي ﷺ مقاماً، ويتم تعميم ذلك إلى الأئمة عليهم السلام.

ولكن هذه الرواية بالإضافة إلى ضعفها سنداً<sup>(٢)</sup> فقد يُعترض على دلالتها بأن غاية ما تدل عليه هو جواز اتخاذ موضع قدم النبي ﷺ مصلى وليس مزاراً. اللهم إلا أن يُقال: إن المزارات هي أماكن للعبادة والصلاة أيضاً.

لكن بصرف النظر عن ذلك، فقد يكون مفهوماً ومبرراً أن يُحافظ على المكان الذي أقام أو صلى فيه النبي ﷺ أو الإمام عليه السلام، أو كان له فيه موقف مشهود أو خطبة مؤثرة، ليُتخذ منه معلّم تاريخي، أو يُبنى فيه مصلى أو مسجد للصلاة، أو صرح ثقافي، أو نادٍ تربوي، كما هي الحال في الحسينيات التي أنشئت في بلاد المسلمين بغرض إحياء أمر الإسلام وإقامة الشعائر والمناسبات الدينية وبيان فضائل النبي ﷺ والأئمة من أهل بيته عليهم السلام، ونحن نلاحظ أن شعوب العالم كافة تحتفظ ببعض آثار قادتها وزعمائها التاريخيين، وتحولها إلى متاحف الوطنية تخليداً لهؤلاء القادة وتعريفاً للأجيال القادمة بهم وبعطاءاتهم وحياتهم.

(١) بحار الأنوار ج ٩٩ ص ٢٧٠.

(٢) إن الرواية - بحسب ما جاءت في تفسير العياشي - مرسلّة عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام، وأما في كتاب التوحيد فهي وإن وردت مستندة، وقد رواها الصدوق عن العياشي، إلا أنها ضعيفة السند لوجود بعض المجاهيل فيه، ومنهم: «هارون بن عقبة» الذي لم نعثر له على ترجمة في كتب الرجال، وهكذا «أسد بن سعيد الخزاعي»، أجل ورد في رجال الشيخ اسم «أسعد بن سعيد الخثعمي» «النخعي» «الكوفي» لكنه لم يوثقه.

## هل يكفي الاحتمال؟

وقد تتساءل: ألا يكفي احتمال دفن شخصيّة ذات اعتبار ديني في مكان معيّن ليبرّر ذلك لنا - شرعاً - زيارتها وتشيد ضريحها وبناء مقام لها ودعوة الناس إلى الاهتمام بمشهدها؟

ونجيب على ذلك، بأنّ الزيارة أو بناء المشاهد هي أعمال عباديّة استحبابية، فتحتاج إلى دليل يدلّ على مشروعيتها وعباديتها، والدليل الذي بين أيدينا وهو الروايات قد دلّ على مشروعية زيارة أضرحة الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء والمؤمنين<sup>(١)</sup>، فالموضوع في هذه الروايات هو الشخصيات الحقيقيّة والموجودة بالفعل لا المحتملة الوجود أو المحتملة العلم والصلاح.

ولا ينفع التمسك بقاعدة التسامح بأدلة السنن المستندة إلى روايات «مَنْ بلغ»<sup>(٢)</sup> لإثبات مشروعية الزيارة في موارد احتمال وجود الشخصيّة الدينيّة أو احتمال صلاحها، لا لعدم تمامية القاعدة المذكورة في نفسها فحسب، كما هو ثابت في محلّه<sup>(٣)</sup>، بل لأنّ ما بلغنا الثواب عليه هو زيارة أنبياء الله وأوليائه أو عباده الصالحين والمؤمنين، فموضوع روايات «مَنْ بلغ» - كموضوع روايات الزيارة - هو الشخصيّة الثابتة الوجود والصلاح لا المحتمل وجودها أو صلاحها.

وربّما يقال: إنّ احتمال وجود الثواب على الزيارة كافٍ في تبريرها وتحسينها عقلاً، لأنّنا إذا احتملنا وجود شخصيّة دينيّة مدفونة في مكان معيّن، فإنّ زيارتها ستكون محتملة الثواب، والعقل يحكم بحسن الانقياد للمولى في موارد

(١) راجع: وسائل الشيعة: ج ١٤ أبواب المزار وما يناسبه.

(٢) جاء في هذه الروايات: «مَنْ بلغه ثوابٌ من الله على عمل، فيعمل ذلك العمل التماس ذلك الثواب أوتيه وإن لم يكن الحديث كما بلغه»، أنظر: وسائل الشيعة ج ١ ص ٨٢ الحديث ٧ من الباب ١٩ من أبواب مقدمة العبادات.

(٣) أنظر على سبيل المثال: مصباح الأصول، من تقارير بحث السيد الخوئي، لتلميذه السيد البهسودي ج ٢ ص

احتمال الثواب والمصلحة الأخروية، وعليه فلا محذور في أن يزور المؤمن بعض المقامات المحتملة الصدقية برجاء المطلوبة، وليس بعنوان الاستحباب الشرعي، حذراً من التشريع المحرّم.

وفي ضوء هذا التوجيه، فقد لا يكون ضعفُ الاحتمال (احتمال وجود الشخصية) ضاراً ما دام أنّ المحتمل قوي، والمحمّل هو الثواب الأخروي المترتب على زيارة من يحتمل أنّه ولي من أولياء الله، فقوة المحتمل تبرّر بنظر العقل الإقدام على الفعل ولو كان الاحتمال ضعيفاً.

إلا أنّنا نجيب على هذا الكلام بتسجيل ملاحظتين:

**الأولى:** إنّ هذا التوجيه - كما هو واضح فقهيّاً - لا يثبت استحباب زيارة المراقد المشكوكة الصدقية أو استحباب عمارتها والاهتمام بها، فلا بدّ أن يحاذر الزائر من الإتيان بالزيارة بقصد الاستحباب، وإلا وقع في محذور التشريع المحرّم، كما أنّه لا بدّ أن يحاذر - أي الزائر - من الجزم بوجود الشخصية، لأنّه لا يمتلك عناصر إثباتية تبرر له اليقين والجزم بذلك، وحيث إنّ غالب الزائرين الذين يرتادون المراقد المشار إليها يقعون في المحذورين معاً، أعني محذور نسبة عملهم وهو الزيارة أو بناء المقام إلى الاستحباب، ومحذور الجزم بوجود تلك الشخصية، فالواجب يحتمّ على أهل العلم تثقيف العامة على مراعاة الحدود الشرعية، وتعليمهم الموازين الفقهيّة المتصلة بالزيارة، حتى لا يقع الناس في المحذور ويقع العلماء في التقصير. ولا يخفى أنّ معنى أن يُكتب على مدخل مقام من هذه المقامات المشكوكة الصدقية: هذا مقام فلان، أو فلانة، أو أن يقف الزائر في مقابل الضريح ويقول: «السلام عليك يا فلان» أو «السلام عليك يا فلانة» أنّنا قد وقعنا في المحذور الشرعي، لأنّ هذه الكتابة أو المخاطبة تفترض وتسلم أنّ الشخصية المزورة هي شخصيّة حقيقيّة وموجودة فعلاً، وهذا قول بغير

علم، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

الثانية: ثم لو أنّ الشخصية المقصودة بالزيارة كان يُشكُّ في صلاحها وإيمانها وليس في أصل وجودها، فإن مقتضى الاحتياط حينئذ هو عدم زيارتها ولو برجاء المطلوبة، لأنّ احتمال المطلوبة إنما يكون قائماً وموجوداً إن لم يزاحمه احتمال المبعوضة<sup>(١)</sup> الموجودة في زيارة قبور من ليسوا من أولياء الله ولا من عباده المؤمنين، أو في تشييد قبورهم، فمع وجود احتمال المبعوضة بسبب عدم إحراز صلاح الشخصية المقصودة بالزيارة فلن يحكم العقل بحسن الانقياد، بل سيحكم بالتوقّف عن الزيارة احتياطاً.



(١) منشأ احتمال المبعوضة أنّ هناك نهياً شرعياً عن زيارة قبور غير الصالحين، من المنافقين والكافرين وغيرهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤].



## المحاذير الشرعية لبناء المقامات دون أساس صحيح

وربّما يتساءل البعض: ما المحذور في بناء مقام ديني حتى مع عدم توفّر الشروط والضوابط المتقدّمة؟ ألا يكفي مبرّراً لبناء المقام أنّه يشكّل مصدراً للتعبئة الروحية؟

والجواب: إنّ تشييد أضرحة ومقامات دينية في حال عدم توفّر الشروط الثلاثة المتقدّمة يتضمّن العديد من المحاذير الشرعية:

### أولاً: التضليل والكذب

إنّ معنى أن يُبنى مقام لشخصية وهمية، أو لم يثبت وجودها، أنّنا نمارس عملاً لا يخلو من تضليل وكذب، لأنّ معنى أن تكتب على الضريح أو على مدخل المقام: هذا مقام «فلان ابن فلان»، أو «فلانة بنت فلان»، أو تقول ذلك وتردّده على مسامع الناس، أو تُنشئ لذلك زيارة خاصة وتخطب بها صاحب المقام، فتقول على سبيل المثال: «السلام عليك يا بن رسول الله..» أو «السلام عليك يا بنت رسول الله..»، إنّ معنى ذلك أنّك تكذب كذباً صريحاً وتغري عامّة الناس بالجهل والكذب، والكذب كما هو معلوم لا ينحصر بالقول، بل يتحقّق بالكتابة أيضاً.

يقول المحدث النوري رحمته الله في بيان أقسام الكذب: «قد يكون الكذب باللسان، وهو القسم المتعارف منه والمصداق الحقيقي للكذب، وقد يكون



باليد كما لو كتب شيئاً ممّا مرّ ذكره ممّا لا أصل له وهذا شائع أيضاً كالأول، بل آثاره ومساوئه أكثر من آثار ومساوئ كذب اللسان، وذلك لأنّ كذب اللسان سرعان ما يمحي من الذاكرة، لكن كذب الكتابة يبقى مستمراً قروناً كما هو واضح وملحوظ، وقد يكون الكذب بالرأس، كما لو سئل شخص: هل قال النبي أو الإمام كذا؟ وهل فعل كذا؟ فيومئ برأسه أن «نعم» والواقع خلاف ذلك، أو يشير بـ «لا» والواقع هو الإيجاب، وهذا القسم يتحقّق بالعين والحاجب أيضاً بل هو كثير، وقد يكون الكذب بالأذن كما يحصل مع بعض مدّعي المقامات العالية من أنّهم يتظاهرون أمام مريديهم ومَن يريدون أن يوقعوهم في حبالهم أنّهم يسمعون حديث الجدران أو أنّهم سمعوا بعض الجنّ أو الملائكة يتكلّمون معهم ويعلمونهم بعض الأسرار، وقد يكون بالفم..»<sup>(١)</sup>.

وقد يدافع البعض في هذا المجال قائلاً: بأنّ الزائر عندما يخاطب المزور صاحب المقام ويسلم عليه فهو جازم أو مطمئن بوجود تلك الشخصية، وأنّها مدفونة في هذا المكان، الأمر الذي يُخرج كلامه عن دائرة الكذب.

ولكن لو أنّنا قبلنا هذا العذر لعامة الناس ممّن لا يملكون ثقافة تمكّنهم من معرفة هذا الأمر، إلّا أنّ المستغرب حقّاً أن يستجيز بعض من يتسبون إلى العلم وأهله إنشاء زيارة يخاطب بها شخصية معينة لا يمتلك شاهداً أو قرينة تؤكّد كونها شخصية موجودة بالفعل! وليس أقلّ غرابة من ذلك كلّ سكوت أهل العلم والفقهاء على مثل هذه الأكاذيب التي تجري بمرأى ومسمع منهم! مع أنّ سكوتهم في المقام سوف يغري عامّة الناس بالجهل ويوحى لهم بمشروعية عملهم، وأنّه عمل يُتقرّب به إلى الله، والسكوت في مثل هذه الحالات لا يخلو من محذور شرعيّ، لأنّ إعلام الجاهل بالموضوعات<sup>(٢)</sup>، وإن كان غير واجب

(١) اللؤلؤ والمرجان ص ٣٣، مصدر سابق.

(٢) تارة يكون الإنسان جاهلاً بالحكم وأخرى جاهلاً بموضوع الحكم، والأول يجب تعليمه وإرشاده، من باب تبليغ

في نظر الفقهاء، بيد أن الجهل في المقام ليس جهلاً صرفاً بالموضوع، وإنما هو جهل تترتب عليه بعض التجاوزات الشرعية مما يأتي الحديث عنها، كما أن المسألة في المقام ليست مسألة شخصيّة تتصل بخصوص الزائر ليترك لجهله، بل إن لها عنواناً ثانوياً عاماً يرتبط بصورة الجماعة المؤمنة التي سوف تنطع - أعني هذه الصورة - في أذهان الآخرين نتيجة عدم التدقيق في بناء المقامات الدينيّة أو تشييدها على أسس واهية.

لقد أدى التساهل والسكوت - ذات يوم - على ما يفعله العوام إلى ارتكاب زيادة منكرة في زيارة وارث المعروفة، ما سبّب بإخراج القاسم بن الحسن عن مجاورة عمّه الحسين عليه السلام، حيث جعل - أقصد القاسم - ممّن دُفِن خارج الحائر الحسيني، وهو من الكذب الواضح والصريح<sup>(١)</sup>.

## وضع الأحاديث

وهذا هو أخطر ما في الأمر، فإنّ التجرؤ على بناء مقامات دون أساس صحيح حيث لم يقابل بموقف حازم من قبل العلماء أدى إلى هذه الجرأة على الله ورسوله وأئمّة المسلمين عليهم السلام في التصرف في الزيارات المأثورة عنهم، وكذا وضع الأحاديث

الدين وبيان أحكامه، وأما الثاني فلا يجب تنبيهه على جهله، وعلى سبيل المثال: لو أنّ شخصاً كان يأكل الميتة، فإن كان جاهلاً بحرمة أكلها، فيجب على العالم بذلك أن يُعلمه بحرمة أكلها شرعاً، وأما إذا كان عالماً بحرمة أكلها ولكنه كان جاهلاً بالموضوع، بمعنى أنه لا يعلم أنّ اللحم الذي يأكله هو لحم ميتة، بل يعتقد أنّه مُذَكّي، ففي هذه الصورة لا يجب على العالم تنبيهه وإرشاده إلى حقيقة الأمر الذي يجهله وإن كان ذلك جائزاً، بل قد يكون مستحسنًا.

(١) والزيادة المشار إليها التي وضعت عقيب زيارة الشهداء الواردة في زيارة وارث، وهي: «السلام على أبيضكم وأسودكم وعلى من كان في الحائر منكم وعلى من لم يكن في الحائر معكم خصوصاً سيدي ومولاي أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين والقاسم بن الحسن...»، وهذا الأمر أو يجب انتفاضة بعض العلماء وهو المحدث النوري واحتجاجه على ذلك عندما لاحظ شيوع قراءة الزيادة المذكورة بين الزائرين، ولا سيّما عندما لاحظ بعض طلبة العلوم الدينيّة يقرأ تلك «الأكاذيب القبيحة»، فاعتبر أنّ في هذا الكذب جرأة على الله ورسوله عليه السلام والأئمّة عليهم السلام، ومع ذلك «ليس هناك من يعترض على ذلك ولا من ينهي عن ارتكاب مثل هذه المعصية!» أنظر اللؤلؤ والمرجان ص ١٣٤ - ١٤٠، وأنظر أيضاً: مرآة الكمال للمامقاني، ج ٣ ص ٢٣٤، وتحفة العالم ج ١ ص ٣٠٢.

الكاذبة والمفتراة على لسان الأئمة عليهم السلام، المرغبة في زيارة هذا المقام، أو ذاك، من قبيل ما وضع على لسان الإمام الرضا عليه السلام من أنه قال: «من لم يقدر على زيارتي فليزر أخي القاسم»<sup>(١)</sup>، يقول بعض العلماء بشأن هذا الكلام المعروف والمتداول على الألسنة إنه «كذب لا أصل له في أصل من الأصول، وشأنه عليه السلام أجل من أن يُرغَّب الناس في زيارته بمثل هذه الأكاذيب»<sup>(٢)</sup>. وذكر المحدث النوري في «جنة المأوى» أن هذا الحديث هو من الأخبار المشهورة التي لم يعثر على مأخذها<sup>(٣)</sup> وبالرغم من عدم وجود أصل لهذا «الحديث» وتصريح بعض العلماء بوضعه فإن بعضهم قد استدلل به في سياق الترغيب على زيارة القاسم<sup>(٤)</sup>.

وهكذا فقد وُضع حديث على لسان الإمام الرضا عليه السلام أيضاً بشأن ربيع بن خيثم المعروف بـ«الخواجة ربيع»، وأنه قال عليه السلام: «لم يحصل لي فائدة في المجيء إلى خراسان إلا زيارة الخواجة ربيع»<sup>(٥)</sup>.

ومن الأحاديث التي لا أصل لها في باب الزيارة ما روي عن رسول الله ﷺ: «من لم يقدر على زيارتي فليزر قبر أخي دانيال»<sup>(٦)</sup>.

## ثانياً: ترويح الباطل وتسخيف المذهب

إن تشييد الأضرحة والمقامات تارة يكون فوق أضرحة وقبور لشخصيات قد ورد فيها الدم والقدح عن النبي ﷺ أو أئمة الهدى عليهم السلام، أو لم يثبت كونها

(١) هو القاسم ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، «قبره قرب نهر الجربوعية من أعمال الحلة، جرت سيرة العلماء الأجلاء الحجج على شد الرحال لزيارته من النجف وكربلاء»، أنظر: نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين، ص ٧٨.

(٢) تحفة العالم ج ٢ ص ٣١.

(٣) أنظر: جنة المأوى، المدرج في بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٢٥٦.

(٤) أنظر: مزارات أهل البيت وتأريخها، ص ٩٠.

(٥) راجع الفصل الثاني من الكتاب.

(٦) مستدرک سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي ج ٣ ص ٣٥١.

ذات مكانة في الدين والعلم، وهذا النوع من التشييد محرّم، لأنّ فيه ترويجاً للباطل وتشجيعاً عليه من حيث ندري أو لا ندري، ولعله لهذا رفض العلامة الكبير السيد مهدي بحر العلوم زيارة قبرين لاثنين من أولاد الإمام الكاظم عليه السلام؛ دُفنا في جوار والدهما في الكاظمية<sup>(١)</sup>، وتارة أخرى يكون فوق أضرحة وقبور لشخصيات وهمية أو لم يثبت وجودها، وهذا فيه محذور آخر يُضاف إلى محذور الكذب والتضليل المتقدم، وهو توهين الخطّ وتسخيف المذهب الذي تنتسب إليه الجماعة التي تقوم بهذا العمل حيث تجعل نفسها والخطّ الذي تنتمي إليه في موضع السخرية والاستهزاء، وهو محذور كافٍ لاجتناب هذا العمل وحرمة الإقدام عليه.

أجل، لو أنّ بناء هذا المقام وتحشيد الناس إلى زيارته قام على أساس متين واستند إلى الحجّة القويّة والشواهد المقبولة فيحقّ لنا أن لا نبالي حينها باستهزاء الآخرين وما قد يقولونه، لأننا حينئذٍ نمتلك من الحجّة ما يمكننا من أن نبرّر أعمالنا ونوجّهها توجيهاً منطقيّاً وعقلائيّاً وشرعيّاً، تماماً كما لا يعيننا استهزاء البعض بشعيرة الحجّ وما تتضمّنه من أعمالٍ قد يخالها مدعاة للسخرية، فإننا على استعداد للإصرار على حفظ شعائر الإسلام، ومنها شعيرة الحجّ وزيارة قبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقبور الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، رغم استهزاء المستهزئين، لأنّها تقوم على أسس متينة وتستند إلى حجّة قويّة، وبإمكاننا أن نبين للآخرين فلسفة بعض الأعمال التي لا يفهمونها.

(١) ينقل ذلك بعض أحفاده وهو السيد جعفر بحر العلوم قائلاً: «لما خرج -أي السيد مهدي بحر العلوم- من الحرم الكاظمي أعرض عن زيارة المشهد المزبور، فقليل له في ذلك فلم يلتفت» أنظر: تحفة العالم في شرح خطبة المعالم ج ٢ ص ٣٣-٣٤، وقد أشار السيد مهدي القزويني إلى هذين القبرين فقال: «إنّ لأولاد الأئمة عليهم السلام قبرين مشهورين في مشهد الإمام موسى عليه السلام، من أولاده لكن لم يكونا من المعروفين»، وقال: «إنّ أحدهما اسمه العباس ابن الإمام موسى عليه السلام الذي ورد في حقه القدرح». المصدر نفسه، وراجع: كتاب المزار للسيد مهدي القزويني ص ١٣٩ بتفاوتٍ يسير، ولاحظ الملحق رقم ٢ من هذا الكتاب.

## ثالثاً: محذور الابتداع في الدين

وثمة محذور آخر لا يتعد عن هذا السياق، وهو أنّ بناء المقامات دون أساس صحيح يُخشى أن يجرّ إلى الابتداع في دين الله، لما تتضمّنه الطقوس التي تُؤدّى في المقام من ممارسات عباديّة وصلوات ذات كميّة خاصّة، كما يُلاحظ في بعض المشاهد، ونحن نلاحظ أنّ البعض يُنشئ زيارات خاصة يُزار بها صاحب المقام «وشيئاً فشيئاً تدخل هذه الكلمات في ضمن زيارات وأدعية العوام، وقد يوضع لها بعض العناوين لترويجها، مثل «طبع حديثاً»، أو «صدر جديداً»، على حدّ تعبير المحدث النوري<sup>(١)</sup>.

صحيح أنّ العلماء وبعض المؤمنين المتفقهين يعلمون أنّ هذه الزيارات لا تُقرأ بعنوان الورد أو الاستحباب الشرعي الثابت لها بخصوصها، لكنّ عامّة الناس لا يفقهون ذلك ولا يتمّ إرشادهم إليه، بل إننا نراهم يتعبدون بقراءة هذه الزيارات التي أنشأها البعض من العلماء، مع أنّ مضمونها الفكري قد لا يكون في بعض الأحيان دقيقاً ولا منسجماً مع المفاهيم الإسلامية الأصيلة.

ومن الضروري أن يتمّ التنبيه على الزيارات التي هي من إنشاء بعض العلماء، بأن يوضّح ذلك ويُنصّ عليه في مقدمة الزيارة حتّى لا يتخيّل أحد أنّها زيارات مروية عن الأئمة عليهم السلام ويُعامل معها معاملة الروايات المروية عنهم، لجهة الاستشهاد بنصوصها في الاستدلالات العقديّة أو الفقهيّة، أو حتّى في مجالات الوعظ والإرشاد.

كما أنّنا نتخوّف من أن يُقحم بعض الناس هذه «الزيارات» في كتب الأدعية المعروفة والمشهورة، الأمر الذي يُضفي عليها - أي على تلك الزيارات المنشأة من قبل بعض العلماء - نوعاً من «المشروعية»، ولا سيّما مع مرور الوقت، حيث

(١) اللؤلؤ والمرجان ص ١٣٥.

قد تتخيّل الأجيال اللاحقة أنّها من أصل الكتاب الذي هو من تأليف عالم جليل، وربما يتسرّب إلى تلك الأجيال اعتقاد بأنّ هذا العالم قد وجد خبراً عن الأئمة بشأن هذه الزيارة وإلاّ لما أدرجها في كتابه!

والتخوّف المشار إليه ليس مجرد احتمالات موهومة وضعيفة، وإنّما هو أمر واقع وله شواهد، وقد أشرنا سابقاً إلى الزيادة التي وضعها بعض الجهلة وأقحمها في زيارة «وارث»، فثارت - لذلك - نائرة بعض العلماء (المحدّث النوري) وندّد بهذا العمل واستغرب سكوت العلماء على ذلك! وهذا ما حصل مع تلميذه المحدّث الجليل الشيخ عباس القميّ، فقد عبث بعض الأيدي بكتابه المعروف «منتهى الآمال» وزادت فيه بعض الفقرات في حياة الشيخ، فثارت نائرتة وسجّل إدانته لتلك الجناية في كتابه الآخر «مفاتيح الجنان»<sup>(١)</sup>، [ولأهميّة كلامه نقله في الملحق رقم ٤ من ملاحق الكتاب]. وما حدّر منه وندّد به الشيخ القمي في حياته ارتكبه بعض الناس بعد وفاته، فأضافوا على كتاب المفاتيح قصة «حديث الكساء» التي رواها الطريحي في المنتخب، وحذفوا مقطعاً من كتابه «منتهى الآمال» يتّصل بحديث الكساء نفسه<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: هدر الأموال

والمحذور الآخر في بناء مقاماتٍ لا تتوفر فيها الشروط المتقدمة هو أنّ في بنائها تبديداً للأموال وهدراً لها في وجه غير مشروع، أو لم تثبت مشروعيتها، والمال المبذول في بنائها والحال هذه إن كان مصدره هو الحقوق الشرعية (الأخماس والزكوات) فإنّ صرفه في هذا المورد غير جائز، بل قد يكون فيه

(١) أورد ذلك في ختام الزيارة السابعة المعروفة بزيارة وارث في كتابه مفاتيح الجنان.

(٢) أنظر مقال الشيخ حسين الراضي «حديث الكساء بين التواتر والوضع» المنشور على موقعه الإلكتروني:

خيانة للحقّ الشرعي، لأنّ صرف الحقّ الشرعي في مورد أو سبيل معيّن لا يصحّ إذا لم يُطمأن بمشروعِيته وبراءة الذمّة بالصرف فيه، وإن كان المال المبذول مالاّ شخصيّا تبرّع به أصحابه لتشييد المقام، وليس حقّاً شرعيّا، فإنّ ذلك أيضاً لا يجيز البناء، لأنّ موارد إنفاق المال ولو كان شخصيّا لا بدّ أن تكون مباحة شرعاً، وإذا أراد الإنسان بذل ماله في وجه غير مشروع أو لم تثبت مشروعِيته فلا يحقّ له ذلك وفق الرؤية الإسلامية التي تحدّد من تصرفات الإنسان المالية وتضبطها في حدود ما أحلّ الله، وتمنعه من الإسراف والتبذير، لأنّ المال هو - في المبدأ - مال الله، والإنسان مستخلف فيه، قال تعالى: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

وفي ضوء ذلك، فإنّ المال المبذول لبناء المقامات التي لم تثبت مشروعِيته والذي لم يصرف بعد، إن كان قد جمع بعنوان «تبرّعات خيرية»، فإنّه يُصرف ويُنفق في وجوه الخير العامة، وإن كان قد تبرّع به أصحابه لخصوص هذا العمل الذي لم تثبت مشروعِيته فإنّه يُعاد إليهم إن أمكن، وإلاّ دخل في عنوان المال المجهول المالك، ويجري عليه حكمه، كما هي الفتوى الفقهيّة بذلك.

وهذا ما فعله بعض الفقهاء الكبار وهو الشيخ عبد الحسين الحائري الطهراني رَحِمَهُ اللهُ (ت ١٢٨٦هـ)<sup>(١)</sup>، عندما أرسل إليه القاجاريون مبلغاً من المال

(١) يقول السيد محسن الأمين في ترجمة الطهراني: «كان عالماً فقيهاً أصولياً رجالياً حافظاً للشعر العربي..» أنظر: أعيان الشيعة المجلد ٧ ص ٤٣٨، وقد درس رَحِمَهُ اللهُ على الشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر «حتى أجازه في الاجتهاد وعاد إلى طهران فأصبح زعيماً دينياً كبيراً في طهران، له مرجعية عظيمة ونفوذ كبير، وهو من عباد الله الصالحاء الأبرار الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مهما كلفه الأمر ولا يخشى السلطان، بل كان السلطان يخشى صولته، وقد عارض ناصر الدين شاه القاجاري في كثير من القضايا التي كان يرى أنّها لا توافق أحكام الشرع الشريف..» أنظر: الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة للعلامة المتبّع أغا بزرك الطهراني ج ٢ ص ٧١٢ - ٧١٣، ومن المعروف عنه رَحِمَهُ اللهُ قيامه بعمارة المشاهد المشرفة في كربلاء والكاظمية وسامراء، وهو الذي قام بتذهيب قبة العسكرين رَحِمَهُ اللهُ في سامراء وتوسعة الحرم الحائري. أنظر:

لأجل بناء قبر المختار الثقفي في الكوفة، فكتب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «القبر ليس معلوماً فلتصرف - الأموال - في أمر آخر»، يقول المحدث النوري الذي نقل هذه القصة: «وبعد إصرار شديد على لزوم صرفها في ذلك بدأ بالبحث عن قبره، وقد كنت يومها في خدمته فلم أحصل إلا على عبارة ابن نما<sup>(١)</sup> المشار إليها آنفاً»، وعبارة ابن نما هي قوله: «وإنَّ قَبْتَهُ لِكُلِّ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَابِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ كَالنَّجْمِ اللَّامِعِ»<sup>(٢)</sup>، ويضيف المحدث النوري قائلاً: «فأعرض - أي الشيخ الطهراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن الفكرة، فأخذ آخرون المال وفعلوا به ما فعلوا!»<sup>(٣)</sup>.

فمع أننا أمام شخصية حقيقية معروفة وليست وهمية، وهي شخصية المختار الثقفي، ومع أن مكان قبره معلوم على نحو الإجمال، ولكن بسبب انهدام القبة القديمة التي كانت عليه وعدم تشخيص مكان القبر على نحو تفصيلي، فقد أعرض الفقيه المذكور - وهو المهتم ببناء المقامات الدينية - عن بناء ضريح جديد له، ولم يرَ لذلك مجوزاً شرعياً، وأمر بإعادة المال إلى أصحابه، لكن جماعة من الناس - كما ينقل تلميذه النوري - تجاوزوا الحدود الشرعية «وحدّوا مكاناً في داخل المسجد ودفنوه فيه! ونقلوا عن العلماء أنهم يؤكّدون مكان قبره، وكلّ ذلك كذب وافتراء»<sup>(٤)</sup>.

أعيان الشيعة مصدر سابق، والكرام البررة، مصدر سابق، وقال تلميذه المحدث النوري: «أقام أعلام الشعائر في العنبات العاليات وبالغ مجهوده في عمارة القباب الساميات». أنظر: خاتمة المستدرج ج ٢ ص ١١٤.  
(١) وهو الشيخ الجليل صاحب كتاب «شرح طلب الثأر في شرح حال المختار».  
(٢) اللؤلؤ والمرجان ص ١٣٨.  
(٣) المصدر نفسه ص ١٣٨.

(٤) المصدر نفسه ص ١٣٨، ولا بد أن أشير هنا إلى أننا لا نهدف هنا سوى إلى بيان تحزّز العلماء في أمر المقامات الدينية ولا نرمي إلى تأكيد صحة ما اختاره الشيخ الطهراني وترجّح لديه، فهذا يحتاج إلى متابعة، ولا سيّما أن الشيخ محمّد حرز الدين ينقل عن السيد محمّد مهدي بحر العلوم (١٢١٢ هـ) أنّه عثر على قبر المختار عند تنقيبه عن آثار مسجد الكوفة، أنظر: مرآة المعارف ج ٢ ص ٣٠٨.



## خامساً: بطلان النذورات

والمحذور الخامس في المقام، هو محذور ذو صلة بالنذورات المالية أو غيرها والتي ينذرها المؤمنون لـ «صاحب المقام»، أو «المقام فلان»، فإنّ متعلق النذر - كما هو معلوم ونصّ عليه الفقهاء - لا بدّ أن يكون راجحاً شرعاً، ومن الواضح أنّ إحرار رجحان متعلق النذر فيما نحن فيه، إنّما هو في المقامات المستجمعة للضوابط الشرعية، أمّا إذا كانت فاقدة لذلك فلا ينعقد النذر، فلو أنّ شخصاً نذر أن يتبرّع بمبلغ من المال لصاحب المقام الفلاني أو لصاحبة المقام الفلانية، وكان فلان شخصيّة غير ذات احترام ديني، أو كانت فلانة شخصيّة غير موجودة أصلاً فلا ينعقد النذر والحال هذه ولا يجوز لأحد من الناس استلامه، بل لا بدّ من إعادة المال إلى أصحابه، حتّى لو كان الناذر معتقداً بوجود هذه الشخصيّة وباعتبارها الديني، فهذا لا يصحّ نذره من الناحية الشرعية، لأنّ رجحان متعلق النذر ليس شرطاً علمياً بل واقعي<sup>(1)</sup>، ومن هنا فإنّ وظيفة أهل العلم أن يُنبّهوا الناس ويرشدوهم إلى عدم انعقاد نذوراتهم في مثل هذه الحالات.



(1) الشرط العلمي والشرط الواقعي مصطلحان فقهيان، وتوضيحهما: أنّ الشرط الواقعي هو الذي يتساوى فيه العالم والجاهل، بخلاف الشرط العلمي، فإنّه شرط في خصوص العالم دون الجاهل، وعلى سبيل المثال يذكر الفقهاء أنّ طهارة الماء في الوضوء، وكذا إطلاقه، هو شرط واقعي، بخلاف الإباحة فإنّها شرط علمي، فلو توضأ - جهلاً - بماء نجس أو مضاف، ثم انكشف له الأمر فعليه إعادة الوضوء والصلاة، أمّا لو توضأ بماء مغسوب جاهلاً بغصبيته صح وضوؤه، وفي المقام حيث قلنا: إنّ رجحان متعلق النذر شرط واقعي، فهذا يعني أنّه لو أحرز المكلف بطريق معين أو اعتقد أنّ هذا الضريح هو لولي من أولياء الله تعالى، فنذر أن يذهب إلى زيارته كلّ ليلة جمعة مثلاً، ولكن انكشف له بعد ذلك أنّ هذا الضريح هو لإنسان فاسق أو كافر، فيسقط نذره ولا يجب عليه بعد ذلك الاستمرار في الذهاب إلى ذاك الضريح.



## مبَرّرات دفاعية

في المقابل، وإزاء المحاذير الشرعية المشار إليها، فإنّ البعض قد يدافع عن بناء المقامات والمزارات حتّى لو لم يثبت اعتبارها وفق الشروط والضوابط المتقدّمة، وما يمكن أن يذكر من مبَرّرات دفاعية هو التالي:

### أولاً: نُبل الهدف لا يدلّ على المشروعية

وأولى هذه المبَرّرات أن يُقال: إنّ الهدف من بناء هذه المقامات هو هدف نبيل وسام، فهو - أي البناء - من جهة يمثّل تكريماً لرموز الحقّ والدين، وتخليداً لذكراهم، وإعلاءً لشأنهم، ومن جهة أخرى، فإنّ المقامات هي مصدر إلهام روحي، فزيارتها تعمّق ارتباط العبد برّبّه وتغدو مراكز يُذكر فيها اسم الله تعالى ويصلّي له فيها المصلّون ويدعوه الداعون والمتهجّدون، ولهذا فإنّ تشييدها لا يحتاج إلى دليل خاص، لأنّه مصداق لإحياء أمر الدين وتعظيم شعائره. ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ويمكنك أن تضيف في بيان هذا المبرر قائلاً:

ألم تنتشر في بلاد المسلمين الشيعة النوادي الحسينية المعروفة باسم «الحسينيات» أو «المآتم» والتي أنشئت لغرض إحياء أمر الإسلام وذكر النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ وإقامة مجالس القرآن والذكر والاحتفالات الدينية المختلفة، مع

أنَّ تشييد هذه الحسينيات أمرٌ حادثٌ ولم ترد فيه نصوصٌ خاصة، ولكنَّ ذلك لم يمنع من مشروعية بنائها وكون ذلك سُنَّةً حسنة، وذلك لانطباق بعض العناوين العامة عليها، مثل عنوان: «إحياء الشعائر»، وعلى هذا النسق فلا مانع من أن تشاد في بلاد المسلمين نوادٍ علوية وحسينية وفاطمية ومهدوية..

ويلاحظ على ذلك:

أولاً: إنَّ ثمة خلطاً واضحاً واشتباهاً بيناً في هذا الكلام، لأننا في الوقت الذي نؤكد فيه على ضرورة تعظيم الشعائر من خلال الاهتمام بعظماء الإسلام ورموزه وتخليد ذكراهم والعناية بأضرحتهم وآثارهم وحفظها من الاندثار، والقصد إلى زيارتهم، وإقامة المراكز العلمية والتربوية والاجتماعية والخيرية بأسمائهم، بيد أنَّ هذا شيء، وإقامة أضرحة لهم في غير الأماكن التي دفنوا فيها ودعوة الناس إلى زيارتها مع الادعاء أو الإيحاء بأنَّ هذه هي أماكن دفنهم وتضمُّ في ثراها أجسادهم، شيء آخر، وإذا كان العمل الأول من مصاديق تعظيم الشعائر وينطبق عليه عنوان: «من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>، فإنَّ الأخير ليس من تعظيم الشعائر في شيء، وقد ينطبق عليه عنوان: «من سنَّ سنة سيئة (ضلال) فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: مع تسليمنا بأنَّ تعظيم الشعائر - وهو أمر مطلوب ومحجوب - ليس أمراً جامداً، بل هو متحرِّك ويتَّسم بالمرونة، ولهذا فلنا أن نستخدم أساليب جديدة في التعظيم وإحياء الأمر، إلاَّ أنَّ الشعيرة نفسها أمر توقيفي ولا يمكن لأحد ابتداع شعيرة ثمَّ الدعوة إلى تعظيمها، والشخصية التي يُراد بناء مقام فوقها هي ذاتها - بحسب الفرض - شعيرة من الشعائر، فإن كانت هذه الشخصية علماً من أعلام

(١) الكافي ج ٥ ص ١٠ ومسنَد أحمد ج ٤ ص ٣٦١.

(٢) ثواب الأعمال ١٣٢ مسنَد أحمد ج ٤ ص ٣٦١.

الدين، فهي إذاً شعيرة من شعائر الله، ولا بدّ أن نعظّمها، وإن كانت من أعلام الباطل، أو لم يثبت أنّها ذات مكانة دينيّة، أو لم يثبت وجودها أصلاً فلا يكون تعظيمها تعظيماً لشعائر الله، إمّا لأنّها ليست من الشعائر الدينيّة، أو لم يثبت كونها منه.

ثالثاً: إنّ مجرد نُبل الهدف وحسن النوايا، لا يمثّل دليلاً على مشروعية العمل، بل لا يخرج العمل بذلك عن الابتداع المحرّم في دين الله، فإنّ أكثر حالات الانحراف الدينيّ كانت تنطلق من نوايا حسنة وطّيبة، وإنّ أكثر الناس ضرراً على الدين هم بعض أصحاب النوايا الطّيبة، ألم يندفع بعض الأشخاص بنوايا طّيبة إلى وضع الأحاديث على لسان رسول الله ﷺ ولسان أئمّة الدين بما يرغب الناس في الإيمان ويزهّدهم في الدنيا ويشجعهم على تلاوة القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، فأساءوا بذلك إلى سُنّة النبي ﷺ وأضاعوا حقائق الإسلام في ركاب الأكاذيب التي وضعوها حسبة وقربة إلى الله!

### ثانياً: الأضرحة الرمزيّة

وربّما يبرّر البعض بناء الأضرحة وتشيد المقامات فوقها باعتباره عملاً رمزيّاً يُراد منه أن يكون تذكّراً للشخصيّات العظيمة، ويهدف إلى استحضارها بطريقة حسّيّة تمثيليّة، للاستلهام من دروسها وعطاءاتها، ولا يُراد من صنع شبيهه الضريح إيهام الناس بأنّه يضمّ في ثراه جسد هذه الشخصيّة، تماماً كما هو الحال في النعوش الرمزيّة التي تُصنع اليوم عند موت بعض الشخصيّات، حيث يحمل

(١) يقول القرطبي في بيان أقسام الوضّاعين: «ومنهم: جماعة وضعوا الحديث حسبة - كما زعموا - يدعون الناس إلى فضائل الأعمال، كما روي عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المرزوي ومحمد بن عكاشة الكرمانى وأحمد ابن عبد الله الجويباري وغيرهم، قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقّه أبي حنيفة ومغازي محمّد بن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة!» أنظر: تفسير القرطبي ج ١ ص ٧٨، والاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٤١٥.

محبّو هذه الشخصيّة النعش الرمزي ويجوبون به الطرقات تعبيراً منهم عن تقدير هذه الشخصيّة واحترامها، أو تنديداً بطريقة قتلها، أو لغير ذلك من الدوافع والأسباب.

وبهذا المعنى من الدلالة الرمزية فقد فسّر بعض العلماء وجود مقامات متعدّدة باسم «مقام رأس الحسين عليه السلام»، وذلك في أكثر من بلد من بلدان المسلمين، مع العلم أنّ بعض هذه البلاد لم يصل إليها الرأس الشريف - حسب رأيه -، كما في عسقلان في فلسطين أو القاهرة، وقد أسلفنا أنّ العلامة الطهراني صاحب كتاب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» وجّه أو برّر بناء العديد من المقامات المنتشرة في بعض البلدان على أساس أنّها مجرد تذكّار لتلك الشخصيّة.

ولنا أن نعلّق على هذا المبرّر بأنّ بناء المقامات بطريقة رمزية بعد التسليم بمشروعيتها لا بدّ أن تكون الرمزية فيه واضحة وجليّة حتّى لا تقع مع مرور الزمن بالالتباس ويحصل الوهم وتضيع الحقائق، كما يحصل ذلك عندما يُبنى ضريح ويكتب على لوحة القبر: «هذا ضريح فلان بن فلان»، ومن ثمّ تأتي الناس لزيارته وتقديسه والتبرّك به على هذا الأساس، دون نكير من أحد، وهكذا عندما يُتخذ نعش رمزي، ومن ثمّ يتمّ تقديسه ويُعامل معه كما لو كان بالفعل يضمّ أو ضمّ ذات يوم جسد النبي صلى الله عليه وآله أو الولي..

نقول هذا الكلام مع تأكيدنا على أنّ روح المزور لا تحبسها الجدران ولا تقيدّها الأقفاس، وأنّ الزيارة تؤتي أكلها سواء وقعت عن قرب أو بُعد، بل حتّى لو لم نعرف مكان دفن الرمز الدينيّ المقدّس، فهذا لا يمنع من زيارته، إذ يمكن أن نتوجّه إليه أينما كان ونستحضره في الروح والوجدان، ونسلم عليه أذكى السلام ونستمطر عليه شأبيب الرحمة الإلهية، ونستلهم دروسه وهديه، ونجعل قلبنا وعقلنا موطناً دائماً له، كما نقل عن ابن الجوزي في تعليق له على

اختلاف الأقوال وتعددها بشأن مكان دفن رأس الإمام الحسين عليه السلام حيث قال: «وفي الجملة ففي أيّ مكان رأسه أو جسده فهو ساكن القلوب والضمائر، قاطن الأسرار والخواطر، أنشدنا بعض أشياخنا في هذا المعنى:

لا تطلبوا المولى الحسين بأرض شرقٍ أو بغرب  
ودعوا الجميع وعرجوا نحوي فمشهده بقلبي<sup>(١)</sup>

ورحم الله أستاذنا سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله حيث قال تعليقاً على مكان دفن السيد زينب عليها السلام: «القبر ليس مجرد مكان يُدفن فيه إنسان، ولكنه رمز يذكّرنا بالإنسان، وليست مشكلتنا أين دُفنت السيدة زينب عليها السلام، ولكن مشكلتنا أين تعيش السيدة زينب فينا؟ ليكن قبرها في الشام أو في مصر، أو في المدينة، فنحن نستوحي موقفها ولا نستوحي قبرها، وإن كنّا نجعل القبر مناسبة لأن نتذكرها»<sup>(٢)</sup>.

إنّ هذا السموّ في العلاقة مع الرمز الدينيّ وعدم تأطيرها بمكان أو زمان خاصين لا يشكل دعوة إلى بناء المقامات على أسس واهية أو لشخصيات موهومة، وإنّما يعني الارتفاع والارتقاء بعلاقتنا بالرمز عن مجرد الارتباط الحسيّ إلى الارتباط الروحي والمعنوي والفكري.

### ثالثاً: محاذرة الهتك والتشكيك

وربّما يُبرّر البعض دفاعه عن بناء المقامات وحفظها حتّى ولو لم تكن مرتكزة على أسس متينة، ببعض الاعتبارات التي يمكن أن تندرج فيما يصطلح عليه فقهيّاً بالعناوين الثانوية، وذلك من قبيل المزاعم التالية:

(١) نقلاً عن شرح إحقاق الحقّ للسيد المرعشي ج ٣٣ ص ٧٠٥.

(٢) للإنسان والحياة، إعداد شفيق الموسوي، ص ٢٧٣.

١ - إنَّ الحديث عن عدم شرعية بعض المقامات سيؤدّي إلى فتح باب التشكيك في صدقيّة سائر المقامات الدينيّة، بما فيها المقامات الثابتة النسبة إلى أصحابها، وهو ما سوف يزهّد الناس في زيارة المراقد المطهّرة، كما ويمنح حُجّة لمعارضني بناء المقامات الدينيّة والداعين إلى هدمها.

٢ - إنَّ الحديث عن عدم صدقيّة هذه المقامات يثير حفيظة العامة من الناس الذين يرتادونها، والذين لهم اعتقاد راسخ بها، وهو أمر قد يؤدّي إلى شحن النفوس وبعث الأحقاد وإيقاد الفتن بين المؤمنين.

٣ - إنَّ مثل هذا الحديث عن عدم صدقيّة هذه المقامات يعني سلب الاحترام والقدسية عنها، وهو ما قد يغري بعض الناس بعدم احترامها والإقدام على ارتكاب بعض التصرفات المهينة فيها، أو إطلاق بعض الكلمات التي تعبّر عن الاستخفاف بها، وهو أمر إذا لم يكن محرّماً بالعنوان الأوّلي، فلا شكّ أنّه محرّم بالعنوان الثانوي، باعتبار أنّ هذه المراقد وبعد انتسابها لدى جمهور الناس إلى الأسماء والشخصيّات المقدّسة، فإنّ الإساءة إليها سوف تُعدّ - في العُرف العام - إساءة إلى تلك الشخصيّات، والاستخفاف بها يُعدّ استخفافاً بتلك الشخصيّات.

٤ - وربما يقال أيضاً: لماذا هذا التشدّد في أمر المقامات، ووضع كلّ هذه الضوابط والشروط على عملية البناء والزيارة؟ إذ ما دامت الغاية من البناء نبيلةً وشريفةً وهي ربط الناس بالمقامات الدينية وما تمثّله من مصدر للتعبئة الروحية والمعنوية فيسهل الخطب وتهون الأمور.

ولكنّ هذه الوجوه لا تنهض بإثبات صدقيّة هذه المقامات، لأنّها وجوه أو اعتبارات غير تامة:

أمّا الاعتبار الأول: وهو أنّ إثارة هذا الموضوع يفتح باب التشكيك في سائر المقامات، فجوابه واضح، إذ إنّ الأمر على العكس، فإنّ الدعوة إلى التّثبت في

بناء المقامات، وتشييدها على أسس صحيحة ومتمينة ورَفُض بنائها على أسس واهية سوف يزيد من ثقة الناس في زيارة المقامات الأخرى الثابتة النسبة إلى أصحابها، وأمّا التساهل في بناء المقامات والمسارة إلى تشييدها لأدنى شبهة - كبنائها على أساس المنامات، أو الكشف، أو غير ذلك من الاعتبارات الواهية - فهو الذي سوف يفتح باب التشكيك في صدقيّة سائر المقامات.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ المنطق المذكور هو في نفسه منطوق متهافت ومرفوض، إذ إنّ مجرد احتمال تسرّب الشكّ إلى نفوس البعض بسبب انتقاد موجه إلى بناء بعض المقامات، لا يمنع من شرعية هذا النقد ما دام أنّه انتقاد مُحَقِّقٌ ويستند إلى الدليل، ويهدف إلى حماية صورة الجماعة المؤمنة من التشويه والسخرية، وينطلق من الحرص على تعزيز ثقة الناس بالمقامات الدينيّة، هذه الثقة التي سوف تهتزُّ إذا لم يحصل تثبُّتٌ في بناء المقامات، لا ما إذا حصل التثبُّت المذكور، كما أنّ «عذر» المخالفين لبناء المقامات سوف يجد له آذاناً صاغية إذا لم يحصل التثبُّت في بنائها وبُنيت على أسس واهية.

والخلاصة: إنّهُ ليس من المنطقي في شيء القول بأنّ علينا أن نقرّ المنكرات حتّى لا يترك الناس النوافل والمستحبات، أو نسكت على الباطل حتّى لا يترك بعض الناس الحقّ! قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (الكهف: ٢٩).

أمّا الاعتبار الثاني، وهو ما قد يترتب على إثارة هذه القضايا من شحن للنفس، فهو اعتبار مرفوض ولا يخلو من تهويل مبالغ به، لأنّ الأمور عندما تُطرح بطريقة موضوعية وباعتماد أسلوب الحكمة فلا يخشى من مثل هذا المحذور.

إنّ الخشية الحقيقية ليست من الجمهور العام الذي يندفع ببراءة تامّة وعاطفة جيّاشة إلى زيارة هذه المقامات، وإنّما الخشية الحقيقية من بعض المنتفعين من



هذه المقامات حيث أصبحت مصدر رزقهم وعيشهم، وإننا على ثقة تامة بأن إقناع الجمهور بأية قضية هو أمر ميسور إذ اقتنع بها أولئك الذين يمتلكون التأثير على هذا الجمهور، والذين يُشرفون على توجيهه، ويتحمّلون المسؤولية الكاملة عن توعيته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وفي أضعف الإيمان، فإنّ عليهم أن لا ينخرطوا مع هذا الجمهور في الأعمال التي لا تملك شرعية، ليسجلوا موقفاً سلبياً إن لم يتسنّ لهم تسجيل موقف إيجابيٍّ فاعل ومغيّر.

إنّ التزام الحقّ قولاً وفعلاً هو أمر مُكلف على الدوام، ويحتاج إلى عزم قويٍّ وصبر شديد، ففي الحديث عن أبي ذرّ الغفاري رضوان الله عليه: «أوصاني رسول الله ﷺ بأن أقول الحقّ وإن كان مرّاً»<sup>(١)</sup>.

وعلى علماء الدين أن يكونوا إلى جانب الحقّ لا الباطل، وحرّاساً للحقيقة لا للخرافة، أمّا مداراة العامة على حساب الدين، فهي خيانة للدور الرسالي الذي أنيط بهم وآلوا على أنفسهم تحمّل أعبائه، بل إنّ مداراة العامة هي إحدى أسباب تحريف الدين وتشويه حقائقه، في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ حقيقة الإيمان أن تُؤثّر الحقّ وإن ضرك على الباطل وإن نفعك، وأن لا يجوز منطلقك علمك»<sup>(٢)</sup>.

وأما الاعتبار الثالث، فيلاحظ عليه: بأنّ الدعوة إلى بناء المقامات على أسس صحيحة ومثينة لا تتضمّن توهيناً ولا استخفافاً بالأسماء التي تنتسب هذه المقامات إليها، ولم يتبنّ أحدُ الدعوة إلى «هتك» هذه المقامات أو هدمها وتدميرها بقصدِ التوهين أو بعنوانِ أنّها تنتسب إلى تلك الشخصيات أو مع العلم بذلك، ليتحدّث متحدّثٌ عن أنّ ذلك فيه إهانة إلى الأسماء التي تُعزى هذه المقامات إليها، وإنما غاية ما هناك أنّنا ندعو:

(١) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ١٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ويجوز بمعنى يتجاوز.

أولاً: إلى ضرورة بنائها على أسس صحيحة، لنعرف متى وكيف نبني مقاماً؟ ومن هي الشخصية التي نندفع إلى تشييد مقام لها، أو نشدُّ الرّحال إلى زيارتها أو نعمل على تقديسها واحترامها؟ وهذا الأمر إذا تمّ، فإنّه كفيل مع الزمن بأن يميّز الغثّ من السمين، ويهجر الناس المقامات غير الموثوقة.

ثانياً: إلى ضرورة تثقيف المؤمنين وتوجيههم إلى الاهتمام بزيارة المقامات الصحيحة، وبذل المال في بنائها وتشييدها دون المقامات غير الصحيحة أو المجهولة.

ثالثاً: وإذا أصرَّ بعض الناس على البناء، فليبن مسجداً أو صرحاً ثقافياً باسم تلك الشخصية الدينيّة المقدّسة، وأمّا أن يُبنى مقام ويوضع في داخله قفص وتُدعى الناس إلى زيارته باعتبار أنّه يضمُّ قبر تلك الشخصية، فهذا ما نرفضه رفضاً حاسماً، للاعتبارات الشرعيّة المتقدّمة.

وأما الاعتبار الرابع، فهو واهٍ جداً، ولا يُصغى إليه، لأنّ الغاية لا تبرّر الوسيلة، مهما كانت الغاية نبيلة، بل إنّ نبل الهدف والغاية لا بدّ أن ينعكسا على الوسيلة، وهذا ما نستوحيه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام - فيما روي عنه - عندما طُلب منه أن يميّز بعض الناس في العطاء، فقال عليه السلام: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه!»<sup>(١)</sup>، ونستوحيه أيضاً مما قاله الإمام الصادق عليه السلام - فيما روي عنه -: «قليل الحقّ يكفي عن كثير من الباطل»<sup>(٢)</sup>، هذا لو كانت المسألة ليست ذات صلة بقضايا العبادة، أمّا وأنها من المسائل العبادية، لأنّ المسلم يتعبّد الله تعالى بزيارة الأنبياء والأولياء، فهي تحتاج إلى دليل صحيح يثبت مشروعيتها، وإلا نكون قد وقعنا في محذور إضافي وهو محذور الابتداع في الدين.

(١) نهج البلاغة، ج ٢ ص ٧.

(٢) الكافي ج ١ ص ١٧٣.





### المصطلح الثاني

#### مقامات لم يثبت اعتبارها

- مقام السيّدة خولة في «بَعْلَبَكَّ» (لبنان)
- مقام أبي لؤلؤة في كاشان (إيران).
- مقام الخواجة ربيع بن خثيم في خراسان (إيران)
- قبر مالك الأشر في «بَعْلَبَكَّ»



إنّ هذا الفصل كما أشرنا في المقدمة مخصّص للحديث عن بعض المقامات «الدينيّة» التي بُنيت على أسس واهية دون مراعاة شروط وضوابط بناء المقام الدينيّ، ممّا تقدّم الحديث عنه مفصّلاً؛ وما سوف نتناوله في هذا الفصل هو بعض النماذج الدالة، وإلاّ فالمقامات «الدينيّة» التي تفتقد إلى شروط مشروعية البناء كثيرة ومنتشرة في الكثير من بلدان المسلمين سواءً من السُنّة أو الشيعة، وقد تمّت الإشارة العابرة إلى الكثير منها في ثنايا البحوث السّابقة، والمقامات التي أردنا التطرّق إليها، هي:

- ١ - نموذج مقام لشخصية لم يثبت وجودها.
- ٢ - نموذج مقام لشخصية لم يثبت دفنها حيث بُني مقامها، ولم يثبت اعتبارها الديني.
- ٣ - نموذج مقام لشخصية لم يثبت اعتبارها الديني.
- ٤ - نموذج قبرٍ لشخصية لم يثبت دفنها حيث القبر المنسوب إليها.





## مقام السيدة خولة في «بَعْلَبَكَّ»

في مدخل مدينة «بَعْلَبَكَّ» وفي جوار قلعتها الشهيرة يرتفع مقام يحمل اسم خولة بنت الإمام الحسين عليه السلام، وقد كان هذا المقام في السابق عبارة عن غرفة صغيرة يؤمّه بعض الناس من «بَعْلَبَكَّ» ومحيطها، إلاّ أنّه في السنوات الأخيرة سعى بعضهم إلى توسعة المقام وإعادة بنائه على طراز جميل وحديث كما هي طريقة بناء المقامات الدينيّة المنتشرة في العراق وإيران وغيرهما، ولا تزال أعمال التوسعة قائمة إلى اليوم. وعلى بُعْدِ أمتارٍ من هذا الضريح شجرة سرو (وقيل: لزّاب) قديمة العهد، قيل: إنّ محيط جذعها ثمانية أمتار<sup>(١)</sup>، وكان الناس يأخذون بعض أغصانها أو أجزاءها، للتبرّك بها (والتبرّك بالأشجار هي عادة منتشرة في كثير من الأماكن)، وذلك قبل أن تتم إحاطتها بسور زجاجي عالٍ ومرتفع حال دون إمكانية وصول أيدي الناس إليها، ولعلّ الهدف من وضع هذا السور هو حمايتها من تجاوزات بعض الناس، ولا سيّما إذا ما اتّخذ البعض من أوراق تلك الشجرة أو أغصانها مادةً للاتجار بها!

والملاحظ أنّه في السنوات الأخيرة ازداد زوّار هذا المقام وروّاده بشكلٍ لافت، وأصبح مقصوداً من مختلف المناطق اللبنانية، ويزوره الكثيرون من غير اللبنانيين أيضاً، ويلاحظُ الداخل إليه أنّه قد كتبت داخله زيارات خاصة من تأليف

(١) تاريخ «بعلبك»، حسن عباس نصر الله ج ٢ ص ٦٧١.



بعض الناس، وعلقت على بعض جدرانه، وقد جاء فيها: «السلام عليك يا بنت رسول الله ﷺ السلام عليك يا بنت أمير المؤمنين السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة الفاضلة..»!

وتقول الرواية المتداولة شعبياً عن قصة هذا المقام: إنه لما سُبِي عيال الحسين ﷺ بعد معركة كربلاء وجيء بهم إلى الشام، كانت «بعلبك» إحدى محطات هذا المسير، وبسبب رحلة التعب والآلام التي مرّ بها هذا الموكب، فقد توفيت إحدى البنات الصغيرات، وهي المسماة خولة بنت الحسين ﷺ، وكان عمرها آنذاك ست سنين، فدُفنت في «بعلبك».

وفي رواية شعبية أخرى متداولة أنّ خولة ليست طفلة، بل إنها سُقِطَ ألقته زوجة الإمام الحسين ﷺ عندما عَبَرَ ركب السبايا مدينة «بعلبك» في الطريق إلى دمشق<sup>(١)</sup>.

## المشاعر والحقائق

وقبل الدخول في بحث هذا الموضوع، فأني أريد مصارحة القارئ الكريم بحقيقة مشاعري التي تنطوي عليها سريرتي، وهي أنني ربما أكون ميّالاً وراغباً في الوصول إلى نتيجة إيجابية تُثبتُ صدقَ هذا المقام، وذلك يُرضي عواظي وحبّي لبلادي وأهلي ورغبتني وأنسي في أن يكون لأهل البيت ﷺ ولا سيّما الإمام الحسين ﷺ بضعة طاهرة في أرضنا ومناطقنا العزيزة على قلوبنا، ولكنّي أدرك أنّ المشاعر لا تكفي في الإثبات أو النفي في مجالنا هذا وغيره من المجالات العلميّة، بل ربما كان اللازم على الباحث ليكون منسجماً

(١) وقد أشار إلى هاتين الروایتين الشيخ جعفر المهاجر في كتابه مالك الأشتر، سيرته ومقامه في «بعلبك» ص ١٤٣، بينما أشار الدكتور حسن عباس نصر الله إلى الرواية الأولى فقط، أنظر تاريخ «بعلبك» ج ٢ ص ٦٧١ والظاهر أنّ الرواية الأولى هي الأكثر انتشاراً وتداولاً اليوم.

مع المنهج العلمي الأصيل أن يتجرّد من مشاعره الخاصة أو يضعها جانباً أثناء عملية البحث حتى لا تملي عليه - هذه المشاعر - اتجاههاً معيناً، فيتعد عن الحقيقة والموضوعية، كما يحصل مع بعض الباحثين ممّن يقع أسير مشاعره أو مصالحه، فيعمد إلى تحشيد الشواهد، وتكلف «الدلائل» وتطويع النصوص وتأويلها بما ينسجم مع ميوله ورغباته!

## مراحل البحث

وإثباتاً لصدقيّة هذا المقام يتحتّم علينا أن نجد جواباً مقنعاً عن الأسئلة التالية:

١ - هل ثمة بنتٌ للإمام الحسين عليه السلام باسم خولة؟

٢ - إذا ثبت أنّ ثمة بنتاً باسم خولة، وأنها كانت مع عيال الإمام الحسين عليه السلام في سفره إلى العراق، فهل مرّ موكب العيال (السبايا) في مدينة «بعلبك»؟

٣ - إذا ثبت أنّ هذا الموكب مرّ في «بعلبك»، فهل توفيت إحدى بنات الموكب في تلك المحطة من محطات رحلة الأحران؟

٤ - إذا لم يثبت شيء من ذلك، فكيف نفسّر وجود هذا المقام في «بعلبك» المنسوب إلى خولة بنت الحسين عليه السلام؟

## ١- هل للحسين عليه السلام بنت باسم خولة؟

أمّا فيما يرتبط بالسؤال الأول، فلا يوجد ما يُسعفنا - إطلاقاً - على القول بوجود بنت للإمام الحسين عليه السلام اسمها خولة، فالمصادر التاريخية وكُتُب الحديث والأنساب وغيرها التي تحدّثت عن حياة الإمام الحسين عليه السلام وزوجاته وأولاده لم تُشر إلى هذا الاسم في عداد بناته عليه السلام<sup>(١)</sup>. وعدم الإشارة إلى هذه

(١) أنظر: الإرشاد للمفيد ج ٢ ص ١٣٥، ودلائل الإمامة للطبري ص ١٨١، و مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب

البت - لو كانت - لا يُمكن أن يُفهم على أنه مجرد سكوت أو عدم اكتراث أو إهمال، لأننا لسنا نتحدّث عن بنتٍ لشخصيّة مغمورة أو عادية، وإنّما نتحدّث عن بنت الحسين بن علي عليه السلام سيّد شباب أهل الجتّة، والذي تتطلّع إليه وإلى ذريته الأنظار، كما أنّ قصّة موتها - بحسب الفرض - في رحلة السبي والمعاناة التي لم تعرف سابقة في الإسلام تستلفت الانتباه، ومن البعيد جدّاً أن تمرّ مرور الكرام دون أن يشير إليها أحد من المؤرّخين، أو ينوّه بظلامتها أحد من أئمّة أهل البيت عليهم السلام أو غيرهم. باختصار: إنّه ومع توفّر الحوافز والدواعي لذكر اسم خولة وتسجيل اسمها في عداد بنات الإمام الحسين عليه السلام، فلا يمكننا أن نفهم عدم ذكرها والإشارة إليها إلا باعتباره دليلاً على عدم وجودها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ اسم خولة لم يرد ليس فقط في أسماء بنات الإمام الحسين عليه السلام بل وفي بنات أمير المؤمنين علي عليه السلام أيضاً على كثرتهن<sup>(١)</sup>، وفي بنات الإمام الحسن عليه السلام<sup>(٢)</sup>، وهكذا في بنات سائر الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام<sup>(٣)</sup>، مع أنّه لو كان لـ «خولة» بنت الحسين عليه السلام وجود حقيقيّ وتوفّيت بهذه الطريقة المأساوية، فإنّ من الطبيعي أن تتمّ استعادة هذا الاسم وإبقائه حاضراً في الأذهان من خلال الأجيال اللاحقة، كما تمّت استعادة اسم «فاطمة» أو «رقية» أو «زينب» أو «خديجة» أو «أم كلثوم»، كما نلاحظ ذلك في بنات الأئمّة عليهم السلام.

هذا لو أخذنا بنظر الاعتبار رواية الطفلة، وأمّا لو أخذنا بالحسبان رواية السقط، فإنّ أمر إغفالها من قبل المؤرّخين، وإن كان أقلّ استغراباً من إغفال أمر الطفلة،

ج ٤ ص ٧٦ وإعلام الوري بأعلام الهدى للطبرسي ج ١ ص ٤٧٨، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٢٩ وما بعدها، وتواريخ النبي والآل للتستري ص ١٢٢، وأعيان الشيعة ج ١ ص ٥٧٩.

(١) أنظر: الإرشاد ج ١ ص ٣٥٤-٣٥٥، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٠٤-٣٠٥ وإعلام الوري بأعلام الهدى للطبرسي ج ١ ص ٣٩٥-٣٩٦، وتواريخ النبي والآل للتستري ص ١١٥-١١٩.

(٢) أنظر: الإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٢٠، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٢٩ وإعلام الوري بأعلام الهدى للطبرسي ج ١ ص ٤١٦، وتواريخ النبي عليه السلام والآل عليهم السلام للتستري ص ١١٩-١٢٢.

(٣) لاحظ المصادر السابقة وغيرها.

لأنّ الإجهاض - عادة - يحصل بطريقة بعيدة عن الأنظار، إلاّ أنّه مع ذلك سيبقى الإغفال مستغرباً، لجهة أنّ الإجهاض لم يحصل في ظروف اعتيادية، بل حصل في ظروف قاسية وصعبة للغاية، بحيث يشكّل هذا الإجهاض أحدَ مظاهر المظلومية التي تعرّض لها موكب الإمام الحسين عليه السلام وعياله وصحابته منذ أن جعجع بهم الحرّ الرياحي - قبل توبته - في القرب من كربلاء، وإلى حين رجوع هذا الموكب ووصوله إلى «المدينة المنورة»، ثم إذا كان الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ومَن كان في الركب المذكور من العيال والنساء، وكذا المؤرخون والنسابة.. إذا كان كلّ هؤلاء لم يشيروا من قريب أو بعيد إلى أمر السُّقَط، فمن ياترى يكون هذا الذي عَلِمَ بأمر الإجهاض وكشف النقاب عن حقيقة هذا السُّقَط وحدّد جنسه واسمه؟!!

### عدد بنات الإمام الحسين عليه السلام

بالعودة إلى المصادر التاريخية وكتب السيرة التي تطرّقت إلى أولاد الإمام الحسين عليه السلام، فإننا نجد أنّ الأقوال في عدد بناته عليها السلام ثلاثة:

١ - إنهن اثنتان، وهما: فاطمة وسكينة، وهاتان الشخصيتان معروفتان، ولهما حضور واضح وجليّ في أحداث النهضة الحسينية<sup>(١)</sup> فضلاً عمّا بعدها، وقد تبنى هذا القول جمع من الأعلام، وعلى رأسهم: الشيخان المفيد<sup>(٢)</sup> والطبرسي<sup>(٣)</sup>.

٢ - إنهن ثلاث، وهنّ: فاطمة وسكينة وزينب، وقد تبنى هذا القول بعض الأعلام، ومنهم: ابن شهر آشوب<sup>(٤)</sup>، والطبري الإمامي<sup>(٥)</sup>، والعلامة السيد محسن الأمين<sup>(٦)</sup>.

(١) أنظر: الملهوف على قتلى الطفوف ص ١٩٤، وأمالى الصدوق ص ٢٣٠.

(٢) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ج ٢ ص ١٣٧.

(٣) إعلام الورى بأعلام الهدى ج ١ ص ٤٧٨.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٧٧.

(٥) دلائل الإمامة للطبري ص ١٨١.

(٦) أعيان الشيعة ج ١ ص ٥٧٩.

٣ - إنّهنّ أربع، وقد نقل العلامة الأربلي<sup>(١)</sup> وابن الصباغ المالكي<sup>(٢)</sup>، هذا القول عن الشيخ كمال الدين بن طلحة، ولم يسمّ أصحاب هذا القول اسم البنت الرابعة، وأمّا الثلاث الأخر فهنّ اللاتي ذُكرت أسماؤهنّ في القول الثاني.

وتعليقاً على هذه الأقوال، فإنّي أسجّل النقاط التالية:

أولاً: ربّما يقال: إنّ القول الثالث هو أضعف الأقوال، لأنّه ومع تضارب الآراء في المسألة فلا نجد مرجحاً لقول الشيخ كمال الدين بن طلحة (ت ٦٥٤هـ) على قول الأعلام المحقّقين، سواء من نصّ منهم على أنّ للإمام الحسين عليه السلام بنتين فقط، كالمفيد والطبرسي، أو من نصّ على أنّ له ثلاث بنات، كابن شهر آشوب والطبري الإمامي، ومن الواضح أنّه بناءً على القولين الأولين فلا وجود لخولة وإنّما هي منتفية جزماً.

ثانياً: إنّ ثمة احتمالاً قوياً في حصول الاشتباه في كلام ابن طلحة: وذلك لأنّه - أي ابن طلحة - قد صرّح بأنّ عدد الذكور من أولاد الإمام الحسين عليه السلام ستة، وذكر أسماءهم بالتفصيل، ثمّ ذكر أنّ عدد البنات أربع، ثمّ سمّى ثلاثاً منهنّ، وهنّ: سكيّنة وفاطمة وزينب، ولم يصرّح باسم الرابعة، ولم يشر إلى أنّ اسمها ذهب عن باله مثلاً، ولم يضع فراغاً أو نقاطاً (...). للتدليل على وجود تنمّة للكلام، الأمر الذي يجعلنا أمام احتمالين في تفسير كلامه:

الأول: سقوط اسم البنت الرابعة، إمّا لغفلة، أو بسبب سهو السّاخ، أو لغيره من الأسباب المعروفة.

الثاني: أن لا يكون هناك بنت رابعة للإمام الحسين عليه السلام أصلاً، وإنّما حصل الاشتباه في قول ابن طلحة، إنّ عدد بناته أربع، فبدل أن يذكر أنّ عددهنّ ثلاث

(١) كشف الغمّة في معرفة الأئمة عليهم السلام ج ٢ ص ٢٤٨.

(٢) الفصول المهمّة في معرفة الأئمة عليهم السلام ص ٢٩٨.

ذكر أنّ عددهن أربع.

والاحتمالان - بنظرنا - متكافئان ولا مرجح لأحدهما على الآخر، لأن احتمال الغفلة عن ذكر الرابعة، ليس بأولى من احتمال الاشتباه في ذكر العدد.

ثالثاً: لو سلّمنا بصحة قول ابن طلحة بأنّ عدد بناته عليها السلام أربع، ولكن هل يكفي هذا المقدار لإثبات أنّ الرابعة هي خولة؟ ولم لا يُقال بتطبيق البنت الرابعة على «رقية بنت الحسين عليه السلام».. المدفونة في دمشق، كما احتمل ذلك بعضهم<sup>(١)</sup>؟!!

٢ - هل مرّ موكب السبايا في «بعلبك»؟

لنفرض - جداً - أنّ ثمة بنتاً للحسين عليه السلام اسمها خولة، وأنه عليه السلام قد اصطحبها معه إلى كربلاء، أو كانت جينياً في بطن أمها، لكنّ السؤال الملحّ هنا: هل أنّ موكب الأحران الذي يضمّ عيال الحسين عليه السلام وأولاده قد مرّ فعلاً على مدينة «بعلبك» في رحلته الحزينة من «الكوفة» إلى «الشام»؟

والإجابة على هذا السؤال تفرض علينا في بادئ الأمر أن نتعرّف على الطريق الذي سلكه الموكب من «الكوفة» إلى «دمشق»، لأنّ المعروف - كما ذكر بعض العلماء والباحثين<sup>(٢)</sup> - أنّ هناك طريقين يصلان بين هاتين المدينتين:

الأول: الطريق السلطاني، وهو الذي رجّح المحدث النوري<sup>(٣)</sup> أن يكون الموكب قد سلكه، وهو طريق طويل وكثير المنازل، ويمكن لسالك هذا الطريق أن يمرّ على مدينة «بعلبك».

(١) مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة ج ٦ ص ٢٢١.

(٢) أنظر: مجموعة «مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة» ج ٥ ص ١٨٤ وهو بعنوان «وقائع الطريق من كربلاء إلى الشام»، للشيخ محمّد جعفر الطوسي، وكذلك ج ٦ من هذه المجموعة ص ٣١٠ وهو بعنوان «مع الركب الحسيني في الشام ومنه إلى المدينة المنورة»، للشيخ محمّد أمين الأميني.

(٣) اللؤلؤ والمرجان م.س ص ١٨٧.

الثاني: الطريق المستقيم، وهو طريق مختصر يمكن قطعه في مدة أسبوع، وكان «عرب عقيل» يسلكونه، ولذا أسماه بعضهم بطريق «عرب عقيل»، ومن الواضح أنّ سالك هذا الطريق لا يمرّ على «بَعْلَبَكَّ»، ويبدو أنّ العلامة الشهيد السيد القاضي الطباطبائي<sup>(١)</sup> يرجّح سلوك الموكب لهذا الطريق، مبرراً بذلك رأيه في إمكانية رجوع السبايا إلى كربلاء في العشرين من صفر، وذلك في رده على المحدث النوري الذي يُعدّ من أشدّ المنكرين لمقولة رجوع السبايا إلى كربلاء في التاريخ المذكور.

باتضح ما تقدّم نقول: إنّ إثبات مرور الموكب على مدينة «بَعْلَبَكَّ» يحتمّ على صاحب هذا القول نفي سلوكه - الموكب - للطريق المستقيم بين «الكوفة» و«دمشق»، وهذا أمر يحتاج إلى تحقيق واسع يتضمّن تنفيذ الوجوه التي يُتمسك بها للقول بأنّ الموكب قد سلك الطريق السريع، وبحث أو تحقيق كهذا، لم نجد أنّ القائلين بمرور الموكب على مدينة «بَعْلَبَكَّ» قد قاموا به.

لكن بصرف النظر عن ذلك، ومع التسليم بأنّ الموكب سلك الطريق السلطاني، فهل كانت مدينة «بَعْلَبَكَّ» هي إحدى المنازل التي توقّف فيها؟

غير خاف أنّنا لا نمتلك ما ينفي احتمال مرور الموكب على مدينة «بَعْلَبَكَّ»، ولا سيّما إذا ثبت مرورهم على مدينة «حمص»، حيث من المحتمل قوياً أن تكون «بَعْلَبَكَّ» هي المحطة التالية بعد «حمص»، إلا أنّ الاحتمال لا يكفي في الإثبات كما هو واضح، ما لم تعضده قرائن أخرى ترفع درجة الاحتمال إلى مستوى من الوثوق يمكن التعويل عليه.

وبمراجعة المصادر الأساسية التي أرّخت لأحداث النهضة الحسينية وما جرى بعد واقعة كربلاء، لا نجدها قد تطرّقت إلى مرور موكب الأحران على

(١) أنظر: مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، ج ٦ ص ٣١٠.

مدينة «بَعْلَبَكَّ»<sup>(١)</sup>، وإنما وردت الإشارة إلى ذلك في كتابات بعض المتأخرين التي لا يسعنا التعويل عليها واعتمادها في إثبات هذا الحدث، لا لأنها مصادر غير متخصصة فحسب، بل لأنها أرسلت الكلام إرسالاً، واشتملت - بعضها على الأقل - على مضامين لا يمكننا قبولها، لأنّ علامات الوضع بادية عليها، ولهذا قال الشيخ عباس القمي رَحْمَتُهُ: «إعلم أنّ ترتيب المنازل التي نزلوها في كلّ مرحلة باتوا فيها أمّ عبروا منها غير معلوم ولا مذكور في شيء من الكتب المعتمدة، بل ليس في أكثرها كيفية مسافرة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الشام»<sup>(٢)</sup>.

وإليك عرضاً مُسهلاً لما جاء في هذه «المصادر» التي ذكرت «بَعْلَبَكَّ» باعتبارها إحدى منازل الطريق إلى الشام:

### أولاً: رواية العلامة المجلسي

أول ما يواجهنا على هذا الصعيد هو ما أورده العلامة محمّد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) في «بحار الأنوار» نقلاً عن بعض الكتب، قال: «وفي بعض الكتب أنّهم لما قربوا من «بَعْلَبَكَّ» كتبوا إلى صاحبها فأمر بالرايات فنشرت وخرج الصبيان يتلقونهم على نحو ستة أميال، فقالت أم كلثوم: أباد الله كثرتم وسلط عليكم من يقتلكم، ثمّ بكى عليّ بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال:

هو الزمانُ فلا تفنى عجائبهُ	من الكرام وما تهدي مصائبهُ
فليت شعري إلى كم ذا تجاذبنا	بصرفه وإلى كم ذا نجاذبهُ
يسري بنا فوق أفتابٍ بلا وطأ	وسابق العيسٍ يحمي عنه غاربهُ
كأننا من أسارى الرّوم بينهم	كأنّ ما قاله المختارُ كاذبهُ

(١) أنظر: تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٥٢، والإرشاد للشيخ المفيد ج ٢ ص ١١٨ - ١٢٢، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢١١ وما بعدها، واللّهوف على قتلى الطفوف، ص ٢١٠، ومقاتل الطالبين ص ٧٩ - ٨١.

(٢) نفس الهموم ص ٣٨٨.



كفرتُم برسولِ اللهِ وَيُحَكِّمُ فكتتُم مثل من ضلّت مذاهبُهُ<sup>(١)</sup>.

وهذا «المصدر» لا يمكننا التعويل عليه، إذ لا يبدو أنّ المجلسي نفسه على ثقة من أمر الكتاب الذي نقلَ منه، أو أنه محلّ اعتماد عنده - فضلاً عن أن يكون حُجَّة علينا -، وإلا لسمّى الكتاب والكاتب ولم يلجأ إلى اعتماد أسلوب الإبهام والتجهيل، كما تشي عبارته «وفي بعض الكتب»، وقد عرفنا من سيرة العلامة المجلسي في «بحار الأنوار» أنه لا يتبنّى النقل من خصوص المصادر التي يراها معتبرة، بل هو قد ينقل عن بعض المصادر التي صرّح بعدم اعتمادها، أو كونها قديمة<sup>(٢)</sup>. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنه لا تصرّيح ولا دلالة في هذا النصّ على دخولهم مدينة «بعلبَك»، إذ خروج الأهالي لتلقّيهم على نحو ستة أميال لا يدلّ على أنّهم دخلوا المدينة، بعد ذلك.

ثانياً: رواية القندوزي

والكتاب الآخر الذي تحدّث عن مرور الموكب على «بعلبَك» هو «ينابيع المودّة لذوي القربى» للقندوزي، وجاء فيه: «أنّ ابن زياد دعا الشمر اللعين وخولي وشبث بن ربعي وعمر بن سعد وضّم إليهم ألف فارس وأمرهم بأخذ السبايا والرؤوس وأمرهم أن يشهروهم في كلّ بلدة يدخلونها» إلى أن يقول: «ثمّ إنهم قبل أن جاءوا بلدة «بعلبَك» كتبوا إلى واليها أن تتلقّانا الناس وخرجوا على نحو ستة أميال فرحاً وسروراً! فدعت أم كلثوم عليهم وقالت: أباد الله كثرتم وسلّط عليكم من لا يرحمكم...»، ثم يذكر نفس ما جاء في النصّ الذي تقدّم نقله عن العلامة المجلسي<sup>(٣)</sup>.

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٢٦ - ١٢٧، وقد انتقل هذا النصّ بحذافيره من المجلسي إلى تلميذه الشيخ عبد الله البحراني في كتابه عوالم العلوم والمعارف والأحوال، الإمام الحسين عليه السلام ص ٤٢٧، وتجدر الإشارة إلى أننا صحّحنا الأبيات الشعرية طبقاً لما جاء في مصادر أخرى، وذلك دفعاً لاختلال الوزن الشعري.

(٢) على سبيل المثال: فإنّ المجلسي في تاريخ سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام أورد خبراً حول وفاتها، قال: «وجدت في بعض الكتب خبراً في وفاتها عليها السلام فأحببت إirاده وإن لم أخذه من أصل يعول عليه» أنظر: بحار الأنوار ج ٣ ص ١٧٤.

(٣) ينابيع المودّة لذوي القربى ج ٣ ص ٨٨ - ٨٩.

وهذا النص لا يمكن التعويل عليه أيضاً، لأن مؤلفه وهو سليمان بن إبراهيم القندوزي الصوفي (ت ١٢٩٤هـ) متأخر جداً، ولم يحدّد لنا مصدراً أو مرجعاً أخذ عنه هذا الكلام، وإن كان التطابق أو التقارب بين ما أورده وبين ما يُنقل عن أبي مخنف - ممّا سيأتي نقله - أو ما نقله العلامة المجلسي رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن «بعض الكتب» يدفعنا إلى القول: إنه أخذ هذا الكلام إمّا عن مقتل أبي مخنف ممّا سوف نبين قيمته العلميّة لاحقاً، أو عن بحار الأنوار للعلامة المجلسي والذي عرفنا حال مصدره، وعدم إمكان التعويل عليه.

على أنّ النص - كما نلاحظ في مطلعته - يذكر أنّ عمر بن سعد كان من جملة الأشخاص الذين كُفّوا بأخذ السبايا والرؤوس إلى يزيد، وهذا أمر لا تساعد عليه المصادر التاريخية، كما سنشير في بعض تعليقاتنا على النصّ الآتي.

### ثالثاً: رواية عماد الدين الطبري

والكتاب الثالث الذي تطرّق لمرور الموكب في «بَعْلَبَكَّ» هو كتاب «كامل السقيفة» لمؤلفه عماد الدين الطبري (كان حيّاً سنة ٦٩٨ هـ)، وإليك نصّ كلامه: «ثم إنَّ عبد الله بن زياد لعنهما الله أعطى الرأس إلى زجر بن قيس ومعه رؤوس الشهداء من الأصحاب وأهل البيت وقال: احملها إلى يزيد بن معاوية، ثم سَير الإمام زين العابدين وأهل البيت إلى الشام وجعل عليهم شمراً بن ذي الجوشن ومخفر بن ثعلبة ووضع الغلّ في عنق الإمام زين العابدين وغلّوا يديه إلى عنقه فكان الإمام لا يفتأ في الطريق يتلو كتاب الله ويحمد الله ويثني عليه ويستغفره ولم يكلم واحداً من الأعداء قطّ إلاّ أهل بيته.

وقيل: إنَّ يزيد لمّا وقعت عينه على أولئك اللعناء قال: قد كنت أقنع وأرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما أنّي لو كنت صاحبه لعفوت عنه.

وحملوا أهل البيت والإمام السَّجَّاد على رواحل منهم، لأنَّ القوم انتهبوا ثقلهم فلم يتركوا عندهم شيئاً، ولَمَّا وصلوا إلى يزيد رفع مخفر صوته منادياً: هذا مخفر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللثام الفجرة. فقال الإمام عليه السلام: ما ولدت أمَّ مخفر أشرَّ وألأم، وكان اللعناء يخشون من قبائل العرب أن تهيج عليهم والرأس معهم فيستلبونه منهم، فلم يسلكوا الطريق الأعظم وإنما تنكَّبوا الطراق (الطرق) حذراً من ذلك، فوصلوا إلى قبيلة وطلبوا منهم علفاً لدوابهم وقالوا: معنا رؤوس الخوارج نحملها إلى الأمير، وهكذا ساروا بهذه الحُجَّة حتَّى بلغوا «بَعْلَبَكَّ»، فأمر القاسم بن الربيع عامل البلد بتزيينه، وحملوا الرأس إلى البلد مع آلاف الدفوف والطبول والمزامير والشبَّابات، ولَمَّا علموا بأنَّ الرأس رأس الحسين خرج ما يقرب من نصف البلد وأحرقوا الأعلام ومعالم الزينة والفرج، وقامت الفتنة أياماً على ساق في البلد، وهرب الذين معهم الرأس من البلد سرّاً.

ووصلوا إلى أوَّل بلد من بلاد الشام وكان الوالي عليه الملعون نصر بن عتبة، فأظهر الفرح والاستبشار وزين البلد وقضى الليل كلَّه بالرقص والغناء، فخرجت سحابة سوداء أرعدت وأبرقت وأحرقت معالم الزينة كلَّها، فقال عمر بن سعد وشمر لعنهما الله: هؤلاء قومُ أهل نحس وشؤم فخرجوا منهم إلى «ميتافارقين» فاختصم كبار البلد بينهم كلٌّ واحد يريد دخول الرأس من بابه، لأنَّه عاقد الزينة فرحاً به، فوقع بينهم قتال، وقتل الآلاف من الطرفين، فبقي كلاب «الكوفة» هناك عشرة أيام، ومن هناك انتقلوا إلى «نصيبين».

قال منصور بن إلياس: رفعوا أكثر من ألف علم استقبالاً لرأس الحسين، وكان رأس الحسين معه فأراد أن يدخل البلد فتقهقر حصانه فأقبلوا بعدة أفراس له فلم تتقدَّم، فبينما هم كذلك إذ وقع رأس الحسين من أعلى الرمح وكان إبراهيم الموصلي في القوم فاحتاط للرأس، لأنَّه عرف رأس الحسين فلام الناس وقتله الشاميون، فأخرجوا الرأس خارج حدود البلد وراحوا يثرون المال على الناس

بحيث يعسر شرح ذلك، فارتفع في اليوم الثالث تراب وغبار حتى اسودت الآفاق فساء بهم ظنّ الناس وقالوا: إن بقيتم ها هنا قتلناكم فخرجوا منهم إلى مدينة «شبديز» فتعاهد الناس فيما بينهم أن لا يعطوهم مؤنة لهم ولا لدوابهم، وإن اضطرتهم الحال إلى القتال قاتلوهم.

ولما علم الكوفيون بواقع الحال هربوا ليلاً فتعقبهم أهل البلد يلعنونهم ويسبّونهم حتى بلغوا حافة الفرات، فساروا على الشاطئ وقطعوا قرية قرية حتى دَنَوْا من دمشق أربعة فراسخ، فكان الناس يقدمون لهم النثار والهدايا وظلّوا على باب المدينة ثلاثة أيام حتى يزيّنوا البلد، فزيّنه بكلّ ما عندهم من حُلِيِّ ورياش وزينة إلى درجة لم يشابهها بهذه الزينة قبل اليوم، وخرج ما يقرب من خمسمائة ألف ما بين رجل وامرأة والدفوف بأيديهم وأخرج أمراء القوم الطبول والكوسات والأبواق والدفوف وراحوا بالآلاف يرقصون نساءً ورجالاً على أصوات الدفوف والطبول والربابات وكان [هكذا في النص] النساء قد اختضبن واكتحلن ولبسوا [لَبَسْنَ] الحُلِيِّ والحُلَل، وذلك يوم الأربعاء السادس عشر من ربيع الأوّل.

ولما أشرقت الشمس أدخلوا الرؤوس إلى البلد ولم يصلوا إلى بيت يزيد إلا وقت الزوال لكثرة الناس، وكان يزيد لعنه الله قد اعتلى عرشه وهو «تخت مرصع» وزين القصر والمجلس بأنواع الزينات ووضع كراسي الذهب والفضّة عن اليمين وعن الشمال، وخرج الحجاج وأدخلوا اللعناء الذين رافقوا الرؤوس فسألهم يزيد لعنه الله فقالوا: أنقذنا دولة الأمير من تدمير آل أبي تراب، وقصّوا عليه الحكاية، ووضعوا بين يديه رؤوس أولاد النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

(١) كامل البهائي في السقيفة، والمعروف اختصاراً بـ«كامل السقيفة»، تأليف: عماد الدين الطبري (ق ٧) ج ٢ ق٢

هذا هو نص عماد الدين الطبري نقلناه بتمامه، ليتسنى للقارئ الكريم أن يتابع معنا تقويمه ومحاكمته، والحقّ يقال: إنّ أدنى تأمل في هذا النصّ يكشف أنّه مليء بالأخطاء التاريخية وغيرها، ولا نجافي الصواب إذا قلنا: إنّ علامات الوضع بادية عليه، ووضع أيّ نصّ لا يعني اتّهام مؤلفه بالوضع، كيف وهو عالم كبير وفقهه متكلم جليل الشأن<sup>(١)</sup>، فربّما وضعه آخرون ووثق بكلامهم فسجّله في كتابه، أو ربّما أضيف على كتابه فيما بعد، وكم له من نظير، وكيف كان، فإنّ النصّ الآنف - كغيره من النصوص - يعطيك صورة واضحة عن ذهنية صاحبه ودقّته، ويبدو أنّ صاحب النصّ ضعيف للغاية في المعلومات التاريخية والجغرافية.

وفيما يلي نشير إلى بعض هذه الأخطاء التي اشتمل عليها النصّ المذكور ممّا لا يمكن التغاضي عنها:

أولاً: إنّّه وبعد وصول الموكب إلى «بَعْلَبَكَّ» وانكشاف حقيقة الأمر وانقلاب أهل البلد - أي «بَعْلَبَكَّ» - على الجلادين، فإنّ القوم سارعوا الخطى للخروج منها، ليصلوا - كما يقول النصّ - إلى «أول بلد من بلاد الشام»، وكأنّ «بَعْلَبَكَّ» خارج بلاد الشام! واللافت أنّ هذه البلد عليها وال، هو نصر بن عتبة، وهو أمر مثير للاستغراب أيضاً، إذ ليس بين «بَعْلَبَكَّ» و«دمشق» بلدة كبيرة تحتاج إلى تنصيب والٍ خاص عليها! ولم يُسمّ لنا النصّ هذه البلدة التي وصلوها، وإنّما وصف لنا حالها وأنّها استقبلتهم بالرقص والغناء والسرور الذي لم يكتمل بسبب ظهور معجزة، وهي سحابة سوداء اضطرتهم للخروج منها، ومن الطبيعي أن نتوقّع أنّ الموكب بعد خروجه من هذه البلدة قادماً من «بَعْلَبَكَّ» أن تكون محطته اللاحقة هي المحطة الأخيرة ليدخل بعدها إلى «دمشق» أو ضواحيها القريبة،

(١) أنظر: أعيان الشيعة ج ٥ ص ٢١٢.

ولكنَّ المفاجأة التي تبرز أمامنا هي أنَّ الموكب يظهر فجأة في «تركيا» وفي بلدة «ميفارقين»، ثم ينتقل منها إلى «نصّيين»، وهي مدينة تقع في «تركيا» أيضاً، مع أنَّ النصّ يفترض هذه المدن شامية!، ثم يتحرك الموكب في رحلته العجائبية ليصل إلى بلدة أسماها بـ«شبديز»، وهذا الاسم يُطلق على موضعين: أحدهما: قصرٌ عظيم للمتوكل العباسي في سُرَّ مَنْ رأى (سامراء)، والآخر: منزل بين «حلوان» و«قرميسين» في لحف جبل بيستون سُمِّيَ باسم فرس كان لكسرى<sup>(١)</sup>، بعد ذلك يظهر الموكب على «حافة الفرات»، ليسير على الشاطئ ويقطع قرية قرية حتى يدنو من «دمشق»!

إنَّ علامات الاستفهام والاستغراب التي يمكن تسجيلها على هذا المسير الذي افترضه النصّ كثيرة ولا تخفى على القارئ الحصيف، وهي في المحصلة تورث القناعة بوضعه، وتبرهن على أنَّ صاحب هذا النصّ جاهل بجغرافيا بلاد الشام والمنطقة، ولذا لم يكن موقفاً في هذه القصة التي نسجها من محض الخيال. ثانياً: ترد في النصّ مجموعة من الأسماء ذات المكانة - كما يفترض النصّ - في جهاز السلطة الأموية آنذاك، ومع ذلك لا نجد ما مذكورة إلا في كتاب «كامل البهائي»، الأمر الذي يثير الريبة، كما هو الحال في «القاسم بن الربيع» عامل السلطة في «بعلبك»، و«نصر بن عتبة» الوالي على «أول بلد من بلاد الشام»!!.

كما ترد في النصّ أسماء شخصيات لا نعرف عنها شيئاً، منها: «إبراهيم الموصلي»، ومنها: «منصور بن إلياس»، والأخير سوف يظهر في إحدى المحطات التركية «نصّيين» ويظهر رأس الإمام الحسين عليه السلام معه، مع أنَّ ابن زياد قد عهد - حسب النصّ - إلى «مخفر بن ثعلبة» بحمل الرأس!!.

ثالثاً: يتحدّث النصّ عن وقوع أحداث جسيمة، بعضها ذات طابع إعجازي،

(١) أنظر: معجم البلدان ج ٣ ص ٣١٩

كظهور سحابة سوداء أحرقت زينة البلد، وبعضها أحداث دموية ذهب ضحيتها الآلاف من الناس، أو أدت إلى حصول فتنة في بعض البلدان استمرت لأيام، وهذه الأحداث على جسامتها وتوفر الدواعي لنقلها - على الأقل ممّن كانوا في الموكب من السبايا - لا نجد لها عيناً ولا أثراً في سائر المصادر!!

رابعاً: يظهر من صدر النصّ أن ابن زياد قد سبّر إلى الشام مجموعتين فهو أرسل رؤوس الشهداء مع «زجر»<sup>(١)</sup> بن قيس»، وأرسل الإمام زين العابدين عليه السلام ومعه النساء والأطفال مع «شمر بن ذي الجوشن» و«مخفر بن ثعلبة»، وإرسال «ابن زياد» هاتين المجموعتين أمرٌ قد أكدته كافة المصادر المعتبرة<sup>(٢)</sup>، وهي ظاهرة في أنّ ثمة فاصلاً زمنياً بينهما، إذ القافلة الأولى أرسلت ومعها الرؤوس «لتبشّر» يزيد بمقتل الحسين عليه السلام، وأمّا القافلة الثانية فقد تأخرت قليلاً في «الكوفة»، وإذا كان هدف المجموعة الأولى هو إبلاغ يزيد بـ «البشرى» فمن الطبيعي أن تسلك أقرب الطرق إلى «دمشق»، ما يمنع بحسب طبيعة الأمور أن تلتقي المجموعتان في الطريق، بل لا بدّ أن تصل المجموعة الأولى (حاملة الرؤوس) في وقتٍ أسرع من المجموعة الثانية التي يُفترض أنّها سلكت طريقاً طويلاً غير ما هو متعارف، لكنّ النصّ المتقدّم يفترض أنّه عندما فرّ القوم من «بعلبَك»، بسبب ردّة فعل أهلها الغاضبة، فإذا بالقافلتين تلتقيان، ليظهر «شمر بن ذي الجوشن» - الذي افترض النصّ أولاً أنّه كان مع موكب العيال - مع قافلة الرؤوس! الأمر الذي يرفع من منسوب التشكيك في النصّ ويبعث على الاطمئنان والوثوق بأنّ ذاكرة واضع النصّ قد خانته مجدداً؟!!

ولكن ربّما يُقال: إنّ حصول اللقاء بين المجموعتين اللتين أنفذهما ابن زياد

(١) الصحيح كما ورد في المصادر زجر، أنظر: تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٥٢، والإرشاد ج ٢ ص ١١٨ وإعلام الوري، مصدر سابق ج ١ ص ٤٧٣.

(٢) أنظر: الإرشاد للمفيد ج ٢ ص ١١٨ - ١١٩.

إلى يزيد لم يتفرد به عماد الدين الطبري في نصّه المتقدّم، فهذا - أعني الالتقاء في الطريق - يستفاد من عبارة الشيخ المفيد بشأن المجموعة الثانية، حيث قال: «فانطلقوا - أي المجموعة الثانية بقيادة «مخفر بن ثعلبة العائذي» و«شمر بن ذي الجوشن» - حتّى لحقوا بالقوم الذين معهم الرأس»<sup>(١)</sup>.

ولكن التأمل في كلام المفيد بأجمعه ولا سيّما المقطع الذي يسبق العبارة المذكورة يفيد بأن مجموعة الرأس قد وصلت إلى يزيد قبل إنفاذ المجموعة الثانية، وبصرف النظر عن ذلك، فلو كان المفيد يريد التأكيد على حصول اللقاء بين المجموعتين في الطريق لوردت عليه الملاحظة المتقدّمة التي سجلناها على كلام عماد الدين الطبري.

خامساً: ومن عجائب هذا النصّ وغرائبه ظهور شخصيّة أخرى في الموكب في «أول بلد من بلاد الشام» بعد الخروج هرباً من «بغلبك»، وهذه الشخصيّة هي «عمر بن سعد»، فكيف تمّ التعقيم على هذه الشخصيّة في كلّ هذا المسير ليتمّ الحديث عنها في هذه المحطة، مع أنّها شخصيّة محورية وأساسية في كلّ أحداث معركة كربلاء؟! فمن أرسله؟ ومتى؟ وكيف وصل إلى «بغلبك» وما بعدها؟! إنّ هذا أمر لا نجد له جواباً، ولا نجد في المصادر الأخرى ما يؤيّد أو يشير إلى أنّ «ابن زياد» قد سيّر «عمر بن سعد» إلى الشام! بل «الذي يظهر من التواريخ والسير أنّ «عمر بن سعد» لم يكن مع القوم في سيرهم إلى الشام»<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: مقتل أبي مخنف

والمصدر الخامس الذي ورد فيه الحديث عن محطة «بغلبك» كإحدى محطات المسير التي سلكها الركب الحسيني في طريقه إلى الشام هو مقتل

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١١٩.

(٢) كما يقول الشيخ عباس القمي في كتابه: «نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم»، ص ٣٨٦.



أبي مخنف «لوط بن يحيى الأزدي» المتوفى في القرن الثاني للهجرة، فقد نُقل عن أبي مخنف أنه قال: «ثم أتوا «بِعَلْبِكَ»، وكتبوا إلى صاحبها أن معنا رأس الحسين عليه السلام، فأمر الجواربي أن يضربن الدفوف ونُشرت الأعلام وضُربت البوقات، وأخذوا الخَلُوق (الطَّيب) والسكر والسويق وبتوا ثملين، فقالت أم كلثوم: ما يُقال لهذا البلد؟ فقالوا: «بِعَلْبِكَ»، فقالت: أباد الله خضراتهم، ولا أعذب الله شرابهم، ولا رفع أيدي الظلمة عنهم..»<sup>(١)</sup>.

أقول: مع التسليم باشتغال مقتل «أبي مخنف» المتداول على العبارة المذكورة، فإن ذلك لا قيمة له، لا لأن «أبا مخنف» لا يُعتدّ بقوله، أو لا يُحتجّ بكتبه، كيف وهو «من رؤساء أهل الأخبار، وكلّ من ألف في التاريخ نقل عنه وأخذ منه»<sup>(٢)</sup>، بل لأنّ النسخة، بل قل: النسخ المتداولة من كتابه «مقتل الحسين عليه السلام» لا يوثق بصحتها، وقد عبثت بها الأيدي، وتعرّضت للتزوير واشتملت على «المطالب المنكرة غير الصحيحة»<sup>(٣)</sup> والأخطاء التاريخية الفاحشة بحيث يُقطع بعدم صدور الكتاب عن أبي مخنف، وهذا ما جزم به جمّع من المحققين والباحثين<sup>(٤)</sup>.

(١) نقله الفاضل الدربرندي في كتابه إكسير العبادات في أسرار الشهادات ج ٣ ص ٢٩٦، والشيخ عباس القمي في

منتهى الآمال ج ١ ص ٧٤٩.

(٢) أعيان الشيعة ج ٤ ص ٦١٤.

(٣) منتهى الآمال ج ١ ص ٧٤٧-٧٤٩.

(٤) أمثال المحدث النوري: أنظر اللؤلؤ والمرجان ص ١٨٧، والسيد محسن الأمين، أنظر: أعيان الشيعة ج ٤ ص ٦١٤، والشيخ عباس القمي، أنظر كتابه: هدية الأحباب ص ٤٥، والكنى والألقاب ج ١ ص ١٤٨، ونفس المهموم ص ٩، ومنتهى الآمال ج ١ ص ٧٤٧-٧٤٩، وراجع أيضاً: مستدركات أعيان الشيعة ج ٦ ص ٢٥٦، وكذلك مقدّمة الشيخ محمد هادي اليوسفي لكتابه «وقعة الطف» المأخوذ من تاريخ الطبري ص ٣٤ فقد نبه في هذه المقدّمة إلى كثير من الأخطاء والغرائب التي ضمّتها هذا المقتل، لكن من الغريب أنه - أقصد الشيخ اليوسفي - غيّر اسم الكتاب من «مقتل الحسين عليه السلام» كما نصّ عليه النجاشي والشيخ الطوسي رحمهما الله، ووضع له اسماً جديداً، وهو «وقعة الطف»! أجل إنّ ما يمكن الاعتماد عليه من مقتل أبي مخنف هو ما ضمّه كتاب «تاريخ الطبري»، ورواه عن أبي مخنف، وقد جمع الشيخ اليوسفي هذه الروايات في كتابه المشار إليه، وراجع أيضاً حول هذا الموضوع: كتاب «النهضة الحسينية» للسيد محمد ترحيني ص ١٧ وما بعدها.

## خامساً: كلام منسوب إلى ابن شهر آشوب

وقد نسب بعض الكتاب إلى ابن شهر آشوب<sup>(١)</sup> أنه نصّ على مرور الموكب في مدينة «بَعْلَبَكَّ»، وأنه قد تمّ بناء مسجد في الموضع الذي وضع فيه رأس الإمام الحسين عليه السلام، قال: «وقصة هذا المسجد ذكرها ابن شهر آشوب: وملخصها: أنه «لما حمل جند الأمويين رأس الحسين عليه السلام إلى دمشق، مروا بـ «بَعْلَبَكَّ» فاستقبلهم سكانها مهلّلين فرحين بقتل الخوارج: وأقام الجيش في رأس العين، يرتوي، ويطلب الراحة، لكنّ السيدة زينب ابنة علي بن أبي طالب عليه السلام، كشفت حقيقة الأمر للسكان، وعرفتهم أنّ القتلى هم آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، فانقلب أهالي «بَعْلَبَكَّ» ضدّ جند يزيد وهاجموهم يريدون أخذ الرؤوس ودفنها، ولما فشلوا، عبّروا عن وفائهم ببناء مسجد في الموضع الذي نُصبت فيه الرؤوس، وأسموه «مسجد الحسين» وظلّ متواضعاً حتّى تسلطن الظاهر بيبرس البندقداري (٦٥٨ - ٦٧٦هـ)، فأمر بعمارة المسجد وتوسيعه...»<sup>(٢)</sup>.

ولكنّ هذه النسبة لا تصحّ، ولم يحدّد لنا الكاتب المذكور وهو الباحث الأكاديمي، مصدر كلامه ولا أين ذكر ابن شهر آشوب المازندراني ذلك؟! كما أنّنا لم نجد أحداً من المؤرّخين أو الباحثين والذين تحدّثوا عن حركة الموكب الحسيني من الكوفة إلى الشام قد نقل عن ابن شهر آشوب شيئاً من ذلك، والأهمّ من ذلك كلّ أنّنا وبمراجعة كتاب «المناقب» لابن شهر آشوب لا نجده قد تعرّض أو أشار لمرور الموكب على «بَعْلَبَكَّ» إطلاقاً! ولا ذكر «مشهد الرأس» في «بَعْلَبَكَّ» عندما تحدّث عن المشاهد التي بُنيت باسم «مشهد الرأس» في العديد من البلدان، ابتداءً من «كربلاء إلى عسقلان وما بينهما في الموصل ونصيبين وحمّاه وحمص ودمشق»<sup>(٣)</sup>.

(١) الظاهر أنّ المراد به ابن شهر آشوب المازندراني صاحب كتاب المناقب.

(٢) تاريخ «بعلبك»، تأليف الدكتور حسن عباس نصر الله، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ج ٢ ص ٦٧١.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٣٥.

## سادساً: مشهد رأس الحسين عليه السلام

وقد يعدّ وجود المسجد المذكور أو ما عُرف بمشهد رأس الحسين عليه السلام شاهداً على مرور الموكب في «بعلبك»، بل إنّ وجود المشهد المذكور هو الشاهد الوحيد - بحسب الظاهر - الذي عوّل عليه بعض الباحثين<sup>(١)</sup> في إثبات مرور السبايا على مدينة «بعلبك»، وذلك في خارطة الطريق التي رسمها لموكب السبايا والرؤوس منذ أن غادروا أرض المعركة في كربلاء حتّى وصولهم إلى دمشق.

إلا أنّ هذا الشاهد لا يمكن الوثوق به، لأنّ المشهد المذكور لا نجد له ذكراً في أيّ من المصادر التاريخية أو كتابات الرحالة أو علماء البلدان أو غيرهم ممّن سيأتي ذكرهم، بمن في ذلك صاحب «تاريخ بعلبك» «ميخائيل ألوف»، وهو الذي تحدّث قبل قرن ونيّف عن مساجد «بعلبك» ومزاراتها، ومنها مقام «السيدة خولة» كما سيأتي، ومجرّد أن يشتهر في الآونة الأخيرة<sup>(٢)</sup> في منطقة «بعلبك» أنّ هذا المسجد هو مشهد للرأس الشريف فهذا لا يشكّل قرينة إثبات، ما لم يثبت امتداده التاريخي، وهو شرط ضروري للتأكد من مصداقية أي مقام أو مشهد من هذا القبيل، كما فصلنا ذلك سابقاً، ومن العجيب أنّ الباحث المذكور قد أصرّ على أنّ هذا المسجد هو مشهد رأس الحسين عليه السلام مرتكباً مصادرة واضحة لم يأت بما يثبتها أو يؤكدها<sup>(٣)</sup>، مع أنّه اعتمد في تحديد حركة موكب الأحزان على مصدر في غاية الأهمية وهو كتاب السائح الهروي (ت ٦١١هـ) الذي سجّل فيه - بحسب الباحث نفسه - بخبرة وبصيرة ووصفٍ دقيقٍ المشاهد التي بنيت باسم مشهد رأس الحسين عليه السلام، ولكن الهروي وهو «حلبى المسكن» لم يأت

(١) موكب الأحزان للشيخ جعفر المهاجر ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) حدثني بعض العلماء والفضلاء من أهالي منطقة «بعلبك» أنّ هذا المشهد إنّما عُرف بمشهد رأس الحسين عليه السلام في العقدين الأخيرين، وأما قبل ذلك فكان يُعرف بمسجد رأس العين.

(٣) أنظر: موكب الأحزان م.س ص ٢٩.

على ذكر أيّ مشهد في «بَعْلَبَك»، ولو كان موجوداً في زمانه لما أغفله، لأنّ كتابه «الإشارات إلى معرفة الزيارات» وضع بهدف التعريف بالمزارات المنتشرة في بلاد الشام ومصر والعراق، والرجل لم يعتمد فيما سجّله من مزارات على النقل والسماع، وإنما اعتمد على المعاينة، لأنّه كان سائحاً جوّالاً كاد - كما قيل - أن يطبّق الأرض بالدوران برأً وبحراً وسهلاً ووعراً حتّى ضرب به المثل، فقال جعفر بن شمس الخلافة في رجل:

قد طبّق الأرض من سهلٍ ومن جبلٍ كأنّه خطُّ ذاك السائح الهروي<sup>(١)</sup>

وعليه، فكيف يُغفلُ الهروي ذكر هذا المشهد؟! إلا إذا كان غير موجود في زمانه، وأما تبرير إغفاله له بأنّ المشهد - فيما يبدو بعيداً - عن المدينة لا يراه السائح كالهروي<sup>(٢)</sup>، فهو تبرير ضعيف، بل لا يخلو من غرابة، لسببَيْن:

أحدهما: أنّ دعوى بُعد المشهد عن مدينة «بَعْلَبَك» غير دقيقة، لأنّه على أبعد التقادير يتعد عن المدينة بمئات الأمتار، وبما أنّ بناءه عالٍ ومرتفع، فمن الطبيعي أن لا يخفى على كلّ من كان داخل المدينة.

وثانيهما: أنّ الهروي ليس سائحاً عابراً، فهو خبير ولديه عناية خاصة بمعرفة المزارات، وهو بصدد التأليف في هذا المجال، ولذا حتّى لو فرضنا أنّ رجليه لم تطأ أرض «بَعْلَبَك»، فلا بدّ أن يسمع بأمر هذا المشهد لو كان موجوداً بالفعل.

ثمّ إنّ القضية لا تتوقّف عند عدم تطرّق خصوص الهروي لأمر هذا «المشهد»، فكافة المؤرخين والبلدانيين والرحالة والعلماء المهتمّين بالبحث عن المقامات الدينية ممّن مرّوا على «بَعْلَبَك» وتسوّى لنا الوقوف على كلماتهم لم يتحدّثوا - ولو بإشارة عابرة - عن هذا «المشهد»، كما سنلاحظ كلماتهم فيما يأتي، ممّا

(١) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٤٦، وعنه سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢٢ ص ٥٧، ونقل ذلك في موكب الأحزان ص ١٢.

(٢) موكب الأحزان ص ٢٨.

لا نستطيع تقديم تفسير مقنع له إلا تفسيراً واحداً وهو عدم وجود هذا «المشهد» في زمانهم.

والأغرب من ذلك أن يتهم الباحث المذكور «الظاهر بيبرس» وابنه بأنهما سعيًا إلى طمس حقيقة هذا المشهد بإسباغ صفة المسجدية عليه<sup>(١)</sup>. دون أن يأتي على دعواه بأيّ دليل أو شاهد يعضدها!

والخلاصة: إنّ الشواهد لا تسعفنا على تأكيد مرور موكب الأحران على «بَعْلَبَكَّ»، وإن كان ذلك محتملاً، إذ ليس لدينا ما ينفي ذلك، كما أسلفنا.

### ٣- هل توفي أحد أفراد الموكب في «بَعْلَبَكَّ»؟

ولنسلّم الآن بوجود خولة وبمرور الموكب على «بَعْلَبَكَّ»، لكن السؤال: ما الذي يثبت أنّ أحد أفراد الموكب وتحديدًا بنت الإمام الحسين عليه السلام قد توفيت في هذه المحطة، أو أجهضتها أمّها نتيجة العناء والأذى ودفنت في «بَعْلَبَكَّ»؟

من سوء حظنا أو حظ<sup>(٢)</sup> المصريين على صدقّة المقام المذكور أننا لا نستطيع الإجابة على هذا التساؤل إلا بالنفي، حيث تواجهنا حقيقة لا لبس فيها، وهي خلو المصادر ذات الصلة (بصرف النظر عن ضعف هذه المصادر ممّا سبق الحديث عنه) من أدنى إشارة إلى وفاة أحد أفراد الركب في محطة «بَعْلَبَكَّ»، صغيراً كان أو كبيراً، ذكراً أو أنثى، سقطاً أو مولوداً، باسم خولة أو باسم آخر، وهذا أمر ليس طبيعياً أن تغفله الروايات التي تحدثت عن هذه المحطة في رحلة الموكب، بل إنه وفي ظلّ توفر الدواعي القويّة لنقل القصة، ولا سيّما لدى تيار المعارضة،

(١) مشيراً بذلك إلى رقيمين لا يزال أحدهما قائماً إلى الآن، وهما يتصان على مسجدية هذا المقام، أنظر: موكب الأحران ص ٢٩

(٢) هذا تعبير كنتائي عن الخيبة، وإلا فإنّ المؤلف لا يؤمن بمقولة الحظ، وقد بحثنا ذلك في كتابنا «ظواهر ليست من الدين»، فراجع.

كونها حادثة تدين السلطة الأموية وتُظهر فداحة المظلومية التي تعرّض لها أهل البيت عليهم السلام فلا يمكن أن نفهم هذا السكوت إزاء هذه الحادثة سوى اعتباره علامة سلبية تؤشر إلى عدم حدوث شيء من هذا القبيل، وقديماً قيل: لو كان لبان.

#### ٤ - ماذا عن المقام؟

ولكن ألا يشكّل وجود المقام نفسه وشهرة انتسابه إلى السيدة خولة بنت الحسين عليه السلام دليلاً كافياً لإثبات وجود هذه الشخصية ودفنها في تلك المنطقة؟ وبعبارة أخرى، ألا تصلح الذاكرة الشعبية المتلقاة جيلاً بعد جيل مستنداً لإثبات وجود «خولة» ودفنها في «بعلبك»؟

والجواب: إنّ ذلك لا يمكن التعويل عليه، لأن الشهرة، على فرض تحقّقها، فهي محدودة ببعض أهالي المنطقة، هذا من جهة، كما أنّها من جهة أخرى لا تملك امتداداً تاريخياً يؤهلها إلى درجة الإثبات والاعتداد بها في إثبات صدقيّة المقام، والخلاصة: إنّ محدودية الشهرة جغرافياً وزمنياً يُفقدُها قيمتها العلميّة الإثباتية.

وأما الذاكرة الشعبية لأهالي تلك المنطقة فلا يسعنا اتخاذها مستنداً لإثبات صدقيّة المرقد وانتسابه إلى السيدة «خولة» إلا إذا ثبت أنّ هذه الذاكرة ليست وليدة العصور المتأخرة، وانتفتت القرائن والشواهد المعاكسة لها، ومن الواضح أنّ هذه الذاكرة لا تملك امتداداً تاريخياً، ولا سيّما في ظلّ المتغيّرات السكانية والديمغرافية التي شهدتها مدينة «بعلبك» وجوارها في مراحل عديدة من تاريخها، وما الذي يمنع أن يكون تشكّل الذاكرة المشار إليها قد انطلق من بعض الاعتبارات العاطفية أو غيرها، كقصة المنام الآتية، كما رأينا ذلك في بلدان أخرى، حيث تستولد الذاكرة الشعبية عشرات الأبناء والأحفاد إلى أئمة أهل

البيت عليه السلام، ومن ثم تُبنى لهم مقامات لا أساس لها من الصحة، كما سنلاحظ في الملحق رقم (١).

ثم لو كان لهذه الذاكرة امتداد تاريخي يعبر عن حقيقة واقعية فلماذا تم إغفالها والتعقيم عليها في شتى المصادر والمراجع ذات الصلة؟! ولم كم يعبا بها كل العلماء الذين ستأتي الإشارة إليهم؟!

على أن ثمة ملاحظة هامة في المقام وهي أن هذه الذاكرة لا تنسب إلى موكب سبايا أهل البيت عليهم السلام طفلة واحدة قد توفيت في بعلبك وهي خولة، وإنما تنسب إلى هذا الموكب خمسة أفراد آخرين قد قضوا في منطقة صغيرة هي منطقة البقاع اللبناني<sup>(١)</sup>، ومع ذلك كله ورغم فداحة الخطب وعظيم المأساة فلا يشير أحد من العلماء والمؤرخين والرحالة.. إلى شيء من هذه الأحداث الجسيمة، أو ينقل لنا أسماء الذين قضوا في هذه المنطقة، أو مقاماتهم ومشاهدتهم!!

### الإشارة الأولى للمقام

ونحن - بحسب ما وسعنا التتبع - وجدنا أن أول إشارة لهذا المقام وردت في كتاب «تاريخ بعلبك» لمؤلفه ميخائيل موسى ألوف، قال وهو يعدد المزارات الموجودة في هذه المدينة: «ومزار «خولة» للشيعة (المتاوله)، وهي ابنة الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام، قيل: لما سبي أهل البيت عليهم السلام في زمن الأمويين وأتي بهم دمشق مروا بـ«بعلبك»، فماتت خولة فيها ودُفنت بها، وفي دار مزارها شجرة سرو قديمة العهد جداً»<sup>(٢)</sup>.

(١) وهم: بنت للإمام الحسين عليه السلام في قرية «المشرفة» يُعرف مقامها باسم «مقام الولية»، وطفلان في «اللوبة» يُعرف مقامهما بـ«مقام الصالح»، وعبدالله بن الإمام الحسن عليه السلام في «حورتعلا»، و«فاكهة» جارية الإمام الحسين في بلدة «الفاكهة»، بالإضافة إلى «مشهد الرأس» في بعلبك، وصومعة الراهب في «الخرية».

(٢) تاريخ «بعلبك» لميخائيل ألوف ص ٥.

ولا يخفى أنّ «ألوف» أسند كلامه إلى القليل مُعفياً نفسه من تحمّل مسؤولية المعلومة، ونخال أنه استمدّها من الأحاديث الشعبية السائدة آنذاك في «بَعْلَبَكَّ»، والمستغرب أنّ بعض الكتاب المعاصرين ممّن كتب حول تاريخ «بَعْلَبَكَّ» تكلم عن دفن خولة في «بَعْلَبَكَّ» بلغة القطع والجزم وحدّد عمرها بستّ سنين<sup>(١)</sup>، دون أن يأتيَ بدليل على كلامه أو يشير إلى مصدر عوّل عليه في ذلك، والظاهر أنه هو الآخر استند إلى الرواية الشعبية المنتشرة في مدينة «بَعْلَبَكَّ».

وفي هذه المرحلة الزمنية كتب الشيخ صادق زغيب أبياتاً من الشعر تؤرّخ إعمار المقام<sup>(٢)</sup>.

### عمر المقام

ولا نخال أنّ عُمر هذا المقام يزيد على قرنين من الزمن (وربّما ثلاثة قرون على فرض صحة بعض الوقفّيات أو الصور الفوتوغرافية)، وإذا ما كان موجوداً فهو غير معروف ولا يُشار إليه بالبنان، ومستندنا فيما نقول هو تتبّع المصادر ذات الصلة بتاريخ «بَعْلَبَكَّ»، حيث لا نجد آية إشارة إلى مقام أو قبر يُعزى إلى إحدى بنات الحسين عليه السلام، وإليك توضيح ذلك:

أولاً: بمراجعة كتب العلماء البلدانيين، نجد أنّ شيخهم ياقوت الحموي لم يأت على ذكر قبر «خولة» أو مقامها، مع أنّه قد وصف «بَعْلَبَكَّ»، وتحدّث عن قبور بعض الشخصيات فيها، مصحّحاً وناقداً، فتحدّث عن قبر مالك الأشر، نافيةً صحته، على اعتبار أنّ الأشر مات في «القلزم»، وتحدّث عن قبر يُقال: إنّه لـ «حفصة بنت عمر» زوجة النبي صلى الله عليه وآله، ونفى أيضاً صحته، باعتبار أنّ «حفصة» زوج النبي صلى الله عليه وآله ماتت في المدينة المنورة وقبرها معروف هناك، وأكد أنّ القبر

(١) تاريخ بعلبك للدكتور حسن عباس نصر الله ج ٢ ص ٦٧١.

(٢) م. ن. ج ٢ ص ٦٧١.



المشار إليه هو لـ «حفصة» أخت «معاذ بن جبل»، وكذلك ذَكَرَ أَنَّ فيها - أي «بَعْلَبَكَّ» - قبر «إلياس» النبي ﷺ، وبقلعتها مقام «إبراهيم»، وبها قبر «إسباط»<sup>(١)</sup>، ولكنه لم يأتِ على ذكر قبرٍ منسوبٍ إلى إحدى بنات الحسين ﷺ أو مشهد لرأسه الشريف.

واللافت للنظر أَنَّ «الحموي» قد حدَّثنا عن مشهد السقط «محسن بن الحسين» ﷺ في مدينة «حلب»<sup>(٢)</sup>، والذي يُحكى أَنَّ أمّه أسقطته عند مرور الموكب فيها، فَلَمْ لا يتحدَّث عن مشهد خولة في «بَعْلَبَكَّ» لو كان موجوداً في زمانه؟! وإذا كان بعض أمراء الشيعة<sup>(٣)</sup> قد اهتموا ببناء مشهد السقط «المحسن» منذ ما يقرب من ألف عام، فَلَمْ لم يهتموا ببناء مشهد «خولة» لو كانت موجودة بالفعل؟! لا أريد بهذا الكلام، تأكيد وجود السقط المحسن، أو العجز بالحادثة التي تُذكر بشأن إجهاضه، فهذا أمر يحتاج إلى متابعة بحثية، وإنما أريد بذلك التنبيه إلى أَنَّ قصّة خولة - مولودةً كانت أو سقطاً - ليس لها امتداد تاريخي، وإلاّ لاهتمّ بها الشيعة وبنوا لها مقاماً، كما فعلوا ذلك في «حلب» وربما غيرها.

وثمة تساؤل آخر يُطرح في هذا المقام، وهو أنّه وبناءً على أَنَّ خولة بنت الحسين ﷺ كانت سقطاً، كما أَنَّ المحسن بن الحسين ﷺ هو الآخر سُقُطٌ، فهل أَنَّ أمّ السقطين واحدة وكانت تحمل توأمًا، وقد أجهضت أحدهما في «حلب» والآخر في «بَعْلَبَكَّ»؟ إنَّ هذا أمر مستبعد جدًّا، أو أَنَّ الأم مختلفة؟

(١) أنظر: معجم البلدان ج ١ ص ٤٥٤.

(٢) يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان ج ٢ ص ١٨٦ وهو يتحدث عن «جوشن»: «جبل في غربي حلب، ومنه كان يحمل النحاس الأحمر وهو معدنه، ويقال: إنّه يُطلُّ منذ عبر سبي الحسين بن علي ﷺ ونساؤه، وكانت زوجة الحسين حاملاً فأسقطت هناك، فطلبت من الصّاع في ذلك خبزاً وماء فشموها ومنعوها، فدعت عليهم، فمن الآن من عمل فيه لا يريح، وفي قبلي الجبل مشهد يعرف بمشهد السقط، ويسمى مشهد الدكة، والسقط يُسمى محسن بن الحسين ﷺ».

(٣) يحكى أَنَّ سيف الدولة الحمداني هو الذي أظهر مشهد السقط محسن وعمره، أنظر: مزارات أهل البيت وتاريخها ص ٢٣٥.

وهذا يفترض أن يكون الإمام الحسين عليه السلام قد اصطحب معه في تلك الرحلة أكثر من زوجة، وهذا أمر بحاجة إلى إثبات.

ثانياً: وهكذا لا نجد شيئاً على هذا الصعيد في كتب الرحالة (وهي من أهم المصادر في هذا المجال) الذين مرّوا على «بعلبك»، أو ما جاورها من البلدان، ومنهم ابن جبير في رحلته المعروفة<sup>(١)</sup>، وكذلك الشيخ الصوفي عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ) في رحلته: «حلة الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والباق العزيز» و«الرحلة الطرابلسية»، وهاتان الرحلتان للنابلسي في غاية الأهمية في بحثنا، ليس لأنّ النابلسي رجل خبير ودقيق، وهو من أهل المنطقة - أقصد بلاد الشام - فحسب، بل لأنه في الوقت عينه كان صوفي الهوى ومهتماً بالمقامات الدينيّة، وزيارتها تعني له الكثير، كما يبدو واضحاً من رحلته المذكورتين واللتين مرّ فيهما على «بعلبك» ووصف مزاراتها وقلعتها ومساجدها، وقد زار فيها مقام الشيخ عبد الله اليونيني، كما زار «النبى شيث» و«كرك نوح» و«النبى أيلان»، إلى غير ذلك من البلدان التي قصدتها بهدف زيارة مقامات الأنبياء والأولياء المنتشرة فيها، ولكّنه لم يُشر إطلاقاً إلى مقام يُنسب إلى خولة بنت الحسين عليها السلام، أو مشهد يُعزى إلى رأس الحسين عليه السلام.

وثمة رحالة آخر متقدّم زماناً على النابلسي وهو الشيخ ابن محاسن (ت ١٠٥٣هـ) وقد مرّ على «بعلبك» وبلادها وزار الكثير من القبور والمقامات فيها ومع ذلك لم يُشر إلى مقام السيدة «خولة»<sup>(٢)</sup> أو مشهد الرأس!

ثالثاً: وبمراجعة كتب المؤرخين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، نجد صمتاً

(١) إنّ ابن جبير وإن لم يتسنّ له المرور على «بعلبك» أو بلاد البقاع اللبناني، لأنها كما يقول كانت آنذاك بيد الإفرنج الصليبيين كأكثر بلاد الشام (أنظر: رحلة ابن جبير ص ٢٥٥)، لكنّه كان مهتماً بها وبمراقدها، وقد سجّل في كتابه وصف قبري شيث ونوح، كما سلف، ولم يذكر أو يحدث عن مقامات لأهل البيت عليهم السلام في «بعلبك»، أنظر: رحلة ابن جبير ص ٢٤١.

(٢) أنظر: المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية ص ٩٩.

مطبّقاً إزاء خولة ومقامها، ولو على سبيل تسجيل الملاحظة النقدية من بعضهم لظاهرة معينة، كأن يتمّ الحديث عن أنّ للشيعة مقاماً يزورونه ويتبرّكون به.

رابعاً: ولا نجد ذكراً لهذا المقام أو سعيّاً للتعرف عليه عند علماء الشيعة قاطبة، ولا سيّما علماء بلاد الشام، كعلماء «حلب» و«الكرك» و«مشغرة» وغيرهم من علماء جبل عامل، مع أنّ الدواعي متوفرة عند هؤلاء وحاضرة أكثر من غيرهم، فلم يُذكر في سيرة أحدهم أنّه زار مقام السيدة «خولة»، أو تحدّث عنه، أو حتّى الناس على زيارته، حتّى أنّ الفقهاء والعلماء الذين زاروا «بعلبك» أو أقاموا فيها مدّة من الزمن، لم يُنقل عنهم شيء من ذلك، ومن هؤلاء الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي الجبعي (ت ٩٤٨هـ) والذي أقام مدّة في «بعلبك» وولد له فيها ابنه الشيخ البهائي<sup>(١)</sup>، وكذلك، فإنّ الشهيد الثاني زين الدين الجبعي (ت ٩٦٦هـ) أقام مدّة في «بعلبك» ودرّس على المذاهب الخمسة في مدرستها النورية، ولم يُنقل عنه شيء يرتبط بزيارة السيّدة خولة، مع أنّه قد زار «مشهد شيث عليه السلام» عندما كان في «بعلبك» واستخار فيه لبعض أموره، كما نقل تلميذه ابن العودي<sup>(٢)</sup>.

وقد مرّ على بلاد «بعلبك» و«جبل عامل» في عام ١٢٢١هـ العالم الحجازي الشيخ إبراهيم بن مهدي آل عرفات وأسهب في الحديث عن قبور الأنبياء الموجودة فيها، وسجّل الكثير من المشاهدات الهامة عن هذه المقامات وما هو مكتوب على جدرانها وما يقوله الناس عنها، ولكنّه لم يأتِ على ذكر هذا المقام لا من قريب ولا من بعيد<sup>(٣)</sup>.

ويستمرّ هذا السكوت إلى ما يقرب من زماننا، حيث لم يُنقل أنّ أحداً من أعلام

(١) أنظر: أمل الآمل ج ١ ص ١٧٩ وأعيان الشيعة ج ٦ ص ٥٦.

(٢) أنظر: الدر المثور ج ١ ص ١٨٢.

(٣) أنظر: كتاب الكشكول للعالم المذكور ص ٧٦ إلى ص ٩٤، وراجع الملحق ٣، حيث سنقل نص كلامه حول مشاهداته في هذه المنطقة.

الإمامية قد زاره، من أمثال السيّد «أبو الحسن الأصفهاني (ت ١٣٦٥هـ)»<sup>(١)</sup> والشيخ عبد الله نعمة (١٢١٩ هـ - ١٣٠٣ هـ)<sup>(٢)</sup>، وغيرهم من العلماء، وأمّا التقاط صورة للسيد عبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٧٧ هـ) أمام هذا المقام مع جمع من الأعيان فهو لا يدلّ على تبنيّه للمقام أو إقراره بوجود السيدة خولة، كما لا يخفى.

خامساً: لم نجد أنّ أحداً من العلماء المهتمين بالبحث عن المراقد والمزارات والمشاهد المشرفة أشار إلى هذا المقام أو القبر أو مشهد الرأس، مع أنّ ذلك من صلب اهتماماتهم، ويأتي على رأس هؤلاء العلامة البحّاث الشيخ محمّد حرز الدين (ت ١٣٦٥ هـ)، فقد ألف كتاباً قيماً في الرجال أسماه «معارف الرجال»، وآخر حول المراقد والمقامات والقبور أسماه «مراقد المعارف» وتحدّث في كتابه الثاني عن المراقد المنتشرة في البلدان الإسلامية عامّة سواء كانت هذه المراقد لشخصيات شيعية أو غيرها، وقد سجّل في كتابه هذا وصفاً لبعض المقامات الموجودة في «بعلبك»، ومنها مرقد حفصة بنت معاذ بن جبل، وأشار إلى أنّه قد سُئل عن هذا القبر (فلعله مرّ في «بعلبك»)، ونقل كلام ياقوت الحموي في معجم البلدان وما ذكره بشأن المقامات التي تضمّها المدينة<sup>(٣)</sup>، لكنّه لم يُشير إلى قبر خولة أو مشهد رأس الحسين عليه السلام، مع أنّ ذلك من صلب اهتماماته، وبالرغم من أنّ المقام - مقام السيدة خولة - كان مشيداً في زمانه، ولا نجد تفسيراً لهذا الإعراض عن ذكره إلاّ عدم اعتنائه به، أو كونه مغموراً بحيث لم يسمع به.

وهكذا نجد أنّ العلامة السيد محسن الأمين قد أهمل ذكر هذا المقام، هذا مع أنّ السيد الأمين - وهو العالم العاملي والخبير الموسوعي - قد كان هو الآخر مهتماً بالحديث عن بلدان الشيعة وما فيها من آثار ومشاهد ومعالم، مع أنّه قد

(١) راجع حول زيارته إلى بعلبك: أعيان الشيعة ج ٢ ص ٣٣٣.

(٢) يقول السيد محسن الأمين: «وكانت له في كلّ سنة دورة على عموم بلاد الشيعة، فيأتي إلى بلاد بشارة وجبل لبنان وبلاد بعلبك ودمشق وبلاد حمص وحلب وغيرها». أنظر: أعيان الشيعة ج ٨ ص ٦٠.

(٣) مراقد المعارف ج ١ ص ٢٥٧.

تحدّث عن مشهد «رقيّة بنت الحسين عليه السلام» في محلّة العمارة بدمشق<sup>(١)</sup>، ونراه أيضاً تحدّث في غير واحد من كتبه عن «بعلبك» وقلعتها وآثارها وعن رموز التشييع فيها وعن أمرائها الشيعة وسادتها ونقبائها الأشراف من آل مرتضى.. ولكنه لم يتطرّق إلى هذا المقام إطلاقاً، بل تجاهل الإشارة إليه، ولم يعبا به، مع أنّه كان - بالتأكيد - مبنياً في زمانه<sup>(٢)</sup>.

سادساً: لم نجد أحداً من علماء التراجم الذين كتبوا في سيرة المعارف والشخصيات الشيعة من ذوي الشأن العلمي أو الدينيّ أو الأدبي<sup>(٣)</sup> سواء كانوا من الرجال أو النساء أو الأطفال قد تحدّث عن خولة بنت الحسين عليه السلام، مع أنّ هؤلاء - أي علماء التراجم - قد دوّنوا في كتبهم أسماء شخصيات أقلّ شأناً من «خولة بنت الإمام الحسين عليه السلام»، فلو كانت «خولة» هذه شخصية حقيقية، فكيف غفّل عنها هؤلاء أو أغفلوا ذكرها في كتبهم!؟

سابعاً: وأضف إلى ذلك كلّه أنّ بلاد الشام قد شهدت قيام دول وإمارات شيعيّة متعددة وفي فترات زمنية مختلفة، منذ حُكّم الفاطميين، وما تلا ذلك من دويلات شيعية انتشرت في بلاد الشام، كدولة بني عمّار في طرابلس، وإمارة الحمدانيين في حلب، والتي امتدّت إلى بعلبك، وإمارة آل حمادة في شمالي لبنان، وصولاً إلى الأمراء الحرافشة الذين حكموا في «بعلبك» نفسها لما يقرب من أربعة قرون<sup>(٤)</sup>، ومع ذلك فلم ينقل في أيّ مصدر من المصادر أنّ شيعة بلاد الشام قد زاروا هذا المقام ولا سيّما في القرن الرابع الهجري وما بعده، حيث انتشر

(١) وإن لم يظهر منه تبنيّه، حيث قال: «الله أعلم بصحته»، أنظر: أعيان الشيعة ج ٧ ص ٣٤.

(٢) أنظر: أعيان الشيعة ج ١ ص ١٩٨، ج ٢ ص ٢١٦-٢١٧.

(٣) راجع: رياض العلماء للعلامة عبد الله الأفندي، وروضات الجنات للسيد الخونساري، وأعيان الشيعة للسيد الأمين، وطبقات أعلام الشيعة للأغا بزرك الطهراني، والكنى والألقاب للشيخ عباس القمي، وغيرها من كتب التراجم.

(٤) أعيان الشيعة ج ٦ ص ٣٥٧، وفي مورد آخر، قال السيد الأمين: إنّ حكمهم استمر نحو خمسة قرون، أنظر: أعيان الشيعة ج ٧ ص ٢٧٨.

التشيّع في بلاد الشام<sup>(١)</sup>، ولم يُذكر - أيضاً - أنّ أحداً من أمرائهم قد ساهم في بنائه وتشييده، كما هي عادة الكثيرين من الأمراء الشيعة<sup>(٢)</sup>؛ هذا مع أنّ العلامة الأمين يذكر أنّ الأمراء الحرافشة «بنوا المساجد في بَعْلَبَكَّ وغيرها»، وأنّ الأمير يونس الحرفوش بنى «جامع النهر» فيها<sup>(٣)</sup>، ويذكر الشيخ «آل عرفات» في كشكوله أنّ بعض أمراء الحرافشة بنى مقام «النبي أيلًا» في البقاع<sup>(٤)</sup>، ولكن لم نجد - بحسب التتبع - أنّ أحدهم بنى مقام «السيدة خولة» أو مشهد رأس الحسين عليه السلام! إنّ هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على عدم امتداد هذا المقام تاريخياً، وأنّه مقام استُحدث في الأزمنة المتأخّرة.

### الحجر المنقوش

في ضوء ما تقدّم اتّضح أنّه ليس ثمة دليل يُعتدُّ به يشهد لصدقيّة هذا المقام، أو يثبت وجود «خولة بنت الحسين عليه السلام»، أجل يبقى في هذا المجال أمران قد يتمسك بهما البعض لإثبات صدقية المقام المذكور، والأمران هما:

الأمر الأول: هو الحجر المنقوش الذي بعث صورته مطران بَعْلَبَكَّ قبل مائة عام إلى الأب لويس شيخو اليسوعي، ونَشَرَ الأب «رنزفال اليسوعي» الباحث في الكتابات الشرقية تلك الصورة في مجلة المشرق<sup>(٥)</sup>، وبحسب رنزفال فإنّ كتابة

(١) يقول السيوطي: «وفي هذه السّنة - يقصد سنة ٣٦٤ هـ - وما بعدها غلا الرّفض وفار بمصر والشام والمشرق والمغرب ونودي بقطع صلاة التراويح»، أنظر تاريخ الخلفاء ص ٤٠٦.

(٢) فلو لاحظنا على سبيل المثال العمارات المتعدّدة لمقام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على مرّ التاريخ فنجد أنّ القائم بها هم «الملوك» أو «الأمراء» الشيعة، أنظر: أعيان الشيعة، ج ١ ص ٥٣٦، وهكذا الحال في مقام الإمام الحسين عليه السلام ومقام الإمام الرضا عليه السلام وغيرها من المقامات والمرقد المطهّرة.

(٣) أعيان الشيعة ج ٢ ص ٢١٧ وج ٤ ص ٢٧٢ وج ٧ ص ٢٧٨ وفي ج ١٠ ص ٣٢٥ من أعيان الشيعة ينقل السيد الأمين بيتاً من الشعر يؤرّخ لعمارة «مسجد النهر» من قبل الأمير يونس الحرفوشي من سنة ١٠٢٨ هـ.

(٤) الكشكول للشيخ آل عرفات ص ٧٧.

(٥) نشرت ذلك مجلة «المشرق» التابعة للرهبة اليسوعية في عام ١٩٠٠ م، وذلك في عددها الأول من سنتها الثالثة ص ٣٨، والمقال بعنوان: «قراءة بعض الكتابات الشرقية»، والمجلة المذكورة كما عرّفت عن نفسها

النقش «غير سهلة القراءة في بعض المواضع فضلاً عن أنها غير كاملة، وإليك  
- والكلام لرنزفال - ما أمكنا أن نقرأ فيها: « ١ - حسين بن علي... (?) ﷺ ٢ - في  
ذي الحج [ة] ٣ - سنة سبع وسبعين وأربعمائة [٤] - رب اغفر له وارحم»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر بعضهم أن النقش المذكور عُثر عليه في مدينة بَعْلَبَكَّ وتحديدًا «في  
مقابل «لوكندة عرييد»<sup>(٢)</sup>، يعني في المكان الذي يقع فيه مقام خولة اليوم»، الأمر  
الذي استنتج منه أن هذا هو شاهد قبر كان على ضريح «السيدة خولة»، وأن  
عوامل الزمان وعاديات الدهور أدت إلى تهديمه وتهشيم أطرافه.

إلا أن هذا الشاهد لا ينفع في إثبات وجود «خولة» وتصحيح نسبة المقام إليها،  
أو إلى إحدى بنات الإمام الحسين ﷺ أو أحد أبنائه، وقبل أن نسلط الضوء  
على نقاط الضعف في هذا الشاهد (أي النقش) لا بد أن ننبّه إلى أن ما ذكر من أن  
النقش عُثر عليه في مقابل «لوكندة عرييد» أي في المحل الذي يقع فيه قبر «خولة»  
هو كلام لا وجود له في مجلة «المشرق»، ولم يرد في كلام «رنزفال» إطلاقاً،  
والإيحاء بأن هذا من تنمة كلامه بجانب للأمانة العلمية، إن نص «رنزفال» ليس  
فيه إيحاء بمكان العثور على النقش، بل ليس فيه ما يشي بأن النقش قد تم العثور  
عليه في مدينة «بَعْلَبَكَّ» أساساً، واستفادة ذلك من أن موقع المطرانية آنذاك يقع  
بالقرب من المقام هو استنتاج غريب ولا شاهد عليه، لأن كون المرسل لصورة  
هذا النقش هو مطران بعلبك لا يعني إطلاقاً أنه عثر عليه في مدينة «بعلبك»،  
فضلاً عن أن يكون قد عثر عليه في مقابل المطرانية أو بالقرب منها.

بالعودة إلى النقش نفسه، فإننا وبعد التأمل في صورته نسجل الملاحظات التالية:

«مجلة كاثوليكية تصدر مرتين في الشهر.. بإدارة آباء كلية القديس يوسف، صاحب الامتياز: الأب لويس شيخو  
اليسوعي».

(١) المصدر السابق، والأرقام المذكورة في النص أعلاه ليست من أصل النقش، وإنما هي أرقام وضعها «رنزفال»  
للدلالة على بداية كل سطر من السطور الأربعة التي تظهر في النقش.

(٢) اللوكندة: كلمة إيطالية تعني الفندق.

أولاً: مع أنّ «رنزفال» رجّح كون النقش هو نقش قبر، إلّا أنّ هذا الأمر يحتاج إلى التثبت منه من خلال الرجوع إلى أهل الخبرة والاختصاص في مجال الآثار القديمة، إذ ربّما كان النقش علامةً موضوعة على عتبة مسجد من المساجد - مثلاً - وسقطت بفعل العوامل المختلفة.

ثانياً: على فرض أنّه شاهد قبر، فليس هناك ما يثبت أنّ صاحب هذا القبر هو من ذرية الإمام الحسين عليه السلام المباشرين أو غير المباشرين، لأنّ الصخرة التي اشتملت على النقش إن كانت مهشّمة من أولها وقد سقط من النقش شيء فلا ندري ما هي الأسماء أو الكلمات الساقطة التي توضح لنا هويّة صاحب القبر، وأمّا إذا فرض أنّ الصخرة لم يسقط من رأسها شيء فسيكون اسم صاحب القبر هو «حسين ابن علي»، ولا يمكن بحال إرجاعه إلى الإمام الحسين عليه السلام، فهذا الاسم متداول بين المسلمين ولا سيّما الشيعة، والترضي عليه بعبارة «عليه السلام» لا يستفاد منه أنّ اسم «حسين ابن علي» يرجع إلى الإمام الحسين عليه السلام وأنّ المترضي عليه هو من أهل السنّة، أجل إنّ هذا الاحتمال إنّما يكون وارداً إذا ثبت سقوط اسم ما من أول النقش، لكنّ هذا ليس واضحاً من صورة النقش ولم يُشر إليه «رنزفال» إطلاقاً. وفي أحسن التقادير فإنّ هذا مجرد احتمال ضعيف لا يُبنى عليه.

ثالثاً: وممّا يبعث على مزيد من الشكّ في أن يكون المقصود بالاسم هو الإمام الحسين عليه السلام أنّ تَمّة كلمة غير مفهومة في صورة النقش جاءت بعد اسم «علي» مباشرة، وقد أشار «رنزفال» إلى ذلك بوضع عدّة نقاط (...) لأنّه لم يفهم الكلمة، ويبدو أنّها من تَمّة الاسم، ومن المحتمل أن تكون هذه الكلمة هي «أسمر»، أو ما هو قريب من ذلك، ما يجعل من الراجح أن تكون إشارة إلى عائلة صاحب الضريح، أو أنّها تَمّة لاسمه، لاحتمال أن يكون اسمه مركباً.



رابعاً: بالإضافة إلى ما تقدّم، فإنّ ثمة عبارة وردت في آخر النقش هي ذات مغزى ودلالة هامة، لأنّها تسلّط الضوء على هويّة الشّخص الذي يرمز النقش إليه، والعبارة هي: «رب اغفر له وارحم»، فهذه العبارة تدلّ على أمرين في غاية الأهميّة:

أحدهما: إنّ صاحب الضريح هو ذكر وليس أنثى، بقريته تذكير الضمير في «له»، وهذا واضح وجليّ.

ثانيهما: إنّ صاحب الضريح بالغ وليس طفلاً، لأنّ الرحمة والمغفرة الإلهيتين، إنّما تطلبان للبالغين لا للصغار، كما هو معروف، لأنّ الصغار مطهّرون عن دنس المعاصي والذنوب، بسبب رفع قلم التكليف عنهم، فلا معنى لطلب المغفرة لهم.

وما نستنتجه ممّا تقدّم ليس فقط عدم ارتباط النقش المذكور بـ«خولة» أو غيرها من بنات الإمام الحسين عليه السلام، بل وعدم ارتباطه بأيّ من أبناء الإمام الحسين عليه السلام ولو كان ذكراً، لأنّه - كما هو معروف - لم يبقَ للإمام الحسين عليه السلام بعد معركة كربلاء ذكراً بالغ إلاّ عليّ بن الحسين عليه السلام، ما يعني في المحصّلة أنّ اسم «حسين ابن علي» الموجود في النقش لا يُراد به الإمام الحسين عليه السلام، بل رجل آخر، والله العالم.

## المنام والمقام

الأمر الثاني: هو المنام المتداول في بعض الأوساط في «بعلبك» وحدثني به بعض علمائها وخلاصته: إنّ أحد الأشخاص من الطائفة الشّيعة من «آل الخرفان»، ويقال: من «آل جاري» رأى في منامه طفلةً تخبره أنّها مدفونة في بقعة معينة من بستانه، وأنّ الساقية التي تحمل المياه تمرّ على قبرها فتؤذيها، فحدّث الرجل

بمنامه هذا أحد السادة من «آل مرتضى»، فحفر بدوره في تلك البقعة، فوجد جثة طفلة صغيرة، فاهتمّ لأمرها وقام بدفنها حيث المقام اليوم، ولكن لا ندري من أسمى هذه الطفلة باسم «خولة» وأنهى نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام؟ فهل هي التي أخبرته في المنام باسمها ونسبها؟ سنفرض أنّ الأمر كذلك، ولكن هل يمكننا التعويل على هذا المنام في إثبات صدقية المقام؟

قد ذكرنا في الفصل الأول أنّ المنام ليس حُجّة شرعاً ولا يمكن التعويل عليه في إثبات صحّة المراقد، ولكن قد يقال: إنّ لهذا المنام خصوصية تفرض علينا التصديق به والتعويل عليه، لأنّ الواقع صدّقه، وذلك بعد نبش القبر والعثور على جثة الطفلة مطابقة لوصف الشخص الذي رآها في المنام.

لكن قصة المنام هذه تواجهها عدة ملاحظات وأهمّها:

أولاً: كيف لنا أن نتوثق من صدق المنام وحصوله فعلاً؟ إذ إنّ مجرد انتشار القصة اليوم لا يصلح دليلاً على حصولها فعلاً، ولا سيّما مع معارضتها برواية شعبية أخرى منتشرة في منطقة بعلبك أيضاً، وهي رواية تقدّم لنا قصة أخرى لهذا المقام، وهي قصة السقط، ومفادها: أنّ زوجة الإمام الحسين عليه السلام قد تعرّضت للإجهاد والتعب، فأسقطت حملها ودفن في تلك البقعة، فبأيّ القصتين نأخذ؟ وأيهما نصدّق؟

ثانياً: من الذي يضمن أن لا تكون قصة المنام «مفبركة» من قبل الشخص نفسه الذي زعم رؤية المنام، فربّما كان على علم بدفن طفلة معينة في بعض الأماكن، ثم اختلق قصة المنام وذهب إلى بعض السادة من «آل مرتضى» وهم شيعة مُحبّون لأهل البيت عليهم السلام وزعم أنّه رأى في منامه بنتاً للحسين عليه السلام في المكان الفلاني وأنّ ساقية المياه تؤذيها، طمعاً منه في كرم هؤلاء السادة وما قد يغدقونه عليه من أموال، وإلّا فلماذا لم يذهب هذا الرجل وهو سنيّ المذهب إلى بعض علماء السُّنة ليخبره بالمنام؟!





## مقام أبي لؤلؤة

أبو لؤلؤة واسمه فيروز، وهو غلام المغيرة بن شعبة، كان من سبي نهاوند، أسرته الروم ثم أسره المسلمون منهم، وهو الذي قتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وطعن معه ثلاثة عشر رجلاً، فرمى عليه أحد المسلمين ثوباً وبرك عليه، فلما رأى أنه لا يتحرك كشف عنه، فإذا به قد وجأ نفسه وانتحر<sup>(١)</sup>، وعن سبب قتله للخليفة روي أن أبا لؤلؤة قال لعمر: «ألا تكلم مولاي - يقصد المغيرة - يضع عني من خراجي؟ قال: كم خراجك؟ قال: دينار، قال: ما أرى أن أفعل، وإنك لعامل محسن، وما هذا بكثير، ثم قال له عمر: ألا تعمل لي رحي؟ قال: بلى، فلما ولّى، قال أبو لؤلؤة: لأعملنّ لك رحي يُتحدّث بها ما بين المشرق والمغرب..»<sup>(٢)</sup>، وكان يقصد بذلك تدبير حيلة لقتله.

وقد ثار في الآونة الأخيرة لغطٌ كبيرٌ وواسع حول مقام أبي لؤلؤة الموجود في كاشان بإيران، وزعم بعضهم أن الشيعة يبجلون هذا الرجل ويقدمونه ويقصدون قبره للزيارة، ويسمونه «بابا شجاع الدين»<sup>(٣)</sup>، وتعليقاً على هذه الأحاديث، فإننا نسجل بعض الملاحظات أو الوقفات:

(١) أنظر، أسد الغابة، ج ٤ ص ٧٦، البداية والنهاية ج ٧ ص ١٢٧.

(٢) الاستيعاب ج ٣ ص ١١٤٥.

(٣) الموسوعة الميترية في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مجموعة من العلماء، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، السعودية - الرياض، ص ١٩١.

أولاً: ليس في النصوص الحديثة أو المصادر التاريخية أو غيرها ما يؤكد إسلام أبي لؤلؤة، فضلاً عن كونه صاحب مكانة دينية مرموقة، بل في بعض الكلمات أنه كان نصرانياً، وعن بعضهم كان مجوسياً<sup>(١)</sup>، ومحاولة بعضهم إثبات إسلامه أو تشييعه لا تصح، فضلاً عن أن يُدعى أنه من أكابر المسلمين وخيار الشيعة<sup>(٢)</sup>، وكيف يكون من خيار الشيعة ولم يُذكر له موقف يدل على تشييعه، ولم يمدحه إمام من الأئمة عليهم السلام، أو عالم من علماء الشيعة! وهذه كتب الرجال بين يديك لا تجد فيها عيناً ولا أثراً عن مدح أبي لؤلؤة، بل إن قصة انتحاره - لو صحّت - تشهد بسوء عاقبته.

وأما ما تلوكه بعض الألسن من أن «أبا لؤلؤة» هو «أبو الشيعة» فهو كلام سخيف ولا مبرّر له سوى العصبية المذهبية المقيبة، والصحيح أن الأب الروحي الحقيقي للشيعة ولغيرهم من المسلمين هو رسول الله صلى الله عليه وآله ومن بعده أمير المؤمنين عليه السلام، طبقاً لما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا وعلي أبو هذه الأمة»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: ثم لو صحّت فرضية أن أبا لؤلؤة قد مات منتحراً في المدينة، فمن الطبيعي أن يكون قد دُفن في بعض مقابر المدينة المنورة، فمن الذي أخذ جثمانه إلى كاشان ليُدفن هناك؟! كما أننا لم نجد في شيء من المصادر ما يدل على أن جثمانه أو رفاتة قد نقلت من «المدينة» إلى «إيران»، وإنا نرجح أن الرجل مات في المدينة منتحراً، لأنه لو لم تصحّ فرضية انتحاره المذكورة في المصادر، فلك أن تسأل أين ذهب الرجل، وهو المطلوب للقصاص لقتله الخليفة؟ ولو أنه قد هرب لأرسلت السلطة في المدينة خلفه ولبحث عنه أولياء الدم، ولا سيما «عبد الله بن عمر» الذي اندفع إلى قتل «الهرمزان»، انتقاماً لقتل والده، ولكننا لم نجد

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣ ص ١١٥٥، ونقل عن عمر أنه قال: «الحمد لله الذي لم يجعل مني بيد رجل سجد لله سجدة واحدة».

(٢) أنظر: رياض العلماء ج ٥ ص ٥٠٧، وج ٤ ص ٣٨٤.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٩١.

في شيء من المصادر ما يدلّ على فراره من «المدينة» أو تعقّب بعض الناس له بعد قتله لعمر بن الخطاب، فضلاً عن هربه ولجوئه إلى «كاشان» وموته هناك، فإنّ هذا الأمر لو كان لبّان واشتهر.

ثالثاً: وعلى فرض حصول ذلك، أعني هربه إلى كاشان وموته هناك، فلا مبرّر لبناء ضريح له أو تشييد مقام على قبره، لا لإثّه لم يثبت لنا إسلامه ولا مكانته الدينيّة فحسب، بل لأنّ بناء ضريح له يثير الضغائن بين المسلمين، ولعلّه لذلك أمر سماحة قائد الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة السيد الخامنئي حفظه الله بسدّ هذا المقام وعزله، مقدّمةً لهدمه، على ما أخبرنا بعض العلماء المقرّبين منه.







## مقام الخواجة ربيع بن خُثيم (خُثيم)<sup>(١)</sup>

الربيع بن خُثيم تابعي، تلميذ الصحابي عبد الله بن مسعود، وهو مدفون في مدينة مشهد بإيران «على قرب فرسخ من الروضة المقدسة (للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام)، وله قبة معروفة هناك يزوره الناس وهم يطرون في الثناء عليه..» كما يقول صاحب رياض العلماء<sup>(٢)</sup>، مرجحاً أن تكون وفاته في سنة ٦٢ هـ أو ما يقرب منها<sup>(٣)</sup>. وبالتالي فهو لم يدرك الإمام الرضا عليه السلام.

ويظهر من العلامة الحلبي رحمته الله أنه كان معتقداً بإيمان «الخواجة ربيع»، ولذا أدرجه في القسم الأول من الخلاصة<sup>(٤)</sup> وهو القسم المعد للثقة، ناقلاً ما قيل عنه إنه كان أحد الزهاد الثمانية، في إشارة إلى ما جاء في رجال الشيخ الكشي رحمته الله نقلاً عن علي بن محمد بن قتيبة، قال: «سئل أبو محمد الفضل بن شاذان عن الزهاد الثمانية؟ فقال: الربيع بن خُثيم، وهرم بن حيان، وأويس القرني، وعامر بن عبد قيس، وكانوا مع علي عليه السلام ومن أصحابه وكانوا زهاداً أتقياء..»<sup>(٥)</sup>.

(١) وقع الاشتباه في اسم والده، ففي بعض المصادر ورد هكذا: «خُثيم» بتقديم الياء على الثاء، أنظر: رجال ابن داود ص ١٥٠، ولكن العلامة الحلبي ضبطه هكذا «خُثيم»، فقال: «الربيع بن خُثيم، بالحاء المعجمة المضمومة، والثاء المنقطه فوقها ثلاث نقط قبل الياء المنقطه تحتها نقطتان»، أنظر: خلاصة الأقوال ص ١٤٥.

(٢) رياض العلماء ج ٢ ص ٢٧٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) خلاصة الأقوال ص ١٤٥.

(٥) اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٣١٤.



وهكذا فإنَّ «الشيخ البهائي» كَلَّمَهُ كان من المعتقدين بإيمانه ومكانته الدينيَّة، حيث أجب على سؤال الشاه «عباس الصفوي» عن حال «الخواجة ربيع» قائلاً: «إنَّ الخواجة ربيع من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وكان مقرَّباً عنده كثيراً، ولَمَّا جاء عسكر الإسلام إلى خراسان لجهاد الكفار تُوفِّي هناك، وينقل عن الرضا عليه السلام أنه قال: «لم يحصل لي فائدة من المجيء إلى خراسان إلاَّ زيارة الخواجة ربيع»<sup>(١)</sup>، ونُقل عن مجالس المؤمنين للقاضي التستري أنَّ «المسموع من ثقة تلك الديار أنَّ الرضا لَمَّا كان مع المأمون بطوس كان يزور الخواجة ربيع، وكفاه هذا فضلاً وشرفاً»<sup>(٢)</sup>.

وفي المقابل فإنَّ بعض العلماء ومنهم الميرزا عبد الله الأفندي الأصفهاني صاحب الرياض (من أعلام القرن ١٢ للهجرة) والسيد محسن الأمين والسيد الخوئي (رحمهم الله) لم يثبت عندهم إيمانه، فضلاً عن كونه مقرَّباً من أمير المؤمنين علي عليه السلام.

يقول العلامة الأفندي: «ليس بمرضيّ علي ما أحسبه»<sup>(٣)</sup>، وقال: «لم يكن من الثقات المرضيين عند الإمامية»<sup>(٤)</sup>.

وأما قول البهائي: إنّه كان مقرَّباً عند أمير المؤمنين علي عليه السلام فلم نجد - كما يقول السيد الأمين وغيره - ما يدلّ عليه، إن لم يوجد الدليل على خلافه، وما رُوي عن الإمام الرضا عليه السلام في مدحه أو أنّه كان يزوره «لم يثبت، بل المظنون أو المتيقّن عدم صحّته وأنّه من المشهورات التي لا أصل لها»<sup>(٥)</sup>.

(١) أنظر: رياض العلماء ج ٢ ص ٢٨٧.

(٢) أعيان الشيعة ج ٦ ص ٤٥٤.

(٣) رياض العلماء ج ٢ ص ٢٨٦.

(٤) م. ن. ج ٢ ص ٢٩٨.

(٥) أعيان الشيعة ج ٦ ص ٤٥٤.

وقد جاء في بعض المصادر التاريخية وغيرها أنّ الخواجة ربيع كان من الذين تخلّفوا عن بيعة أمير المؤمنين<sup>(١)</sup> عليه السلام، وعن «نصر بن مزاحم» في كتاب صفين أنّه جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام أصحاب عبد الله بن مسعود، ومنهم «ربيع بن خيثم»، وهم يومئذ أربعمائة رجل فقالوا: «يا أمير المؤمنين إنا شككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك، ولا غنى بنا ولا بك ولا بالمسلمين عمّن يقاتل بالمسلمين العدو، فولّنا بعض هذه الثغور نكنّ به، نقاتل عن أهله، فوجّه علي عليه السلام بالربيع بن خيثم إلى ثغر بالريّ..»، وفي «مجمع البحرين» تعليقاً على هذا الخبر: «فيكون الربيع داخلاً في جملة المشككين»<sup>(٢)</sup>.

وفي بعض المصادر أنّه كان يجتنب ذكر يزيد بسوء حينما بلغه مقتل الإمام الحسين عليه السلام وقال: «إلى الله إياهم وعلى الله حسابهم»<sup>(٣)</sup>!

ومن العلماء الرجاليين الذين أصرّوا على أنّ الربيع لم يكن إمامياً ولا صاحب مكانة دينية حقيقية العلامة المحقّق الشيخ التستري، وقد أورد الروايات والشواهد المختلفة التي تؤكّد صوابية رأيه، مفنداً ما نُقل عن «البهائي» و«الكشي» ممّا هو ظاهر في صحّة إيمانه<sup>(٤)</sup>.

وملخص القول: إنّ الخواجة ربيع هو شخصية لم يثبت اعتبارها الديني، وعليه، فلا مبرّر شرعاً لشدّ الرحال إلى زيارته أو عمارة مقامه.



(١) نقل ذلك في رياض العلماء ج ٢ ص ٢٩٨ عن السيد المرتضى، بن الداعي الحسيني، وهو من أكابر علمائنا.

(٢) مجمع البحرين ج ٤ ص ٣٣٠.

(٣) معجم رجال الحديث ج ٨ ص ١٧٥.

(٤) أنظر: قاموس الرجال ج ٤ ص ٣٣٥-٣٣٩.





## قبر مالك الأشر في بَعْلَبَكَّ

رجَّح الباحث المعاصر الشيخ جعفر المهاجر أن مدفن مالك الأشر النخعي هو في مدينة «بَعْلَبَكَّ»، وذلك في كتابه (مالك الأشر سيرته ومقامه في «بَعْلَبَكَّ»)، واعتمد فيما اختاره على بعض المعطيات والشواهد المستفادة من المصادر التاريخية، والتي رأى فيها ما يشهد لكون القبر الموجود حالياً في «بَعْلَبَكَّ» والمعروف «بقبر سيدي مالك» هو نفسه قبر مالك الأشر، وفيما يلي نقدّم ملخصاً لهذا الرأي، ثم نحاول تقييمه وتقييم المستندات التي اعتمد عليها.

في بادئ الأمر نقل الشيخ المهاجر ثلاثة نصوص عثر عليها تتحدّث عن القبر الموجود في «بَعْلَبَكَّ» المنسوب إلى الأشر، وهذه النصوص هي:

**النصّ الأول:** ما عن أبي الحسن علي بن أبي بكر الهروي (ت ٦١١هـ) في كتابه (الإشارات إلى معرفة الزيارات) وجاء فيه العبارة التالية: «بَعْلَبَكُّ»، على باب البلد من جهة الشمال قبر مالك الأشر النخعي، والصحيح أنّه بالمدينة».

يقول الشيخ المهاجر: «إنّ ما يهمنّا من نصّ الهروي ليس رأيه، وإنّما ما عاينه وأخبر به، ما يهمنّا بالذات هو ما يستفاد من كلامه، أنّ ما يعرف اليوم بقبر (سيدي مالك) كان في زمان المؤلف، أي في القرن السادس للهجرة معروفاً بأنّه قبر مالك بن (هكذا) الأشر النخعي، وأيضاً أنّه كان من القبور التي كانت مقصودة بالزيارة وإلا فلماذا ذكره في كتابه الموضوع على «الزيارات». ولا يهمنّا رأيه حيث قال:

«والصحيح أنه (يعني قبرَ مالك) في المدينة»، وذلك لسببين:

الأول: لأنه انفرد به، ولو كان صحيحاً لشاع وذاع وقاله غيره.

الثاني: إن المؤلف عرض في كتابه نفسه، في ست صفحات، لقبور المدفونين في «المدينة» من صحابة وتابعين وفقهاء، ولم نره ذكر الأشر من بينهم. ولو أن قوله «والصحيح أنه بالمدينة» كان عن علم ودراية لأشار إليه إشارة ما.

فذلك دليل قاطع على أن رأيه واضح البطلان.

النص الثاني: وهو عن ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م). وهو من هو في تمكنه بعلم البلدان، بحيث نستغني عن التعريف به وبكتابه الشهير (معجم البلدان) حيث قال: «بها (بَعْلَبَكُّ) قبر يزعمون أنه قبر مالك الأشر النخعي، وليس بصحيح». ونعلق على كلامه - والتعليق للشيخ المهاجر - بمثل ما علقنا به على كلام سابقه.

النص الثالث: وهو عن أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م). والعمري كان من كبار موظفي الدولة المملوكية (مهمندار. من الفارسية، مهمان: ضيف، دار: صاحب)، ولقد اهتم بمثل ما اهتم به الهروي من قبل، أعني ذكر المزارات. وكان من قوله:

«.. وأما سائر المزارات فكثيرة جداً. نذكر منها ما يحضرنا ذكره في هذا الوقت، مما هو ببلاد الشام. على ما يغلب على الظن صحته. لا كما يزعمه كثير من الناس في نسبة أماكن لا حقيقة لها».

«فمن ذلك قبر مالك بن (كذا!) الأشر النخعي. قيل إنه على باب مدينة «بَعْلَبَكُّ» من الشمال».

يقول المهاجر: «ومع أن العمري ذكر القبر في سياق المزارات التي يغلب

عنده على الظنّ صحّتها، فإنّنا لا نعلّق كبير أهمية على شهادته في هذا النطاق. بل إنّ ما هو أكثر أهمية عندنا، هو شهادته بأنّه بعد ما يقرب من قرن ونصف القرن من تسجيل الهروي لما اقتبسناه عنه قبل قليل، كان من المشهور والمعروف أيضاً بين الناس أنّ هذا القبر نفسه هو قبر الأشر، كما أنّه من المزارات المعروفة المقصودة في المنطقة. بحيث أطلع عليها العمري بحكم عمله، وأثبت كلّ ذلك في كتابه<sup>(١)</sup>، هذه حصيلة كلام الشيخ جعفر المهاجر.

وتعليقاً على كلامه نقول: إنّ هذا الرأي ضعيف جداً ولا يمكن التعويل عليه، وقد وقع صاحبه في العديد من الأخطاء التاريخية والرجاليّة والتحليلية، وفيما يلي نسّط الضوء على بعض الملاحظات التي ترد على هذا الرأي:

**الملاحظة الأولى:** إنّ المعروف بين المؤرّخين أنّ وفاة مالك الأشر كانت في مصر، وسوف أكتفي هنا بنقل نصّين لاثنين من كبار المؤرّخين يشهدان لما نقول:

**النص الأول:** هو للمؤرّخ إبراهيم بن محمد الثقفي (ت ٢٨٣ هـ)، فقد روى: «عن عاصم بن كليب عن أبيه أنّ علياً عليه السلام لما بعث الأشر إلى مصر والياً عليها، وبلغ معاوية خبره، بعث رسولاً يتبع الأشر إلى مصر يأمره باغتياله، فحمل معه مزودين (المزود وعاء الزاد) فيهما شراب، وصحب الأشر [فاستسقى الأشر] يوماً فسقاه من أحدهما، ثم استسقى ثانية فسقاه من الآخر وفيه سم، فشربه، فمالت عنقه، فطلبوا الرجل فقاتهم»<sup>(٢)</sup>.

وهذا النصّ واضح الدلالة على أنّ رسول معاوية قد تبع مالك الأشر إلى مصر وسقاه السم، فمات هناك، كما توحي بذلك عبارة «فمالت عنقه» والتي هي كناية عن الموت.

(١) مالك الأشر.. سيرته ومقامه في «بعلبك» ص ١٤٧ - ١٥٠.

(٢) الغارات للثقفى ج ١ ص ٢٦١.

والشيخ المهاجر ملتفتٌ لدلالة هذا النصّ على موت «مالك» في مصر، ولكنّه ناقشه من جهة السند، فقال: «لا عبرة بروايةٍ عن عاصم بن كليب الكوفي... ذلك لأنّ الراوي المزعوم للخبر ابن كليب توفي سنة ٣٧ هـ ٦٥٧ م. أي قبل مقتل الأشر بسنة، فكيف يمكن أن يروي ملابسات قتله؟!» ويضيف: «خلاصة القول: إنّ من الجليّ أنّ هذه الروايات بيّنة الوضع، وعليه فإنّها لا تستحقّ بذل الجهد في مناقشة ما في متنها»<sup>(١)</sup>.

ولا أخفي القارىء أنّ كلام الشيخ المهاجر هذا قد أثار تعجّبي واستغرابي، لا لرميه النص المذكور بالوضع دون دليل فحسب، بل لوقوعه في خطأ فادح، حيث زعم أنّ عاصم بن كليب توفي في سنة ٣٧ هـ، أي قبل وفاة الأشر رضي الله عنه بسنة، وهذا أمرٌ واضح البطلان لدى مَنْ كان له أدنى اطلاع على كتب الرجال<sup>(٢)</sup>، فإنّها نصّت على وفاة عاصم في سنة ١٣٧ هـ، وليس في عام ٣٧ هـ، فهل التبس الأمر على الشيخ المهاجر وخلط بين التاريخين؟!

**النص الثاني:** هو للمؤرخ الشهير اليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) حيث يقول: «فلما بلغ معاوية أنّ علياً قد وجّه الأشر عظم عليه، وعلم أنّ أهل اليمن أسرع إلى الأشر منهم إلى كلّ أحد، فدرّس له سمّاً، فلما صار إلى القلزم من الفسطاط على مرحلتين نزل منزل رجلٍ من أهل المدينة يقال له [...]، فخدمه وقام بحوائجه،

(١) مالك الأشر: سيرته ومقامه في بعلبك، ص ١٢٠ - ١٢١ وراجع أيضاً ص ١٣٥.

(٢) يقول ابن حبان (٣٥٤ هـ) في كتابه: «مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار» ص ٢٦٠: «عاصم بن كليب بن شهاب الجرمي من متقني الكوفيين، مات سنة سبع وثلاثين ومائة»، وذكر ذلك ابن حبان أيضاً في كتاب «الثقات» ج ٧ ص ٢٥٦، وراجع أيضاً: ميزان الاعتدال للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ج ٢ ص ٣٥٦، كما أنّ وفاته في سنة ١٣٧ هـ تبدو جليّة من خلال التعرّف على طبقة في الحديث، فهو - أي عاصم - ممن روى عنه سفيان بن عيينة وسفيان الثوري وغيرهما من أعيان القرن الثاني الهجري، أنظر: تهذيب الكمال للمزي ج ١٣ ص ٥٣٧، على أنّ والده وهو كليب قد عدّ من أصحاب أمير المؤمنين رضي الله عنه، أنظر: رجال الشيخ الطوسي ص ٨١، وقد خطأوا من عدّ كليباً من صحابة النبي صلى الله عليه وآله، أنظر: تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج ٢ ص ٤٤، على أنّ عاصم بن كليب ينقل لنا أحياناً قد حصلت في سنة ١٣٠ هـ، فكيف يكون قد مات في سنة ٣٧ هـ! أنظر: الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٣ ص ٢٢٢.

ثم أتاه بقعب (قدح ضخم) فيه عسل، قد صيّر فيه السمّ، فسقاه إياه، فمات الأشر  
بالقلم، وبها قبره»<sup>(١)</sup>.

وهذا النص هو أكثر وضوحاً وصراحة من سابقه في أنّ الأشر مات بالقلم  
في مصر، وأنّ قبره فيها، فكيف يتمّ تجاوز أو تجاهل هذا النص التاريخي الهام؟!  
الملاحظة الثانية: خلو المصادر التاريخية التي أرّخت لحياة «مالك» وسيرته  
وطريقة إرساله من قبل الإمام علي عليه السلام إلى مصر ليُليّ أمورها بعد أن اضطرت  
أمورها على «محمد بن أبي بكر» من آية إشارة إلى وفاته في «بعلبك»، أجل غاية  
ما هناك أنّ ثلاثة من الأعلام، وهم الهروي، والحموي، والعمري قد أشاروا في  
ثنايا كلامهم إلى وجود قبر يُنسب إلى مالك الأشر في مدينة بعلبك، وقد تقدّمت  
نصوص هؤلاء الأعلام، إلّا أنّ هذه النصوص لا يمكن التعويل عليها فضلاً عن  
ترجيحها على نصّي اليعقوبي والثقفي المشار إليهما في الملاحظة الأولى، لأنّ  
النصوص الثلاثة متأخرة زمنياً عن نصّي اليعقوبي والثقفي بعدة قرون<sup>(٢)</sup> فحسب،  
بل لأنّ أصحابها قد كذبوا<sup>(٣)</sup> نسبة القبر الموجود في «بعلبك» إلى مالك الأشر،  
وبما أنّهم من أهل الخبرة والمعرفة - كما شهد لهم بذلك الشيخ المهاجر - فلم  
نردّ شهادتهم بدون دليل يثبت خطأهم!؟

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ١٩٤.

(٢) بما أنّ وفاة الهروي كانت في سنة ٦١١ هـ، ووفاة ياقوت الحموي في سنة ٦٢٦ هـ ووفاة العمري في سنة ٧٤٩ هـ، فهذا معناه أنّ النصوص الثلاثة تعود إلى بداية القرن السابع الهجري (وعلى أحسن التقادير إلى نهاية القرن السادس) ومتتصف القرن الثامن.

(٣) أمّا تكذيب الهروي والحموي لذلك فواضح وجليّ كما لا يخفى على من يراجع نصّيهما، وأمّا العمري فقد أوحى الشيخ المهاجر أنّه - العمري - يغلب على ظنّه صحة نسبة القبر الموجود في بعلبك إلى مالك، وهذا اشتباه آخر وقع فيه الشيخ، لأنّ اسم الإشارة «ذلك» الوارد في كلام العمري «فمن ذلك قبر مالك» مرتبط بقول العمري السابق على هذه الفقرة عما يزعّمه «كثير من الناس في نسبة أماكن لا حقيقة لها»، وأحد الأمثلة على الأماكن التي لا حقيقة لها قبر مالك الأشر على باب مدينة بعلبك، هذا ما يُفهم من كلام العمري، أما إرجاع اسم الإشارة إلى ما جاء قبل ذلك من حديث العمري عن المزارات التي يغلب على الظنّ صحتها فهو خلاف الظاهر.



وخلاصة القول: إننا لم نجد سبباً مقنعاً يفسر لنا صمت المؤرخين إزاء «رواية» وفاة «مالك» على باب مدينة «بعلبك». وربما يقال: إن مردّ ذلك إلى أنّ ما جرى مع «مالك» كان عملية اغتيال سياسي بامتياز، وعمليات من هذا القبيل تحصل عادة في جنح الظلام، على أنّ مُدبّر عملية الاغتيال - وهو معاوية - أراد تضييع الحقيقة وإبعاد الشبهة عنه، ومن هنا يكون من مصلحته الترويج لرواية مقتله في «العريش» أو «القلزم»، أو غيرهما من الأماكن البعيدة عن مركز حكمه، وأما «بعلبك» فهي قريبة جداً من دمشق ممّا سيواجه أصابع الاتهام إلى «معاوية» مباشرة في حال انكشف أنّها - أي «بعلبك» - كانت مسرحاً لعملية الاغتيال.

ولكنّ السؤال الذي نطرحه إزاء هذا الكلام أنّه إذا كان الأمر كذلك فما الذي أدرى الناس في «بعلبك» بأنّ هذا الرجل الذي مات مسموماً على باب المدينة هو مالك الأشر؟ مع أنّ من مصلحة منفذي الجريمة الذين يعملون وفق تخطيط مُحكم وتدبير تام إخفاء آثار الجريمة والتخلّص من جثة القتيل، لا أن توضع على باب المدينة! ثمّ من الذي كشف هذا السرّ ومتى؟ هذا لو تماشنا مع الافتراض المتقدّم القائل بأنّ معاوية كان حريصاً على السريّة والتكتم على عملية القتل أو الاغتيال.

**الملاحظة الثالثة:** إنّ من المفهوم أن يأمر معاوية بتصفية الأشر عن طريق دسّ السمّ إليه فيما لو كان قد وصل إلى مصر أو شارف على الوصول إليها أو سلك طريقاً بعيداً عن بلاد الشام، أمّا لو كان مالك قد اختار المرور إلى «مصر» عبر «بعلبك» القريبة جداً من «دمشق» مركز السلطة الأموية وكانت عيون «معاوية» تلاحقه فأعتقد أنّ الظفر الأكبر لمعاوية سيكون في اعتقال «مالك» وجلبه إلى الشام مخفوراً، ومن ثمّ يستطيع - معاوية - بعد ذلك أن يتدبّر أمره، إمّا بحبسه وتغيبه في السجون لو لم يُردّ قتله، ولو أراد قتله والتخلّص منه فلن تعوزه الحيلة إلى قتله بطريقة أو بأخرى، إمّا باعتماد طريقة خفيّة لذلك كأن يدسّ السمّ له، أو

باعتقاد طريقة علنية، كما فعل مع «حجر بن عدي» وصحابته في مرج عذراء، أو أن يمكن أهل الشام من الاقتصاص من «مالك» باعتبار أنه كان رأس الحربة في مواجهتهم يوم صفين وأذاقهم يومها الويلات، ومؤكّد أنّ قتل «مالك» أهون على معاوية من قتل «حجر»، ولا سيّما أنّ «مالكا» هو أحد قادة الثورة على «عثمان»، ومعلوم أنّ «شرعيّة» حكم «معاوية» قامت على فكرة الثأر من قتل «عثمان».

إنّ إحضار شخصيّة كمالك أسيراً مخفوراً إلى دمشق - لو كان ممكناً دون مخاطرة - سيحقق أكثر من نتيجة إيجابية لمعاوية، ممّا قد لا يحققه مقتله على باب مدينة «بعلبك»:

١- إنّ إحضاره إلى «دمشق» أسيراً سيسهم في رفع معنويات أهل الشام ويشفي غيظهم ويأخذ لهم بثأرهم ممّن جرّ عليهم المصائب والويلات يوم «صفين».

٢- إنه سوف يوهمهم بأنّ الله قد استجاب دعاءهم، حيث إنه - أعني معاوية - كان قد دعاهم وطلب إليهم أن يدعوا الله ليكفيهم مالكا، «فكانوا يدعون الله عليه كلّ يوم»<sup>(١)</sup>.

٣- إنّ معاوية سيوجّه ضربة معنويّة قاسية إلى جمهور الإمام عليّ عليه السلام عموماً وجيشه على وجه التحديد من خلال أسر «مالك»، وهي بالتأكيد ضربة سيكون وقعها أشدّ وأقسى من اغتيال مالك بطريقة جبانة وهي طريقة دسّ السم إليه.

الملاحظة الرابعة: إنّ مالكا هو الشخصيّة المعروفة جداً وذات الصيت المشهور في إيلام أهل الشام يوم صفين، ولذا، لا يمكن أن يجازف في سلوك طريق إلى مصر يمرّ عبر مدينة «بعلبك» المجاورة لدمشق الشام، حيث مركز معاوية ومقله، وحيث عيون مفتوحة! إنّ هذا أمر مستبعد جداً، ولا أعتقد أنّ شخصاً خبيراً وقائداً محنكاً كمالك يمكن أن يختار مثل هذا الطريق أو يُقدم على

(١) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٥٣.

ارتكاب مثل هذه المغامرة، وهو الذي «كان يعرف» على حدّ تعبير الشيخ المهاجر نفسه - ولا ريب أنّ عيون معاوية المبتوثة في العراق ستُخَطِّره فوراً باتجاهه إلى مصر، أي إنّه لا يستطيع أن يتكل على جهل معاوية بخروجه، ليسير قاصداً مصر البعيدة دون حذر»<sup>(١)</sup>.

الملاحظة الخامسة: إنّ هذه الطريق التي تمرّ على «بعلبك» ليست هي الطريق المثلى لقاصد مصر، بل من غير المألوف ولا المنطقي، أن يسلكها من هو في الكوفة في مسيره إلى مصر، بسبب بعدها وتعرّجها، ما يضطر سالكها إلى التأخر في الوصول إلى المقصد، مع أنّ الوقت بالنسبة إلى الأشتر ثمين جداً، لأنّ أحوال مصر مضطربة، فهو بحاجة إلى الوصول إليها بأقصى سرعة لينظّم أمورها ويقطع دابر الفساد.

وأما تبرير اختيار مالك لهذا الطريق دون سواه باعتباره «متفرّع الدروب عامراً بالغادين والرائحين حيث يسهل الاندماج في حركته الكبيرة التي يستحيل مراقبة كلّ من يعبرها مراقبة دقيقة»<sup>(٢)</sup>، فهو تبرير ضعيف، لأنّ دعوى أنّ هذا الطريق كان مزدحماً بالمارة إلى الحدّ الذي يضيع مالك بينهم غير ثابتة، على أنّ هذه الخصوصية عينها لو صحّت ستجعل اختيار هذا الطريق غير آمن لسالكيه، للسبب عينه، وهو كثرة الغادين والرائحين الذين قد يتعرّف بعضهم على مالك فينكشف أمره.

الملاحظة السادسة: إنّ دعوى «الإطباق الجماهيري التاريخي المزمّن والمستمرّ على نسبة القبر في «بعلبك» للأشتر»<sup>(٣)</sup>، هي دعوى مبالغ بها، إذ يبدو لنا أنّ هذا الإطباق المزعوم منقطع الأوّل والآخر، فكلمات المؤرّخين المشار

(١) مالك الأشتر: سيرته ومقامه في بعلبك، ص ١١٠ - ١١١.

(٢) م. ن، ص ١٥٧.

(٣) م. ن، ص ١٤٥.

إليها لو سلّمنا بدلالتها على أنّ القبر كان مزاراً تؤمّه الناس، (وتجاوزنا عمّا يمكن أن يقال من أنّه لو كان مزاراً بالفعل لكان قد بُني على القبر مشهد كسائر المشاهد التي كانت في تلك الآونة (القرن السادس للهجرة وما تلاه) منتشرة في بلاد الشام، مع أنّ النصوص الثلاثة متّفقة على توصيفه بالقبر «قبر مالك» ولم يرد فيها أيّة إشارة إلى وجود مشهد لمالك)، فإنّ غاية ما تشبّه أنّه كان مزاراً في القرن السادس للهجرة، أمّا ما سبق ذلك من القرون وصولاً إلى زمان وفاة صاحب القبر ودفنه، فلا نجد ما يثبت ذلك، وبالتالي فما الذي يمنع من أن يكون هذا «المزار» قد ظهر في بدايات القرن السادس وهو القرن الذي ظهرت فيه العديد من المشاهد في بلاد الشام، ومنها «مشاهد كثيرة لأهل البيت عليهم السلام»، كما يقول ابن جبّير في رحلته، ويضيف بأنّه «قد احتفل الشيعة في البناء عليهم»<sup>(١)</sup>، ومن المعلوم أنّ بعض هذه المشاهد التي ظهرت في تلك المرحلة الزمنية لم يثبت انتسابها إلى أصحابها من أهل البيت عليهم السلام، فقد بُني مشهد في دمشق منسوب إلى الإمام علي عليه السلام، وهو كما يقول ابن جبّير «من أحفل المشاهد» فيها، كما أنّه يتحدّث عن مشهد آخر منسوب إلى سكيّنة بنت الحسين عليه السلام وذلك في الجبّانة بغربي البلد<sup>(٢)</sup>، ومن المعلوم عدم صحّة هذين المشهدين، فعليّ عليه السلام مدفون في التّجف، وسكيّنة مدفونة في المدينة، فلعلّ قبر مالك الأشتر قد بُني في تلك المرحلة دون أساس صحيح، كما هو الحال في سائر المقامات، التي قد يقف وراء بنائها بعض الاعتبارات الواهية أو العصبية أو الاشتباهات.

وكما لم يثبت اتصال هذا «الإطباق» من زمن ظهور القبر وإلى زمن موت مالك، فإنّه لم يثبت اتصاله بزماننا، فما الذي يثبت أنّ القبر الموجود فعلاً

(١) رحلة ابن جبّير ص ٣٩، وينقل العلامة السيد محسن الأمين أنّه قد وجدت صخرة على قبر السيدة زينب عليها السلام تعود إلى القرن السادس، مكتوب عليها: «هذا قبر السيدة زينب المكناة بأُم كلثوم، بنت سيدنا علي عليه السلام»، وليس فيها تاريخ، وصورة خطها تدلّ على أنّها كُتبت بعد الستمائة من الهجرة، أنظر: أعيان الشيعة ج ٧ ص ١٣٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٤١.

والمسمى بقبر (سيدي مالك) هو ما تحدّثت عنه تلك النصوص، وذلك في ظلّ عدم وجود شهرة - فضلاً عن الإطباق - متواصلة جيلاً بعد جيل أو سيرة مستمرة على زيارته باعتباره قبراً لمالك الأشر، وما الذي يمنع أن يكون هذا القبر لشخص آخر من أهل الديانة والفضل اسمه مالك وقد تمّ دفنه في تلك البقعة في بعض الأزمنة وبسبب جلالته وديانته أطلق الناس عليه اسم «سيدي مالك»، وإن كان احتمال التطابق بين هذا القبر وبين ما حدّثتنا عنه المصادر وارداً، إلا أنّ من الصعب حصول الوثوق والاطمئنان بهذا الأمر ما لم تدعمه شواهد أخرى، ولا يخفى أنّ وصف «سيدي» منتشر في أوساط المسلمين السنّة، فهم يقولون «سيدي حجر» وسيدنا «الحسين عليه السلام»... ولم يُعرف استخدام هذا الوصف في الوسط الشيعي.

**الملاحظة السابعة:** بصرف النظر عمّا تقدّم، فإنّ الدليل الذي عدّه الشيخ المهاجر «بالغ القوة» على ترجيح رواية دفن مالك في «بعلبك» على سائر الروايات، هو ما جاء على لسان «معاوية» بعدما بلغه الخبر بمقتل أو اغتيال «مالك»، حيث وقف خطيباً بالناس وقال: «أمّا بعد، فإنّه كانت لعليّ بن أبي طالب يمينان، قُطعت إحداهما يوم صفين (يعني عمار بن ياسر)، وقُطعت الأخرى اليوم، ويعني الأشر»<sup>(١)</sup>، معتبراً - أي الشيخ المهاجر - أنّ قول معاوية «وقطعت الأخرى اليوم» هو الدليل القوي على ترجيح رواية مقتل «مالك» في «بعلبك»، والوجه في ذلك «أنّ «بعلبك» هي البلد الوحيد من بين كلّ البلدان التي قالت الروايات إنّ الأشر قد اغتيل أو قُتل فيها التي يمكن لأجهزة «معاوية» أن تنهي إليه في «دمشق» نجاحها في القضاء على «الأشر» في اليوم نفسه الذي نُفّذت فيه المهمة، وبالمقابل يستحيل مثل ذلك من «القلزم» أو «عين شمس» أو «العريش» أو «غور الأردن»، ويضيف الشيخ المهاجر معلقاً على هذه الفقرة:

(١) الطبري ج ٤ ص ٧٢، والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٥٣.

«إنّ القيمة الإضافية لدلالة هذا النصّ هو (هي) في عفويّته، أي في صدوره عن قائلها (قائله) عفو الخاطر، بحيث لم يُتَح له أن يدقّق في كلّ مضامينه. ويبدو أنّ الفرع قد أخذ من «معاوية» مأخذه، بحيث اندفع إلى تحلية الخبر بمؤثرات إضافية من نوع ما يوحي بأنّه خبر طازج وأنّ المخاطبين هم أوّل من علم به، دون أن يلتفت إلى لازمه»<sup>(١)</sup>.

ولكننا لا نجد في الفقرة المذكورة دليلاً على ترجيح رواية مقتل الأشر في «بَعْلَبَكَّ»، لأنّ الظرف الذي استخدمه المتكلم (معاوية) في خطابه وهو كلمة «اليوم»، ليس من الواضح أنّه قصد بها المدلول الحرفي للكلمة، وهو ما يعادل (٢٤ ساعة) أو (١٢ ساعة)، ليكون ذلك دليلاً على ترجيح رواية «بَعْلَبَكَّ»، باعتبار أنّها البلد الوحيد الذي يمكن وصول الخبر عن أيّ حادثة تقع فيها إلى دمشق في اليوم نفسه، وإنما أراد معاوية من كلمة «اليوم» المقطع الزمني الحاضر (ولو امتد لعدة أيام أو أسابيع وربّما أشهر) مقابل المقطع الزمني المتقدّم، والقرينة على ذلك هي:

أولاً: (قرينة داخلية) وهي أنّ معاوية استخدم كلمة اليوم في مقابل «يوم صفيين»، ومعلوم أنّ معركة صفيين لم تقع في يوم واحد.

ثانياً: (قرينة خارجية) وهي شيوع استخدام كلمة «اليوم» لدى العرب بمعنى المرحلة أو الحقبة الزمنية المعينة المشتركة في وصفٍ معيّن، فيقال: «يوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم»<sup>(٢)</sup>، مع أنّ انتصار المظلوم وانتصافه من ظالمه قد لا يحتاج إلى يومٍ بأكمله، وقد يتحقّق بعدد من الأيام أو الشهور، وهكذا يُستخدم «اليوم» بمعنى الحقبة الزمنية، فيقال: «يوم الإسلام» بمعنى عصر الإسلام في مقابل «عصر الكفر».

(١) مالك الأشر، م.س، ص ١٥٦.

(٢) كما قال أمير المؤمنين عليه السلام، أنظر نهج البلاغة ج ٤ ص ٥٤.

وأما ما ذكره من أن معاوية قد اندفع تحت تأثير الفرح واستخدم كلمة «اليوم» دون أن يلتفت إلى لازمها، فقد يُعترض عليه بأن معاوية صاحب الحنكة والدهاء ما كان مرتجلاً فيما أقدم عليه ليفضح خطته بكلمة ارتجالية، وهي خطة حاكها جيداً وجتد لها عيونه، ليرصدوا حركة «مالك»، مقدمةً للتخلص منه، ولا سيما أن الكلمة صدرت منه في «خطبة عامة» بعد أن بلغه مقتل الأشتر، وطبيعة الأمور تفترض أنه قد انتظر اجتماع الناس في مناسبة عامة، أو طلب هو اجتماعهم، ليقوم خطيباً فيهم ويبشّرهم بالخبر السار! ما ينفي عن خطابه الارتجال والعفوية.

**الملاحظة الثامنة:** وأما ما يذكره الشيخ المهاجر في سياق نفيه لصحة رواية مقتل مالك الأشتر في مصر قائلاً: «وهل من المعقول أن يضع قبر رجلٍ كالأشتر في مصر إن كان قد قتل فيها؟»<sup>(١)</sup>، فهو كلام مستغرب:

أولاً: إنَّ القبر لم يضع أبداً، بل هو لا يزال معروفاً ومزوراً إلى يومنا هذا، وهو واقع في منطقة «المرج» التي تُعدُّ اليوم من ضواحي مدينة «القاهرة»، ويُعرف قبره هناك بقبر الشيخ العجمي<sup>(٢)</sup>، وصور القبر والمقام منشورة ومتداولة على الكثير من المواقع الإلكترونية.

ثانياً: على فرض التسليم بضياح القبر، فما الغرابة في ذلك؟ ألم تضع الكثير من قبور صحابة النبي ﷺ وكذا أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام؟! وما الذي يمنع أن يكون التشدد الذي مارسته الدولة الأيوبية عندما حكمت في مصر سبباً في ضياح قبر مالك وغيره من القبور؟



(١) مالك الأشتر، م.س، ص ١٣٨.

(٢) أنظر: مرقاة المعارف، ج ٢ ص ٢٢٣.



## ملاحق الكتاب

- ملحق (١): دراسة في أبناء الأئمة عليهم السلام الحقيقيين في «إيران».
- ملحق (٢): مقامات غير الموثقين من أبناء الأئمة عليهم السلام.
- ملحق (٣): مشاهدات عالم حجازي في بلاد «بَعْلَبَكَّ» و«جبل عامل».
- ملحق (٤): الشيخ عباس القمي والدرس في كتب الزيارات.
- ملحق (٥): سكيئة بنت أمير المؤمنين عليه السلام.







## الملحق رقم ١

### دراسة في أبناء الأئمة الحقيقيين في إيران<sup>(١)</sup>

#### الهدف من البحث

بالنظر إلى أنه في العقود الأخيرة قد ظهرت قبة ومزار باسم (ابن الإمام) في كل طرف من الأرض الكبيرة لإيران الإسلامية، وبالخصوص في القرى البعيدة والمحرومة، فقد أقدمت على البحث عن السبب في ذلك.

وبالرجوع إلى الإحصائيات والمراجع الرسمية، فقد توصلت إلى هذه الحقيقة المرة، وهي أن بعض السماسرة والانتهازيين قد استفادوا من غفلة المسؤولين والمتولين للشؤون الثقافية في المجتمع، وكذلك استفادوا من بساطة الشيعة واعتقاداتهم النقية الطاهرة بالنسبة إلى أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وأقنعوا أولياء الأوقاف؛ وبهدف تنمية وتطوير البنية الاقتصادية لمناطقهم، ببناء مراقد باسم (ابن الإمام)، اعتماداً على منامات مبهمه، وكرامات ومعجزات كاذبة، وهياًوا شجرة نسب موضوعة، حتى أن عدد مراقد (أبناء الأئمة) في إيران في أوائل الثورة الإسلامية [١٩٧٩م] كان يبلغ ١٥٠٠ مرقد، وقد بلغ - وللأسف - حتى عام ١٣٨٧ هـ.ش [٢٠٠٨م] ما يقارب ١٠٦٩١ مرقداً!!!

(١) إعداد: السيد حسن شريفني، ترجمة: الشيخ محمد عباس دهبيني، وإتي إذ أنقل هذه الدراسة هنا، فلا بد أن أتبه إلى أنني لست بالضرورة متبياً لكل ما جاء فيها، إذ إن بعض القضايا المطروحة فيها تحتاج إلى متابعة وبحث موسع.

وهذا معناه أنه بمرور ثلاثين سنة بلغ معدّل الزيادة في هذه المراقد في إيران ٣٠٠ مرقد سنوياً!!

لذا وبالرجوع إلى الكتب التاريخية المعتبرة؛ للحصول على أجوبة للأسئلة المرتبطة بهذا الموضوع، وصلت إلى حقيقة أنّ نبيّ الإسلام العزيز ﷺ، وكذلك الأئمة المعصومين ﷺ، منذ ولادتهم إلى وقت وفاتهم أو شهادتهم كانوا في أرض الحجاز والعراق، وهذا يعني أنّ إحصاء مراقد (أبناء الأئمة) المدفونين في إيران (١٠٦٩١ مرقداً) ليس مطابقاً للواقع!

والأسئلة الواردة هنا عشرة وهي:

١- أساساً كم هو عدد أولاد الأئمة المعصومين ﷺ، ذكراً وإناثاً؟

٢- ليس من الأئمة من هو كثير الأولاد سوى الإمام المعصوم موسى بن جعفر ﷺ، الذي بلغ عدد أولاده الذكور - بحسب الكتب المعتبرة - ١٩ ولداً، كحدّ أقصى.

وعليه فكيف يُنسب أكثر من ٥٠٠٠ من أصحاب المراقد المدفونين في إيران إلى هذا الإمام المعصوم والمظلوم؟

٣- كم من أبناء الأئمة الأعزّاء والعظماء استشهدوا في حادثة كربلاء مع الإمام الحسين ﷺ، أو في وقائع أخرى؟

٤- كم من هؤلاء العظماء توفّوا في حياة آبائهم، أو توفّوا في مرحلة الطفولة، ولم يخلفوا ذريّة؟

٥- هل كلّ الأولاد الذكور المباشرين للأئمة المعصومين كانوا صالحين؟

٦- كم من أبناء الأئمة المعصومين المباشرين هاجر إلى إيران؟

٧- بنظر العرف ومراجع التقليد العظام إلى كم واسطة إلى الإمام المعصوم

يمكن تسمية المولود بأنه (ابن الإمام)؟

٨- في إيران كم هو عدد أبناء الأئمة المباشرين الحقيقيين وواجبي التعظيم؟

٩- ما هو السبب في هذه الزيادة العشوائية لـ (أبناء الأئمة) في إيران؟ ومن هم أبناء الأئمة المزعومون الفاقدون لشجرة النسب في إيران؟

١٠- وأخيراً في أيّ زمان وبواسطة مَنْ، وأيّ مؤسسة أو مرجع ينبغي أن يمنع عمليّة التزايد الكاذب لـ (أبناء الأئمة) في إيران؟

أضع بين أيدي القراء الأعزاء نتيجة الأبحاث التي حصلت عليها في هذا الموضوع، وأنا أرجو من خلال التدقيق، وحفظ الولاء للأئمة المعصومين عليهم السلام وأبنائهم الحقيقيين وواجبي التعظيم، أن نستطيع - لزيادة في المعرفة - أن نحفظ وصيّة نبي الإسلام العظيم صلى الله عليه وآله: (القرآن؛ والعترة).

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، مَنْ ركبها نجا، ومَنْ تخلف عنها في النار»<sup>(١)</sup>.

إنّ إظهار الولاء لنبيّ الإسلام الكريم صلى الله عليه وآله، وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، وذريّتهم الطاهرة من السادة الأجلّاء، كانت ولا زالت وستبقى من مفاخر المسلمين الموالين لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، أي (الشيعة).

هذه الاعتقادات هي دائماً موجبةً لحفظ وتقوية وتعزيز الأسس العقائديّة للشيعة. وإنّ الدفاع عن الولاية، وتكريم السادة أبناء الزهراء عليهن السلام، وخصوصاً أبناء الأئمة الحقيقيين وواجبي التعظيم، من مفاخر الشيعة.

إنّ معرفة وطاعة ومحبة الأنبياء والأولياء وأهل بيت العصمة والطهارة هي

(١) بحار الأنوار ٢٣: ١٢٢.

نفسها معرفة الله، وإطاعة أمرهم طاعةً لله.

إنَّ نعمة الولاية هي أعظم نعمة إلهية، لذا فإنَّ الطاعة والعبودية لله لا تُقبَل من غير محبة وولاية محمد ﷺ وآل محمد ﷺ. إنَّ محبة رسول الله ﷺ وأئمة الهدى ﷺ وأولادهم، بشروطها، سببٌ للنجاة من العذاب. وكما أنَّ الصلاة وسيلةٌ للقرب الإلهي، فإنَّ ولاية الأئمة المعصومين ﷺ هي أيضاً وسيلةٌ للتقرب إلى الله.

وبما أنَّ دين الإسلام المبين هو دين العقل والفطرة والمنطق، وهو أكمل الأديان الإلهية. وقد أكَّد نبي الإسلام العظيم ﷺ دائماً في خطبه وتصرفاته على تجنُّب كلِّ أنواع الجهل والخرافة والأسطورة والغلو، وذكر العقل بعنوان أنَّه حُجَّة إلهية، وأفضل نعم الله، فنحن أيضاً ينبغي، من خلال المعرفة والتدبُّر والبصيرة، أن نقبل مطابقة الأمور مع العقل.

ومن المصاديق البارزة على ذلك مسألة موت إبراهيم ابن رسول الإسلام الأعظم ﷺ، الذي كُسفت الشمس حين موته، فزعم جماعة من الموالين والعوام؛ وربما كان ذلك من جهة عشقهم وولائهم للنبي ﷺ، أنَّ الشمس كُسفت بسبب موت إبراهيم، ونلاحظ أنَّ نبي الإسلام العزيز ﷺ لم يرتقِ سلَّم الجهل وعشق الناس، بل قال: «القمر والشمس آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد».

### لمحةٌ عابرةٌ في إحصائيات مراقد (ابن الإمام) في إيران

بنظرة قصيرة وعابرةٍ إلى إحصائيات زيادة مراقد (أبناء الأئمة) في بقاع متعددة من البلاد، وكثرة (أبناء الأئمة) في المناطق الخلابة، وخصوصاً في محافظة كيلان ومازندران، اللتين تصدرتا جدول الإحصائيات، سنصل إلى هذه الحقيقة، وهي أنَّ مجموعة استنفادات بشكل قبيح من الاعتقادات الطاهرة والخالصة للشيعة والموالين والمحبين لأهل بيت العصمة والطهارة ﷺ، وحيثما وجدوا مقبرةً وسقفاً مرفوعاً، وبصرف النظر عمَّن دُفن

في هذه البقعة، نسبوا ذلك القبر إلى واحد من الأئمة المعصومين، وخصوصاً الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وعلّقوا لوحة بعنوان (ابن الإمام)، حتّى أصبحوا من خلال ذلك يعطون دخلاً غنياً لإدارة الأوقاف، ومتولّي ذاك المرقد.

اعتماداً على الكتب التاريخية المعتبرة، ومن بينها: «الإرشاد»، للشيخ المفيد؛ و«عيون أخبار الرضا عليه السلام»، للشيخ الصدوق؛ و«أصول الكافي»، للشيخ الكليني؛ و«منتهى الآمال»، للشيخ عباس القمي، في شرح أحوال أبناء الأئمة المعصومين عليهم السلام نرى:

أولاً: إنّ عدد أولاد الأئمة الذكور - مع قليل من الاختلاف - قد بلغ حدود ٨٠ ولداً. ثانياً: يخرج من هذا العدد أولاد علي عليه السلام الأحد عشر، وهم الأئمة المعصومون عليهم السلام، واحداً تلو الآخر حتّى الحجّة بن الحسن المهدي عليه السلام.

ثالثاً: إنّ حوالي ١٠ من هؤلاء الأبناء استشهدوا يوم كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام.

رابعاً: إنّ حوالي ٥ من هؤلاء الأعرّاء توفّوا وماتوا بشكل طبيعيّ في حياة آبائهم، أو في طفولتهم.

خامساً: إنّ عدداً من هؤلاء الأعرّاء استشهدوا بعد واقعة كربلاء.

سادساً: إنّ عدداً من الأبناء المباشرين كانوا - وللأسف الشديد - طالحين غير صالحين، وهو ما سنتعرّض له.

### الأولاد الذكور للإمام علي عليه السلام

١- الإمام الحسن عليه السلام، ٢- الإمام الحسين عليه السلام، ٣- محمّد المكنّى بـ (أبو القاسم)، ٤- عمر، ٥- العباس عليه السلام، ٦- جعفر، ٧- عثمان، ٨- عبد الله، ٩- يحيى<sup>(١)</sup>.

(١) الإرشاد ١: ٣٥٥.

## الأولاد الذكور للإمام الحسن عليه السلام

- ١- زيد، ٢- الحسن بن الحسن، المعروف بـ (الحسن المثني)، ٣- عمر، ٤- القاسم، ٥- عبد الله، ٦- عبد الرحمن، ٧- حسين، المعروف بـ (حسين الأثرم)، ٨- طلحة<sup>(١)</sup>.

## الأولاد الذكور للإمام الحسين عليه السلام

- ١- علي بن الحسين، المعروف بـ (الإمام السجاد عليه السلام)، ٢- علي بن الحسين عليه السلام (علي الأكبر)، ٣- علي بن الحسين عليه السلام (علي الأصغر)، ٤- جعفر بن الحسين<sup>(٢)</sup>.

## الأولاد الذكور للإمام علي بن الحسين عليه السلام

- ١- محمد بن علي، وكنيته أبو جعفر (الإمام الباقر عليه السلام)، ٢- عبد الله، ٣- الحسن، ٤- الحسين، ٥- زيد، ٦- عمر، المعروف بـ (عمر الأطراف)، ٧- حسين الأصغر، ٨- عبد الرحمن، ٩- سليمان، ١٠- علي، ١١- محمد الأصغر<sup>(٣)</sup>.

## الأولاد الذكور للإمام محمد الباقر عليه السلام

- ١- أبو عبد الله جعفر بن محمد (الإمام الصادق عليه السلام)، ٢- عبد الله، ٣- إبراهيم، ٤- عبيد الله، ٥- علي بن محمد الباقر<sup>(٤)</sup>.

## الأولاد الذكور للإمام جعفر الصادق عليه السلام

- ١- إسماعيل، ٢- عبد الله، ٣- موسى بن جعفر (الإمام موسى الكاظم عليه السلام)،

(١) الإرشاد ٢: ١٩-٢٢.

(٢) م.ن. ص ١٢٩-١٣٠.

(٣) م.ن. ص ١٥٤.

(٤) م.ن. ص ١٧٢.

٤- إسحاق، ٥- محمد، ٦- العباس، ٧- علي<sup>(١)</sup>.

### الأولاد الذكور للإمام موسى الكاظم عليه السلام

١- علي بن موسى الرضا عليه السلام، ٢- إبراهيم، ٣- العباس، ٤- القاسم،  
٥- إسماعيل، ٦- جعفر، ٧- هارون، ٨- الحسن، ٩- أحمد، ١٠- محمد،  
١١- حمزة، ١٢- عبد الله، ١٣- إسحاق، ١٤- عبيد الله، ١٥- زيد، ١٦- الحسن،  
١٧- فضل، ١٨- الحسين، ١٩- سليمان<sup>(٢)</sup>.

### الولد الذكر الوحيد للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

١- أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام (الإمام الجواد عليه السلام)<sup>(٣)</sup>.

### الأولاد الذكور للإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام

١- علي بن محمد (الإمام الهادي عليه السلام)، ٢- موسى<sup>(٤)</sup>.

### الأولاد الذكور للإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

١- الحسن بن علي (الإمام الحسن العسكري عليه السلام)؛ ٢- الحسين، ٣- محمد،  
٤- جعفر<sup>(٥)</sup>.

### الولد الوحيد للإمام الحسن العسكري عليه السلام

١- الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام<sup>(٦)</sup>.

(١) الإرشاد ٢: ٢٠٠.

(٢) م.ن. ص ٢٣٦.

(٣) م.ن. ص ٢٦٤.

(٤) م.ن. ص ٢٨٤.

(٥) م.ن. ص ٢٩٩.

(٦) م.ن. ص ٣٣١.



أسماء الأبناء المباشرين للأئمة المعصومين الذين استشهدوا مع الإمام الحسين عليه السلام

١- أبو الفضل العباس بن علي عليه السلام .

٢- علي بن الحسين (علي الأكبر عليه السلام) .

٣- علي بن الحسين (علي الأصغر عليه السلام) .

٤- القاسم بن الحسن عليه السلام .

٥- عبد الله بن الحسن عليه السلام .

٦- جعفر بن علي عليه السلام .

٧- عثمان بن علي عليه السلام .

٨- عبد الله بن علي عليه السلام .

٩- محمد عليه السلام ، المكتى بـ (أبو بكر) <sup>(١)</sup> .

أسماء الأبناء المباشرين للأئمة المعصومين عليهم السلام الذين توفوا في طفولتهم،  
أو الذين توفوا في سنوات لاحقة، وكان مصيرهم واضحاً في التاريخ:

١- جعفر بن الحسين عليه السلام ، ٢- إبراهيم بن محمد الباقر عليه السلام ، ٣- عبید الله

بن محمد الباقر عليه السلام ، الذين توفوا في طفولتهم، ولم يتركوا ذريةً من بعدهم .

٤- إسماعيل بن جعفر: وقد توفي في حياة أبيه الإمام الصادق عليه السلام ، ودفن

في مقبرة البقيع .

٥- محمد بن علي ، المكتى بـ (أبي القاسم): وهو ابن الإمام علي عليه السلام ، توفي

في أيام عبد الملك بن مروان، ودفن في الطائف، على قول، وفي المدينة، على قول .

(١) الإرشاد ٢: ١٢٩ - ١٣٠ .

٦- زيد بن الحسن عليه السلام : وكان يتولى صدقات رسول الله الأكرم صلى الله عليه وسلم، وتوفي وقد بلغ من العمر ٩٠ سنة.

٧- الحسن بن الحسن عليه السلام، المعروف بـ (الحسن المثني): وكان يتولى صدقات أمير المؤمنين عليه السلام، شارك في كربلاء، وجرح، وكان بين الأسرى، وتوفي عن عمر يناهز ٣٥ عاماً، ودُفن في المدينة.

٨ - عبد الرحمن بن الحسن عليه السلام : رافق الحسين عليه السلام في زيارة بيت الله الحرام، ولكنه توفي وهو محرّم في منطقة (الأبواء) بين مكة والمدينة.

٩- عبد الله بن الإمام محمد الباقر عليه السلام : كان معروفاً بالفضل والصلاح، دسّ بنو أمية له السم، فاستشهد.

١٠- علي بن محمد الباقر عليه السلام : من أبناء الأئمة المباشرين وواجبي التعظيم، استشهد في (أردهال كاشان)، ودفن هناك.

١١- عبد الله بن جعفر عليه السلام : توفي بعد ٧٠ يوماً من شهادة الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

١٢- محمد بن جعفر عليه السلام : الذي عُرف بـ (محمد ديباجه)؛ لحسنه وجماله وكماله وكرمه، توفي في خراسان، ودفن هناك.

١٣- علي بن جعفر عليه السلام : وهو سيّد جليل القدر عظيم المنزلة، يروى أنّه دُفن في قم، ويروى أنّه دفن في العريض في المدينة.

١٤- أحمد بن موسى عليه السلام، المعروف بـ (شاهچراغ): وهو من الأبناء المباشرين للإمام الكاظم عليه السلام، وهو من أبناء الأئمة الحقيقيين في إيران، وهو مدفون في شيراز.

١٥- محمد بن موسى عليه السلام، المعروف بـ (محمد العابد): وهو الابن المباشر

للإمام الكاظم عليه السلام، المدفون إلى جانب أخيه المشرف في شيراز، ويدعي البعض اشتباهاً أن قبره في آراك في (مشهد ميقان).

ومع ذلك فإن ابن الإمام المدفون في (مشهد ميقان) في آراك هو من أبناء الأئمة واجبي التعظيم، وقد جاء في كتاب (كنوز آثار قم)، في الصفحة ١٥٠ و ١٦٤، أن أهل تلك المنطقة يرون ذلك المشهد مدفن محمد العابد، الابن المباشر للإمام الكاظم عليه السلام، بينما رأي المؤلف المحترم هو أن ذلك القبر لمحمد بن أحمد بن هارون بن موسى عليه السلام، أو محمد بن إسماعيل بن موسى الكاظم عليه السلام. وعلى أية حال فإن الرأي الأول هو المشهور.

١٦- إبراهيم بن موسى عليه السلام: وقد كان رجلاً شجاعاً وكريماً، كان في بغداد، وتوفي فيها، ودفن هناك.

١٧- حمزة بن موسى: وهو - بناءً على بعض الروايات - مدفون في مدينة الري، وكان السيد عبد العظيم الحسيني يذهب لزيارته.

١٨- الحسين ابن الإمام الهادي عليه السلام: وهو مدفون في منطقة العسكريين في سامراء.

١٩- محمد ابن الإمام الهادي عليه السلام، المعروف بـ (السيد محمد): له قبة وقبر في منطقة قريبة من (بلد) بين الكاظمين وسامراء، وزيارته عامة.

عدد من الأولاد المباشرين، أو الذين تفصلهم واسطة واحدة، للأئمة المعصومين عليهم السلام، والذين كانوا طالحين:

١ و ٢- محمد بن إسماعيل وعلي بن إسماعيل: وهما حفيدا الإمام الصادق عليه السلام، وابنا شقيق الإمام الكاظم عليه السلام، شوها صورة الإمام الكاظم عند هارون، فقتله<sup>(١)</sup>.

(١) بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٢٣٢؛ عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٦٩؛ أصول الكافي ج ١ ص ٤٨٥.

٣- محمّد بن جعفر: وهو أخو الإمام الكاظم عليه السلام، وعمّ الإمام الرضا عليه السلام. ادّعى الإمامة، ولكنّه قُمع. ارتقى المنبر وعرّف المأمون بأنّه (إمام). وقال الإمام الرضا عليه السلام عنه: لا أجتمع معه تحت سقفٍ واحد أبداً<sup>(١)</sup>.

٤- عبد الله بن جعفر، المعروف بـ (عبد الله الأفتح): وهو الأكبر في إخوته بعد أخيه إسماعيل. لم تكن له تلك المكانة والمنزلة عند والده، وكان يخالف أباه. وبعد شهادة أبيه المعظم ادّعى الإمامة، وكانت حجّته ودليله في ذلك كبر سنّه، وقد تبعه في دعوته جماعةٌ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وشكّلوا فرقة (الفتحية). مات بعد أبيه بـ ٧٠ يوماً<sup>(٢)</sup>.

٥- إبراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام: بعد شهادة أبيه ادّعى أنّ أباه لا يزال حيّاً، وعندما اطّلع الإمام الرضا على ذلك قال: موسى بن جعفر قد مات، كما أنّ نبيّ الله قد مات، ثمّ قال: مع وفائي لدينه البالغ ١٠٠٠ دينار فإنّه يدّعي هذا الأمر<sup>(٣)</sup>.

٦- العبّاس بن موسى عليه السلام: بملاحظة وصيّة أبيه نجد أنّه قد عاتبه، وكانت معرفته بالإمام الرضا عليه السلام قليلة، وبناء على قولٍ فإنّه مدفون في مقام الإمام موسى الكاظم عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

٧- زيد النار ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: ثار على المأمون في البصرة، وأحرق بيوت العبّاسيين، ودعا الناس إلى نفسه، ولم يقبل إمامة الإمام الرضا عليه السلام، وقال له الإمام الرضا عليه السلام: ما دمت تطيع الله فأنت أخي<sup>(٥)</sup>.

٨- الحسن الأفطس ابن عليّ الأصغر ابن الإمام السجّاد عليه السلام: حمل على

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٠٤-٢٠٧؛ بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٢٤٩.

(٢) بحار الأنوار ٤٧: ٢٦١.

(٣) أصول الكافي ١: ٣٨٠.

(٤) منتهى الآمال ٢: ٣٢٩.

(٥) م.ن. ص ٣٤٢.

ابن عمّه الإمام جعفر الصادق عليه السلام بسكين كبير<sup>(١)</sup>.

٩- جعفر الكذاب ابن الإمام الهادي عليه السلام: هو عمّ الإمام صاحب الأمر عليه السلام، قضى معظم أيام عمره مع السفلة والعرابيد، وكان يلعب بآلات اللهو والقمار. بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ادّعى أخوه (جعفر الكذاب) الإمامة، وعند موت أخيه (الإمام العسكري عليه السلام) أراد الصلاة على جنازته، غير أنّ الإمام المهدي عليه السلام تقدّم، ومنعه من أداء الصلاة. ينقل الإمام السجاد عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: عندما يولد ولدي جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين فسّمّوه بـ (الصادق)؛ فإنّه سرعان ما سيولد من نسله رجل يدّعي الإمامة بغير حقّ، ويلقّب بـ (جعفر الكذاب)<sup>(٢)</sup>.

١٠- موسى بن محمّد بن عليّ عليه السلام: دعاه المتوكّل إلى سامراء؛ كي يتمكن بواسطته من الإساءة للإمام الهادي عليه السلام، ولم تنفع معه نصيحة الإمام الهادي، وكان مصيره شاقاً<sup>(٣)</sup>.

أبناء الأئمّة المباشرين والحقيقيّين وواجبو التعظيم المدفونون في إيران الإسلامية:

١- السيّد المعصومة عليها السلام: وهي ابنة الإمام موسى الكاظم عليه السلام، والمدفونة في مدينة قم المقدّسة.

٢- السيّد أحمد بن موسى عليه السلام، المعروف بـ (شاهچراغ): وهو الابن المباشر للإمام موسى الكاظم عليه السلام، المدفون في شيراز.

٣- السيّد محمّد بن موسى عليه السلام، المعروف بـ (محمد العابد): وهو الابن المباشر للإمام موسى الكاظم عليه السلام، المدفون في شيراز. ويعتقد الكثيرون

(١) الأنوار البهية: ٢٦٧.

(٢) بحار الأنوار ٥٠: ٢٢٨؛ منتهى الآمال ٢: ٥٥٤.

(٣) الإرشاد ٢: ٢٩٥.

اشتباهاً أنّه مدفون في (مشهد ميقان) في آراك.

٤- السيّد عليّ بن محمّد الباقر عليه السلام : وهو الابن المباشر للإمام الباقر عليه السلام ، وقد بعثه أبوه المعظم إلى منطقة كاشان؛ للتبليغ ونشر التشييع، واستشهد ودفن هناك (مشهد أردهال).

٥- السيّد حمزة بن موسى الكاظم عليه السلام : وهو المدفون في منطقة الريّ، وكان السيّد عبد العظيم الحسيني يذهب لزيارته. وفي قولٍ: أنّه مدفون في قرية من قرى شيراز.

٦- السيّد عليّ بن جعفر عليه السلام : وهو المدفون في قم، على قولٍ، وفي قولٍ آخر: أنّه مدفون في عريض المدينة.

٧- السيّد أبو أحمد موسى المبرقع: وهو الذي دخل قم سنة ٢٥٦هـ، وتوفي فيها سنة ٢٩٦هـ، ودفن هناك، وهو ابن الإمام محمّد التقيّ (الجواد) عليه السلام .

٨- السيّد عبد العظيم الحسيني عليه السلام : وهو الذي ينتهي نسبه إلى الإمام المعصوم بعدّة وسائط، والمدفون في بلدة الريّ.

نموّ نشاط مؤسّسات الأوقاف والأموال الخيريّة في مناطق المقامات المباركة<sup>(١)</sup> من اللطيف والجذاب أن نعرف؛ واعتماداً على إخبار المدير المساعد لمؤسّسات الأوقاف والأموال الخيريّة في البلاد، أنّ عدد المقامات المباركة قد ارتفع من ٥٩٥٤ في العام ١٣٨٢هـ.ش [٢٠٠٣م] إلى ٨٠٠٠ مقام في العام ١٣٨٧هـ.ش (٢٠٠٨م). والألطف أنّه أخبر بأنّ مجموع أبناء الأئمّة المدفونين في هذه المقامات المباركة بلغ ١٠٦٩١ شخصاً<sup>(٢)</sup>.

في أجوبة لهم على الأسئلة الموجّهة إليهم حول مقامات أبناء الأئمّة اشترط

(١) نقلاً من كتاب «برتوي أز سيماي وقف»، چاپسازمان أوقاف كشور.

(٢) روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهورية الإسلامية)، تاريخ: ٦/٣/١٣٨٧هـ.ش.

بعض المراجع وفقهاء الإسلام في هذه المقامات أن تكون لها نسبة ثابتة ومعلومة، وأدانوا ما يكون نتيجة المنامات والخيالات والاستفادة السيئة.

إن أبناء الأئمة المعبرين هم الأبناء المباشرون أو الذين تفصلهم وسائط معدودة عن الإمام.

ومرجع التعرّف على هؤلاء هي الكتب المعبرة. وكلُّ ما كان ناتجاً عن المنام أو الخيال أو الاستفادة السيئة للانتهازيين، ويسمّيه بعض الموالين لأهل البيت عليهم السلام بـ (ابن الإمام)، فلا اعتبار له.

### شاهد مثال: مقام السيد حسين في بازكيا گوراب گيلان!

يقول الشيخ زين العابدين قرباني، ممثّل قائد الثورة المعظم وإمام الجمعة في رشت: قبل عدّة سنوات، وعندما كنتُ آتي إلى منطقة بازكيا گوراب، شاهدتُ أنهم بنوا قبة وقبراً، ونصبوا لوحةً باسم (مقام السيد حسين)، فقلتُ لأصدقائي: أنا من أهل هذه المنطقة، ولم أعهد وجود ابن إمام في هذا المكان. تحدّثتُ مع متولّي المقام، فقال: كان في هذه البقع ثعبانٌ، وأنا نقلتُ هذا الثعبان من هذا المكان إلى مكانٍ آخر، ولكنّه عاد مرّة ثانية إلى هذا المكان، فعلمنا أنّ هذا الثعبان هو الحارس لهذا السيّد (ابن الإمام). ويتابع الشيخ قرباني: أنا شخصياً تحدّثتُ مع مسؤولي الأوقاف لإزالة هذا المقام الزائف من هذا المكان. إن وظيفتنا كلّنا أن نقف في وجه هذه الخرافات. وقد أزالوا أيضاً عدّة من المقامات الزائفة، ومنها: المقام الزائف لـ (پنج علي إشكور)، وقالوا: نحن لا نسمح بإضعاف وتلوّث الجمهوريّة الإسلاميّة بمثل هذه الخرافات العنصريّة. نحن أصحاب مذهب يعتبر العقل والفكر من أكبر وأعلى القيم، والدنيا اليوم عطشى لمعارفنا<sup>(١)</sup>.

(١) نشرته سردار جنگل (مجلة رئيس الغابة)، العدد ١٥٦، تاريخ: دو شنبه ٢٣/١٠/١٣٨٧ هـ.ش.

## هدم عدد من المقامات الزائفة في كيلان

أقدم السيد مير حسيني الإشكوري، إمام الجمعة المؤقت في رشت، والمدير العام للأوقاف في كيلان سنة ١٣٨٧هـ.ش (٢٠٠٨م) على هدم عدة مقامات وأضرحة زائفة أنشئت بعد الثورة الإسلامية، وهي فاقدة لشجرة النسب. هذا بالإضافة إلى قطع عدة شجرات زعموا أنها مقدسة.

وقد قوبلت هذه الخطوة بالترحيب والارتياح من قبل أهالي وعلماء المنطقة والمحافظ. وقد وعد سماحته أنه، وبمؤازرة من المسؤولين والعلماء والشعب في المحافظة، ستواجه بشدة القبور والمقامات التي بُنيت بعد الثورة، مع فقدانها لأي مستند يثبت نسب صاحب القبر<sup>(١)</sup>.

## آخر الكلام

إذا لم يتنبّه متولّو الأمور الثقافية، ولا سيّما الحوزات العلميّة، وعلماء الدين، والجامعيّون في رسائلهم وأطروحاتهم، والجهات العليا، وجميع مراجع التقليد الذين كانوا ولا يزالون يشكّلون حماة الدين الحقيقيين، فإنّه ليس من المعلوم أن ينتهي هذا السكوت بالنع على الإسلام والمحبة لأهل البيت عليهم السلام. وفي الظروف المناسبة ينبغي تشكيل فريق خبير ومتخصّص في علم الأنساب يعمل بفعاليّة على التحقيق الدقيق في هذا الموضوع، وتعريف أبناء الأئمة المعصومين للناس، وتمييز الطالح من الصالح، والصحيح من السقيم والزائف من غيره.

ولأنّ تمييز هذا العدد من المقامات لا يخلو من صعوبة وتعقيد فليس من المصلحة القول - لا سمح الله - بزيف جميع هذه المقامات، أو أن نفتح الطريق لاستفادة المغرضين والمعاندين والانتهازيين؛ فإنّ الحقيقة لن تبقى مكتومة إلى

(١) روزنامه جمهوری اسلامی (صحيفة الجمهورية الإسلامية)، پنجشنبه ٢٦ / ١٠ / ١٣٨٧هـ.ش.



الأبد، وسيتميّز بمرور الزمن الحَقُّ من الباطل إن شاء الله.

إنَّ المسؤولية الأولى في هذا المجال تقع على الحوزات ورجال الدين؛ فإنَّ الوظيفة الدينيَّة، والمصلحة الاجتماعيَّة، وتقوية تدبُّن الناس، ونشر الحقائق، والتحذير من الخرافات والغلوِّ والشبهات، ينبغي أن يكون مقدِّماً على كلِّ شيء. كما أنَّ عليهم القضاء على فكر المصلحة وتقديس الباطل؛ فإنَّ التغطية، والإطراء، وعدم بيان وإظهار الحقائق، والتباين مع رجال التنوير، طريقٌ لا فائدة منه.

ولو أغمضنا النظر عن هذه الحقائق فإنَّه إلى جانب تلك الخيرات والبركات المعنويَّة وصفاء النفس الناتجة عن زيارة الأئمَّة المعصومين عليهم السلام، وأبنائهم واجبي التعظيم، ستكون هناك في المقابل آفاتٌ ونتائج فظيعة، واستغلالٌ من قبل السماسرة والانتهازيين، وهذا ما سيضعف اعتقادات الناس فيما بعد، وكلُّ واحد لا يقبل أن يكون في مجتمعنا مثل هذه الحقائق المريرة، ويكون إرشادنا إليها منَّا علينا.

إنَّ آفة التحجُّر والتقديس شكَّلت لمدَّة طويلة الخطر الأكثر جدِّيَّةً على محبِّي أهل بيت العصمة والطهارة؛ لأنَّ هذه الزيادة العشوائيَّة لـ (أبناء الأئمَّة) تكوَّنت في زمان سلطة الجمهوريَّة الإسلاميَّة!!

إنَّ إحدى المشكلات الرئيسة في المجتمع اليوم أننا نخشى أن تكون مواجهتنا لهذه المشاكل الاعتقاديَّة والثقافيَّة سبباً لضعف اعتقادات الناس بالمقدَّسات والأئمَّة المعصومين عليهم السلام، في حين أنَّ مواجهة هذه المشاكل توجب تثبيت وتقوية العقيدة، وتزيل ما دخل في الدين من زخرفات.



## الملحق رقم ٢ مقاماتُ غير الموثَّقين من أبناء الأئمة عليهم السلام

ووفاءً بالوعد الذي قطعناه للقارئ في ثنايا الكتاب فيما يرتبط بغير الموثَّقين من أبناء الأئمة عليهم السلام، نقول:

لا يخفى أنَّ للسنن الإلهية خصائص عديدة، ومن هذه الخصائص أن تكون عامةً ومُطَرِّدةً ولا تتخلَّف، ومن أهمِّ هذه السنن التي اقتضتها حكمته جلَّ وعزَّ: أن يكون جميع عبادِه مخيَّرين لا مسيَّرين، فكلُّ واحد من بني الإنسان مهياً لاختيار طريق الطاعة والإيمان، ولو كان من نسل العتاة والظلمة، أو اختيار طريق الكفر والعصيان ولو كان من نسل الأنبياء والمقدسين.

وأبناء الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ليسوا مستثنين من هذه السُّنة، ولا هم بدعاً من بني الإنسان وأبناء الأنبياء، فقد كان بعضهم - ولعلَّه المعظم - من الأتقياء والصلحاء السائرين على هدي آبائهم والمتبعين لنهجهم، إلَّا أنَّ البعض الآخر من الأبناء والأحفاد قد انحرفوا عن نهج الحقِّ، وورد فيهم الذمُّ والقدح، إمَّا لعدم موالاتهم للأئمة عليهم السلام أو حسدهم لهم، أو لابتعادهم عن سلوك جادة الشريعة، أو لغير ذلك من الأسباب، وإذا كان من الطبيعي أن يتمَّ إكرام الصلحاء منهم واحترامهم وزيارة قبورهم من قبيل أبناء الإمام الحسين عليه السلام وإخوته المُستشَّهدين معه في كربلاء، وكذا أخته العقيلة زينب عليها السلام، وهكذا أبناء الأئمة عليهم السلام المتأخرون، أمثال: علي بن جعفر، وأخيه إسماعيل المدفون في البقيع، وحمزة بن موسى عليه السلام المدفون في

الريّ قرب طهران، وأخته فاطمة بنت موسى المعروفة بالمعصومة والمدفونة بقم، والسيد عبد العظيم الحسيني وقبره في الريّ أيضاً قرب قبر حمزة بن موسى<sup>(١)</sup>، إلى غير ذلك من السادات الأجلاء أبناء الأئمة عليهم السلام وأحفادهم، فإنّ من المستغرب وغير المبرّر أن يتمّ احترام غير الصالحين وبناء المقامات والمشاهد على قبورهم والإقبال على زيارتها من العامة وبعض الخاصة دون نكير من أحد، وما نقوله ليس مجرد كلام نظري، بل هو واقع فعلي، فقد بُنيت مقامات لبعض المذمومين من أبناء أو أحفاد الأئمة عليهم السلام، وإليك بعض هذه المقامات:

١ - مقام علي بن إسماعيل بن الصادق عليه السلام، ويعرف عند البغداديين بالسيد سلطان علي.

٢ - مقام محمّد بن إسماعيل بن الصادق عليه السلام جدّ الفاطميين، والذي يُعرف عند أهل بغداد بالفضل حتّى أنّ المحلّة التي قبره فيها تُسمّى محلّة الفضل، قال السيد حسن الصدر عن هذين المقامين بأنّهما مقامان مذمومان<sup>(٢)</sup> وقال الشيخ محمّد حرز الدين: «والسيد سلطان علي وأخوه محمّد الفضل ممّن أعرضت عنهما الشيعة الإمامية قديماً وحديثاً، لقربهما من سلطان الرشيد العباسي، وبعدهما عن عمّهما وإمام زمانهما موسى بن جعفر عليه السلام، بل وإيذائهما عمّهما إمام الحقّ والصدق ووشائتهما به عند الرشيد»<sup>(٣)</sup>.

٣ - مقام عبد الله بانو في مدينة تستر في إيران، وهو مقام عامر مشيد، وعبد الله هذا على ما قيل: «سيد من ذراري الإمام الحسين عليه السلام، وقد نقل عن الشيخ النسابة الميرزا الشيرواني أنّه لما دخل شوستر أيام السلطان فتح علي خان لم يذهب لزيارة قبر عبد الله بانو، وقال: إنه من مشايخ الصوفية»<sup>(٤)</sup>.

(١) أنظر للتوسع حول ذلك: نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين ص ٧١ وما بعدها.

(٢) أنظر: نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين ص ٨٠، وراجع: تحفة العالم ج ٢ ص ١٤.

(٣) مرآة المعارف ج ١ ص ٣٦٣.

(٤) مرآة المعارف ج ٢ ص ٤٦.

٤ - مقام عبيد الله بن أمير المؤمنين علي عليه السلام، المعروف بابن النهشلية، وقبره في (المدار) من سواد (البصرة) وأهل البطايح يعظمون مرقده ويأتون إلى زيارته<sup>(١)</sup>، يقول ياقوت الحموي: «والمدار في ميسان بين واسط والبصرة... وبها مشهد عامر كبير جليل عظيم قد أنفق على عمارته الأموال الجلية، وعليه الوقوف وتساق إليه الذنور وهو قبر عبد الله بن علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>، وعبيد الله بن علي هذا قد نازعته نفسه إلى طلب الخلافة، فقصده المختار وسأله أن يدعو له فلم يقبل، فخرج فلحق بمصعب بن الزبير وصار معه إلى حرب المختار، فأصبح مقتولاً لا يدري من قتله<sup>(٣)</sup>، ومضافاً إلى طلبه الخلافة وهو ليس أهلاً لها، ومن ثم خروجه مع مصعب بن الزبير في حرب لا تملك صفة شرعية، فقد ورد في بعض الروايات أنه اعترض على أبيه أمير المؤمنين عليه السلام عندما أوصى عليه السلام أولاده بإطاعة الحسنين عليه السلام، حيث قال عبيد الله مخاطباً والده أمير المؤمنين عليه السلام: «أدون محمد بن علي، يعني ابن الحنفية؟! فقال له عليه السلام: أجرة علي في حياتي؟ كأنني بك وقد وجدت مذبحاً في فسطاطك لا يدري من قتلك»<sup>(٤)</sup>.

٥ - قبر (مقام) العباس بن موسى الكاظم عليه السلام، له قبر في صحن الكاظميين عليه السلام مع شخص آخر يقال أنه من أولاد الإمام الكاظم عليه السلام، يقول السيد مهدي القزويني: «إن لأولاد الأئمة قبرين مشهورين في مشهد الإمام موسى عليه السلام من أولاده، لكن لم يكونا من المعروفين، وقال: إن أحدهما اسمه العباس بن الإمام موسى عليه السلام الذي ورد في حقه القدر»<sup>(٥)</sup>.

والعباس هذا هو الذي رفع الوصية التي أوصى بها أبوه الكاظم عليه السلام إلى

(١) تحفة العالم ج ١ ص ٢٣٣.

(٢) معجم البلدان ج ٥ ص ٨٨.

(٣) أنظر: مقاتل الطالبين ص ٨٤، ومرآة المعارف ج ٢ ص ٥٠.

(٤) الخرائج والجراح ج ١ ص ١٨٣، للتوسع حول ذلك، راجع: قاموس الرجال للستري ج ٧ ص ٨١ - ٨٢.

(٥) تحفة العالم ج ٢ ص

القاضي، مدعياً أنّ أباه (أي الكاظم عليه السلام) تركه وأخوته عالّةً على الناس، وأنّ أخاه عليّاً بن موسى الرضا عليه السلام يريد أن يحتجز كنزاً مختوماً في أسفل الوصية دونهم، وطلب إلى القاضي أن يفضّ الخاتم، فأبى القاضي ذلك مخافة أن تصيبه لعنة الإمام الكاظم عليه السلام، لأنّه عليه السلام كان قد نهى في مطلع الوصية أن يفضّ أحد الخاتم، قائلاً عليه السلام: «ومن فعل ذلك فعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاعنين، والملائكة المقرّبين وجماعة المرسلين والمؤمنين من المسلمين»، فما كان من العباس وبعد تمتّع القاضي من فضّ الخاتم إلّا أن فضّه بنفسه، فإذا هو يتضمّن إخراج وإخوته من الوصية وإقرار أخيهم الإمام علي الرضا عليه السلام وحده، وإدخالهم في ولايته عليه السلام إن أحبّوا أو كرهوا، ورغم ذلك كلّه فقد تلطّف به الإمام الرضا عليه السلام وأبرّه وسائر أخوته ووعدهم بأن يعطيهم ويواسيهم ما دام حيّاً، فلم يرض ذلك العباس فقال له: «ما تعطينا إلّا من فضول أموالنا، وما لنا عندك أكثر!»، فقال عليه السلام: «قولوا ما شئتم فالعرض عرضكم، اللهم أصلحهم وأصلح لهم... قال العباس: ما أعرفني بلسانك، وليس لمسحاتك عندي طين!»<sup>(١)</sup>.

قال السيّد بحر العلوم تعليقاً على هذا الخبر: «وفيه منتهى الدّم للعباس وإخوته الذين وافقوه على خصومة الرضا عليه السلام ومخالفته ومنازعته»<sup>(٢)</sup>.

وإخوة الإمام الرضا عليه السلام هؤلاء الذين فعلوا ما فعلوا في موضوع الوصية قد كان من أمرهم أيضاً ما كان، من بغيهم عليه عليه السلام ونفيهم لنبوة ابنه الإمام الجواد عليه السلام عنه، لأنّه كان «حائل اللون»، ولم يوجد - حسب زعمهم - إمامٌ حائل اللون قطّ، واضطروا الإمام الرضا عليه السلام أن ينزل عند حكم القافة (القائف: هو الذي يعرف الآثار) الذين ألحقوا الجواد عليه السلام بأبيه الرضا عليه السلام كما جاء في الأخبار<sup>(٣)</sup>.

(١) أنظر: الكافي ج ١ ص ٣١٧-٣١٩، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٤٢-٤٤.

(٢) الفوائد الرجالية ج ١ ص ٤١٦.

(٣) الكافي ج ١ ص ٣٢٢-٣٢٣.

يقول السيد بحر العلوم تعليقاً على روايتي فضّ الوصية وعرض الإمام عليه السلام على القافة: «فما ذكره المفيد رحمته الله هنا وتبعه غيره من الحكم بحسن حال أولاد الكاظم عليه السلام عموماً محلّ نظر»<sup>(١)</sup>.

أقول: ما ذكره الشيخ المفيد في شأن أولاد الكاظم عليه السلام هو قوله: «ولكلّ واحد من ولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فضل ومنقبة مشهورة، وكان الرضا عليه السلام المقدّم عليهم»<sup>(٢)</sup>.

ولك أن تقول: إنّ عبارة المفيد لا تدلّ على أنّهم كانوا جميعاً في غاية الورع والتقوى<sup>(٣)</sup>، لأنّه يتحدّث عن أنّ لكلّ واحد منهم منقبة، والمنقبة قد لا تكون منقبة دينيّة، بل منقبة أخلاقية، من قبيل الكرم، أو الصدق أو الأمانة أو نحو ذلك، ولهذا ذهب العلامة المجلسي إلى أنّ بعض «أولاد موسى عليه السلام الذين وثبوا على الرضا عليه السلام وأحضروه عند القاضي هم ممّن يظن سوء رأيهم وفعلهم»<sup>(٤)</sup>.

## أشخاص آخرون

تلك بعض المقامات المشيّدّة أو القبور المقصودة للزيارة لأبناء أو أحفاد الأئمّة عليهم السلام، مع كونهم من الذين ورد فيهم الذمّ أو لم يثبت صلاحهم، وهناك شخصيّات أخرى لا نعلم إن كانت لهم مقامات ومشاهد، لكنهم ممّن ورد فيهم الذمّ، أو صدرت منهم تصرفات لا تشي باستقامتهم على طريق الحقّ، ومن هؤلاء:

١ - عمر الأطراف<sup>(٥)</sup> بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام والمُتوفى في «يُنبع» في

(١) الفوائد الرجالية ج ١ ص ٤٢١.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٢٤٦.

(٣) أنظر: حاشية بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٢٧٨.

(٤) أنظر: البحار ج ٩٩ ص ٢٧٣.

(٥) لقب بالأطرف، باعتبار أنّ شرفه - كما قيل - كان من طرف واحد، وهو طرف أبيه أمير المؤمنين عليه السلام دون طرف الأم، حيث كانت أمه سيّبة من سبايا عين التمر... مرآة المعارف ج ٢ ص ١٠٩.

الحجاز، «يُروى أنه تخلف عن المسير مع أخيه أبي عبد الله الحسين عليه السلام إلى العراق وعن واقعة الطفّ في كربلاء فلم ينل الظفر بالشهادة والفوز بالكرامة، وأنه ركنَ إلى سلطان الجور مصعب بن الزبير وبايعه، وبايع الحجاج بن يوسف الثقفي، ونازع إمام زمانه ابن أخيه زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام في توليته صدقات أمير المؤمنين عند الحجاج..»<sup>(١)</sup>.

٢ - زيد بن الإمام الكاظم عليه السلام والذي «خرج في البصرة ودعا إلى نفسه وأحرق دوراً وأعبث، ثم ظفر به وحُمل إلى المأمون، قال زيد: لما دخلت على المأمون نظر إليّ، ثم قال: اذهبوا به إلى أخيه أبي الحسن عليّ بن موسى، فتركني بين يديه ساعة واقفاً، ثم قال: «يا زيد سوءاً لك سفكت الدماء، وأخفت السبيل وأخذت المال من غير حلّه! عزّك حديث حمقى أهل الكوفة أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّمها وذريتها على النار» إنّ هذا لمن خرج من بطنها الحسن والحسين عليه السلام فقط، والله ما نالوا ذلك إلاّ بطاعة الله، لئن أردت أن تنال بمعصية الله ما نالوا بطاعته إنك - إذاً - لأكرم عند الله منهم»<sup>(٢)</sup>.

وزيد هذا هو المعروف بزید النار، وسبب تسميته بذلك هو ما فعله في البصرة من إحراق الدور، ولأجل ذلك ضعّفه أهل الرجال<sup>(٣)</sup>.

٣ - جعفر الكذاب وهو الذي ادعى الإمامة بعد وفاة أخيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، متجرّناً على الله ورسوله صلى الله عليه وآله، منكرّاً وجود خلف لأخيه الإمام العسكري عليه السلام، قال المفيد رحمته الله: «وتولّى جعفر بن عليّ أخو أبي محمد عليه السلام أخذَ تركته، وسعى في حبس جوارى أبي محمد عليه السلام واعتقال حلائله، وشعّ على أصحابه بانتظارهم ولده وقطعهم بوجوده والقول بإمامته، وأغرى بالقوم

(١) مراقد المعارف ج ٢ ص ١١٠.

(٢) كشف الغمّة للأردبيلي ج ٢ ص ١٠٤، وبحار الأنوار ج ٤٨ ص ٣١٥.

(٣) أنظر: قاموس الرجال للستري، ج ٤ ص ٥٨٦ وما بعدها.

حتى أخافهم وشردهم، وجرّ على مُخلفي أبي محمّد ﷺ بسبب ذلك كلّ عزيمة، من اعتقال وحبس وتهديد وتصغير واستخفاف وذلّ، ولم يظفر السلطان منهم بطائل، وحاز جعفر تركة أبي محمّد ﷺ واجتهد في القيام عند الشيعة مقامه، فلم يقبل أحد منهم ذلك، ولا اعتقده فيه، فصار إلى سلطان الوقت يلتمس مرتبة أخيه، وبذل مالا جليلاً، وتقرب بكلّ ما ظنّ أنّه يُتقربُ به فلم ينتفع بشيءٍ من ذلك، ولجعفر أخبار كثيرة في هذا المعنى..»<sup>(١)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أنّ تسميته بالكذاب وردت في بعض الروايات المروية عن الإمام زين العابدين<sup>(٢)</sup> ﷺ.

وهناك أسماء أخرى من أبناء الأئمة ممّن ورد فيهم الذمّ، منهم: - بحسب رأي العلامة المجلسي - «موسى المبرقع ابن الجواد المدفون في قم»<sup>(٣)</sup>، ومنهم: بعض أولاد وأحفاد الإمام الحسن ﷺ<sup>(٤)</sup>، وربّما وقع الخلاف في بعض هذه الأسماء، حيث قد يترجّح لدى بعض العلماء وثاقة بعضهم، وهذا أمر مشروع، ونحن لا نملك يقيناً بالتضعيف، وإنّما غاية الأمر أنّ بعض الدلائل والشواهد تؤكّد ضعف بعضهم، أو أنّهم لم يكونوا من المرضيين.

ومن خلال ما تقدّم يتّضح أنّ ما تضمّنته بعض الأخبار وتبناه بعض العلماء من أنّ

(١) أنظر: الإرشاد ج ٢ ص ٣٣٦-٣٣٧.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة ص ٣١٩.

(٣) أنظر: بحار الأنوار ج ٩٩ ص ٢٧٤. ولكن يظهر من السيد حسن الصدر أنّه من أولاد الأئمة المحترمين، لاحظ: نزّهة أهل الحرمين ص ٧١-٧٧، وهكذا، فإنّ المحدث التوريّ تَكْتَفَى قد ألّف كتاباً خاصاً حمل عنوان «البدر المشعشع في ذرية موسى المبرقع» وقد ذكر فيه بعض الأدلة على «استقامة حاله واعتداله» على ما ذكر، أنظر: موسوعة المصطفى والعترة، للحاج حسين الشاكري، ج ١٣ ص ٣٤، وزيّف الخبر الوارد في ذمّه وهو خبر واحد رواه يعقوب بن ياسر: أنظر مصدر الخبر في بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٤.

(٤) حيث يظهر من العلامة المجلسي أنّ هؤلاء «يظنّ سوء رأيهم وفعلهم» وأنهم «خرجوا وادعوا ظاهراً ما ليس لهم مثل محمّد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن ﷺ» أنظر بحار الأنوار ج ٩٩ ص ٢٧٣. بينما يذهب البعض إلى حسن الظنّ بهؤلاء الثائرين الذين دعوا إلى الرضا من آل محمّد ﷺ وإن لم يشيروا إلى إمام بعينه، أنظر: المصدر نفسه، هامش الصفحة المذكورة.



الأصل في أبناء الأئمة عليهم السلام الصلاح بخلاف سائر الناس، أو أنه لا يمكن أن تموت نفس من أولاد الأئمة عليهم السلام إلا وتدركه السعادة والتوبة قبل أن تخرج روحه<sup>(١)</sup>، أمر غير ثابت، وليس عليه دليل يمكن الركون إليه، لأن ما ورد في ذلك من الأخبار هي أخبار ضعيفة لا يمكن الركون إليها، في مقابل ما تؤكد الوقائع التاريخية التي تقدمت الإشارة إليها، وفي مقابل الأصل الطبيعي في بني الإنسان والثابت بالنص القرآني وغيره من عدم وجود تمايز بين أبناء الأنبياء أو الأئمة عليهم السلام وبين سواهم من الناس في قابلية الهداية والانحراف، أجل إن الشيء المؤكد والثابت أن أبناءهم عليهم السلام مهَيَّؤون للهداية أكثر من غيرهم بحكم الوراثة والتربية الصالحة، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإن هذه الروايات حتى لو صححت سنداً وصرفنا النظر عن مخالفتها للمبادئ الإسلامية العامة فهي إنما ثبتت خصوص توبتهم قبل الممات، ولكنها لا تثبت جلالتهم وعلو شأنهم بحيث يُقصدون للزيارة وتُشدُّ إليهم الرحال وتقام لهم الأضرحة والمقامات، كما أن من الظنون جداً، أن تنالهم رحمة الله التي وسعت كل شيء أو تنالهم شفاعة بعض آبائهم وأجدادهم الطاهرين عليهم السلام، كما تنال الكثيرين من أهل الذنوب والمعاصي، إلا أن ذلك لا يبرر - بطبيعة الحال - اتخاذ قبورهم مشاهد يقصدها المؤمنون للزيارة والتبرك.

إن غرضنا من ذكر الأسماء المتقدمة التي ورد فيها الذم ليس سوى التنبيه إلى أن العاطفة لا يجوز أن تسوقنا وتدفعنا لبناء مقامات دينية لكل من انتسب إلى النبي صلى الله عليه وآله أو أحد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، ولسنا نهدف أبداً إلى الجزم بأنهم من أهل الجحيم والعذاب، لأننا لا يمكن أن نحتم على الله، فالأمر إليه وحساب الخلق عليه، وإننا نسأله تعالى أن يشملنا برحمته ويعاملنا وجميع العباد بلطفه ومغفرته، إنه واسع المغفرة.

(١) أنظر وراجع هذه الأخبار في هامش بحار الأنوار ج ٩٩ ص ٢٧٤.



### الملحق رقم ٣ مشاهدات عالم حجازي في «بَعْلَبَكَّ» و«جبل عامل»

قبل قرنين وتيف مرّ على بلاد «بَعْلَبَكَّ» وجبل عامل العالم الحجازي الشيخ إبراهيم بن مهدي آل عرفات وسجّل بعض ملاحظاته الهامة ومشاهداته القيّمة عن المقامات المنتشرة في هذه البلاد المنسوبة إلى الأنبياء، وما يعتقده الناس فيها، ولأهمية هذه الملاحظات وكونها ذات صلة ببحثنا عن المقامات الدينيّة وما قد يكتنفها من أوهام أحببنا أن نسجّل أهمّ هذه المشاهدات لتكون عبرةً للقارئ ومصدراً في متناول الباحث والمحقّق:

يقول تحت عنوان:

#### «قصة قبر النبيّ إيلاء»

«ووجدت مكتوباً في حائط النبيّ إيلاء - من أعمال «بَعْلَبَكَّ» - ثالث شعبان

سنة ١٢٢١هـ:

اترك الدنيا وفاق ما على الديار فيق  
إنّما الدنيا سفينة كل من فيها غريق  
وفي جانب آخر منه أيضاً:  
هوّن الدنيا وما فيها عليك  
واجعل الهَمَّ لما بين يديك  
إنّ هذا الدهر يُدنيك إلى  
ملك الموتِ ويديهِ إليك

وحدّثني رجل كنت معه جالساً فيه أنّ هذا النبيّ هو النبيّ إلياس عليه السلام، فقلت:

ومن أين لك هذا؟ هل هو لتقارب لفظ «أَيْلا» ولفظ «إِيلاس». قال: لا، ولكن لما نُقل عن علماء بلاد (بشارة) (بلاد جبل عامل) أنه وجد في التاريخ أنَّ النبيَّ إِيلاس عليه السلام قتلَه قَوْمُهُ ودفنوه بجانب ضيعة النبيِّ إِيلاء، فمِنَ تقادم الزمن وطول المدَّة سمَّوا ضيعة أبله أبلج (الصحيح أبلح) والنبي إِيلاس النبيِّ إِيلاء.

وحدَّثني مَنْ أثقُّ به من أسياد خدَّام هذا النبيِّ أنَّ له كرامات عظيمة، وكان أصله رجمة أحجار وكانت تقصدها الرعاة بقطايح الغنم والبقر لتشرب، وكانت نبعة من ماء إلى جانبها، فغضب راع على غنمة، فَكَسَّرَ رجلها - أو قال رجلها - وألقاها فوق الرجمة، فلمَّا كان من اليوم الثاني وجد الراعي غنمته صحيحةً ترعى حول الرجمة، قال السيد الخادم السيد إبراهيم والعهدة على الراوي، فلما سمع جدِّي الأوَّل بهذه الكرامة من الراعي حوَّط على الرجمة بسور قصير وجعل يخدمها ويكنسها ويُشعلُ الزيت فيها، فاتفق ذات ليلةٍ دخل وحش لحس الزيت وكسر السراج، فقال: إن لم تظهر لي كرامة في هذا الوحش وإلاَّ هدمتُ ما بنيت وما بقيتُ أشعل لك شيئاً أبداً، فلما كان من اليوم الثاني وُجد الوحش ميتاً فوق الرجمة، فقال جدِّي: الآن أخدمك من جدي بجهدني فلم يزل يتعاهده حتَّى تسامع به الناس وبقيت الأعرابُ والدروزُ والتَّصاري تحلف به وتندر له النذورات فتظهر له الكرامات حتَّى بناه المير سلمان - أو قال غيره الخزعلي من بيت الحرفوش حكام «بَعْلَبَكَّ» - هذا البنيان العجيب ونزلت حوله النَّاس حتَّى صارت هذه الضيعة المسمية باسمه، ولم تزل هذه الضيعة إلى الآن معزوزة عند الحكام والدروز والتصاري محشومةً من أجل هذا النبي.

ومن عادة أهل «بَعْلَبَكَّ» يُسمون القرى إن دفن فيها أحد الأنبياء باسم ذلك النبي، مثل: (النبي رشادي) و(النبي شيث) وغيرها. ووجدت أنبياء كثيرة مدفونة في جبل عامل حتَّى كان من أجل ذلك العوام منهم كلِّ مزار رآه يقول: هذا النبي. ولا يبعد فإنَّ الشامات ونواحيها وتوابعها هي أمكنة أنبياء بني إسرائيل وهم كثيرون.

ولما زار الحقيِرُ (النبيَّ شيث)؛ سَأَلَ خَدَامَهُ عَنْهُ كَيْفَ عَلِمْتُمْ أَنَّ وَلَدَ آدَمَ شَيْتُ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ دَفِنَ هُنَا<sup>(١)</sup> - وَقَبْرُهُ يَقْرُبُ فِي الطُّوْلِ مِنْ قَبْرِ أَمْنَا حَوَاءَ فِي بِلَادِ جَدَّةَ - وَقَدْ طَالَتِ الْمُدَّةُ وَعَفَاهُ الطُّوفَانُ؟ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ خَدَامِهِ - يَزْعَمُ أَنَّ مِنْ ذُرِّيَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ بِهَاءِ الدِّينِ الْعَامِلِيِّ - فَقَالَ: سَمِعْتُ أَنَّه كَانَ أَصْلُهُ رَجْمَةً أَحْجَارٍ. وَجَعَلَ يَقْصُّ الْقِصَّةَ، فَقُلْتُ اسْكُتْ قَدْ فَهَمْتُ.

وَزَرْتُ (النبيَّ العوسجِيَّ) فِي بَعْضِ ضِيَاعِ «بَعْلَبَكَّ»، فَسَأَلْتُ خَادِمَهُ - وَهُوَ قَدْ رَكَعَ مِنَ الْكِبَرِ وَخَرِفَ - فَقُلْتُ: كَيْفَ عَرَفْتُمْ أَنَّ هَذَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنَّ اسْمَهُ مُحَمَّدٌ الْعَوْسَجِيُّ وَمَا كَانَ فِيْمَا نَعَهْدُهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ عَلَى كَثْرَتِهِمْ أَنَّ اسْمَ أَحَدٍ مِنْهُمْ مُحَمَّدٌ غَيْرَ نَبِيِّنَا ﷺ؟ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي - أَوْ قَالَ سَمِعْتُ - أَنَّه كَانَ فِي الْأَصْلِ رَجْمَةً أَحْجَارٍ وَشَرَعَ يَقْصُّ الْقِصَّةَ، قُلْتُ: اسْكُتْ قَدْ فَهَمْتُ.

قُلْتُ: وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرُهُمْ أَنْبِيَاءً، وَقَدْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ خَلْفًا عَنْ سَلْفٍ قَبْلَ الطُّوفَانِ أَوْ بَعْدَهُ مِثْلُ: قَبْرِ (النبيَّ نُوحٍ) فِي «الْكِرْك»، وَقَبْرِهِ يَقَارِبُ قَبْرَ حَوَاءَ فِي جَدَّةَ - وَكَذَا قَبْرُ (النبيَّ عَلِيِّ النَّهْرِيِّ) فِي ضَيْعَةِ «عَلِيِّ النَّهْرِيِّ» فِي الطُّوْلِ، وَمِثْلُ (النبيَّ سَامَةَ)<sup>(٢)</sup>، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فِي أَرْضِ «بَعْلَبَكَّ»، وَكَذَا أَرْضِي (بِلَادِ بَشَارِهِ)، وَ (بِلَادِ الشَّقِيفِ) وَ (جِبَلِ الرِّيحَانِ) وَغَيْرِهَا<sup>(٣)</sup>.

### قبر النبيّ (علي النهري)!

وَيَقُولُ تَحْتَ عِنْوَانِ «مِنَ الْأَمْثَالِ السَّائِدَةِ فِي أَرْضِ بَغْدَادَ»: «مِنَ الْأَمْثَالِ السَّائِدَةِ فِي أَرْضِ بَغْدَادَ وَنَوَاحِيهَا: (لَوْ تَوَدَّدْنَا مَا حَصَلَ لَكَ). وَالْحَقِيرُ مَا عَقَلَ مَعْنَاهُ إِلَّا يَوْمَ

(١) هُنَا عِبَارَةٌ مَشْطُوبَةٌ مِنْ قِبَلِ الْمُؤَلِّفِ، وَهِيَ: حَتَّى طَوَّلْتُو (كَذَا) قَبْرَهُ هَذَا الطُّوْلَ الْفَاحِشَ. (مِنَ الْمُحَقِّقِ لِكِتَابِ الْكَشْكُولِ).

(٢) تَوْجِدُ قَرْيَةً فِي الْبِقَاعِ بِاسْمِ بَيْتِ شَامَةَ، فَلَعَلَّهَا هِيَ الْمَقْصُودَةُ (مِنَ مُؤَلِّفِ هَذَا الْكِتَابِ).

(٣) آلُ عَرَفَاتِ، الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَهْدِيٍّ (تُوفِيَ بَعْدَ ١٢٣٧ هـ) الْكَشْكُولِ، تَحْقِيقٌ: عَبْدِ الْغَنِيِّ عَرَفَاتِ، مُؤَسَّسَةُ أُمِّ الْقُرَى لِلتَّحْقِيقِ وَالنَّشْرِ، ط ١٤١٨ هـ.

تاسع شهر شعبان الموسوم (بالقصور) في أرض العراق<sup>(١)</sup> و(أبو مليط) في نواحي الشام سنة ١٢٢١ هـ، وذلك عند منصرفي من قرية (حش مش)، عجت إلى قرية (النبي علي النهري) من أعمال «بَعْلَبَكَّ»، وأنا جوعان وليس معي شيء يؤكل إلا مقدار كف من زبيب، فقلت في نفسي أزور هذا النبي الكريم وأضيف أهل القرية فلما قدمت وزرت واستقرت نفسي سوية، تحركت علي حرارة الجوع، فممت أحترق أزقة القرية وأعرضُ باستطعام أهلها والوَح، بل كدت أن أصرح بالجوع، فما عطفت منهم علي عاطفة، وقد فات الظهر، فقلت: الرأي أن أعود إلى الجامع الذي فيه النبي، فرجعت إليه واسترحت سوية، وصليت الظهرين وأكلت ما عندي من الزبيب، وقمت وقت العصر، وصرت أجوب أرض القرية، عرضاً وطولاً، جنوباً وشمالاً، أدرعها وأنا مع ذلك كلما مررت بجمع عرضت ولوحت، فما وجدت فيهم من أطعمني كسرة، ولا سوق فيها للخبو ولا لغيره، فرجعت إلى الجامع، وقمت ثالثة من حرارة الجوع أدور في جنبات فصرت ألوح بل أصرح فسمعت امرأة تقول لرجل: أما ترى هذا العراقي يدور<sup>(٢)</sup> في الضيعة على شيء يأكله ولا أحد لقاها منهم، فقلت في نفسي الآن يدعوني هذا الرجل أو هذه المرأة ففرحت، وزاد سروري ووقفت أنتظر مقدار ساعة ورجعت إلى الجامع وأنا جوعان، وقد سقطت الشمس فلما حان وقت صلاة العشائين وأظلم الجو قمت وصعدت على دكة الجامع وأذنت بأعلى صوتي وقصدت بالأذان إعلام أهل القرية بأنني إلى الآن في الجامع وقلت: عسى ولعل يأتي أحد لي بعشاء أو بخبز آكله، فبت ليلتي مثل يومي وضاع أداني (هكذا والصحيح أداني) وخطر في بالي المثل العراقي: (لو تؤذن ما حصل لك شيء) وعقلت معناه. وهذا النبي قد قيل لي، إنه ولد النبي شيت بن آدم عليه السلام، وإنما اشتهر بعلي النهري لكونه

(١) وهذا يؤكد ما ذكرناه من أنه تكلم في رحلته هذه بالعراق، وسيذكر لاحقاً أنه كان قبل هذا التاريخ في مشهد

المقدسة. (من محقق الكشكول)

(٢) كلمة محلية، ومعناها: يبحث.

مدفوناً وممدوداً على جانب النهر»<sup>(١)</sup>.

### جامع النبي ﷺ شيث

ويقول تحت عنوان «جامع النبي شيث»: «وجدت مكتوباً في حيطان النبي

شيث ﷺ يوم الإثنين رابع عشر شهر شعبان سنة ١٢٢١ هـ:

ألا إنما الدنيا تمرّ على الفتى  
وتحلّو وما حلّو يدوم ولا مرّ  
وفيهما مكتوب أيضاً:

جبريلُ نادى معلناً  
والمؤمنون قد أهدقوا  
لا سيفَ إلاّ ذو الفقار  
وفيهما أيضاً:

عليٌّ حُبُّهُ جُنَّةُ  
وصيُّ المصطفى حقّاً  
قسيمُ النَّارِ والجَنَّةِ  
إمامُ الإنسِ والجَنَّةِ  
وفيهما أيضاً:

حيدرُ صنو أحمدٍ  
هذه بابُ حِطَّةٍ  
منبعُ العلمِ والهدى  
وفيهما أيضاً:

حُبُّ عليٍّ لازمٌ واجبٌ  
قالوا تُحِبُّ ابنَ أبي طالبٍ  
في عُنُقِ الشاهدِ والغائبِ  
قلتُ لهم والطالبِ الغالبِ

(١) المصدر نفسه ص ٨٨-٨٩.

لو فَتَشُوا قَلْبِي رَأَوْا وَسَطَهُ      سَطْرِينَ قَدْ خُطَّابِلَا كَاتِبِ  
الْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ فِي جَانِبِ      وَحِبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي جَانِبِ

وحدَّثني في هذا الموسم (حسن آل حيدر) - من خُدَّامِ النَّبِيِّ شَيْتٍ - : أَنَّهُ أَصَابَهُ وَجَعُ الْقَلْبِ، فَسَأَلَ السَّيِّدَ الْمَرْتَضَى<sup>(١)</sup> - أَبُو السَّيِّدِ أَبُو الْحَسَنِ مِنْ تَمِينِ التَّحْتَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ذَلِكَ حَصَلَ مِنْ رِيحٍ أَوْ غَيْظٍ، فَعَلَّمَهُ مَعْجُونًا وَسُفُوفًا، وَقَالَ: تَعْمَلُ الْمَعْجُونُ حَبًّا، وَتَحْمَى عَنِ الْمَغْلُظَاتِ، مِنَ الْبُرْغَلِ وَاللَّحْمِ وَالْأَلْيَافِ وَنَحْوِهَا، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَأْكُلُ حَبَّةً وَاحِدَةً، عَلَيْهَا مِنَ السُّفُوفِ، وَتَشْرَبُ عَلَى ذَلِكَ فَنَجَانُ مَاءٍ فَاتِرٍ، فَبَعْدَ الْعَشْرِينَ يَوْمٍ طَابَ وَلَا عَادَ، لَكِنْ كَانَ يَسْتَعْمَلُ الزَّنْجَبِيلَ يَقْرُظُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى السُّوَيْقِ<sup>(٢)</sup>.

## زيارة جباع

ويقول تحت عنوان «زيارة جباع»: «قد تشرفتُ بزيارة قبري العالمين العاملين، السيّد محمد صاحب المدارك، وقرأت تاريخ وفاته، من وجه صخرة قبره، أَنَّهُ تُوْفِيَ بِرَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الثَّامِنِ عَشْرِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ عَامِ تِسْعَةِ بَعْدِ الْأَلْفِ سَنَةِ ١٠٠٩ هـ وَالشَّيْخَ حَسَنَ صَاحِبِ «الْمَعَالِمِ» - الَّتِي هِيَ مُقَدِّمَةٌ (مُتَّقَى الْجِمَانِ) - وَوَلَدُ (إِبْنِ) الشَّهِيدِ الثَّانِي، أَنَّهُ تُوْفِيَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنَ الْمُحْرَمِ مِنَ السَّنَةِ ١٠١١ هـ الْحَادِيَةِ عَشَرَ بَعْدَ الْأَلْفِ، وَهُمَا مَدْفُونَانِ فِي مَقْبَرَةِ جِبَاعِ (تَحْتَ

(١) وردت الكلمة هكذا (مرضى)، فإما أن تكون مرضى أو مرتضى، والأقرب ما أثبتناه، إذ إن مرتضى من الأسماء الدارجة هناك، وربما كان الاسم كاملاً هكذا: السيد مرتضى السيد أبو الحسن، لأنه لا يعقل أن يكون السيد مرتضى هذا أباً للسيد أبي الحسن جد الأسرة المعروفة بأبي الحسن، وهو في الوقت نفسه معاصر للشيخ إبراهيم؟! إذ ما أعرفه أن أبا الحسن جد الأسرة المعروفة متقدم تاريخياً على هذا الزمن، وآل السيد أبي الحسن عائلة عاملية كبيرة معروفة، وكذلك هي عائلة آل حيدر، أما الشخصان المذكوران فلم أحدهما ترجمة. (من محقق الكشكول) أقول: لا بد من إبقاء هذه الكلمة كما وردت في النسخة الخطية من كتاب الكشكول، أعني «مرضى»، وهي لفظة عامية مُحَرَفَةٌ تُلفظ هكذا «مُرضى»، ولا يُخفى أنّ توصيف «مُرضى» هذا بالسيد قد يضيء على مسألة تتصل بنسب بعض فروع عائلة «مرتضى» الموجودة في بلدة تمين.

(٢) المصدر نفسه ص ٩١ - ٩٣.

سلطنة إقليم التفاح)، وكان مروري بهما يوم الرابع عشر من رجب المرجب سنة ١٢٢١ هـ، وفي ذلك العام لقي إلى عندي رجل وكتب هذه الأبيات (من هنا إلى نهاية هذا الشطر) أجمع الله شملنا بهم أين كانوا) يبدو أن الكتابة بقلم هذا الرجل الذي ذكره وذلك لتغير حجم الخط وصفته):

إن رمت صدقاً فلا تتركن إلى الزمن	واسلك طريق الهدى تحظ بعيش هني
وجانب الغي وارك كل معصية	وامش سويلاً ولا تستعمل الإحنا
وسالك الخلق وامش في مسرتهم	وافعل جميلاً ولا تبغ بهم فتنا
واحذر من الكذب في الآفات قاطبة	وداوم الصدق في سرّ وفي علن <sup>(١)</sup>



(١) المصدر السابق ص ١٤٩.







## الملحق رقم (٤)

### الشيخ عباس القمي والدس في كتب الزيارات

هذا النص هو للشيخ عباس القمي، ذكره في كتابه الشهير «مفاتيح الجنان» عقيب زيارة الإمام الحسين عليه السلام المعروفة بـ «زيارة وارث»، وقد تطرق فيه إلى الدس والتزوير الذي تعرضت له بعض كتب الأدعية أو الأخبار أو غيرها، يقول رحمته الله:

«تعرف هذه الزيارة باسم زيارة وارث، وهي مأخوذة عن كتاب «مصباح المتهجد» للطوسي، وهو من أرقى الكتب المعتبرة المشهورة في الأوساط العلمية، وقد اقتطفت هذه الزيارة نصاً عن ذلك المأخذ الشريف من دون واسطة أتكل عليها، فكانت كلمة الختام لزيارة الشهداء هي: «فِيَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ مَعَكُمْ»، فالزيادة التي ذُلت بها هذه الزيارة وهي: «فِي الْجَنَانِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلَادِكُمْ رَفِيقًا، السَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ كَانَ فِي الْحَائِرِ مِنْكُمْ، وَعَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَائِرِ مَعَكُمْ...»، إنما هي خروج عن المأثور ودس في الحديث.

قال شيخنا (يقصد الشيخ حسين النوري) في كتابه الفارسي «لؤلؤ ومرجان»: «إن هذه الكلمات التي ذُلت بها هذه الرواية إنما هي بدعة في الدين وتجاسر على الإمام عليه السلام بالزيادة فيما صدر منه، وفوق ذلك، فهي تحتوي على أباطيل وأكاذيب بيّنة الكذب، والغريب المدهش أنها تنبث بين الناس وتذيع، حتى تهتف بها في كل يوم وليلة عدّة آلاف مرّة (آلاف المرات) في مرقد الحسين عليه السلام وبمحضر من الملائكة المقربين وفي مطاف الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ولا منكر ينكرها أو رادع يردع عن الكذب والعصيان، فالأمر إلى أن تدون هذه الأباطيل وتطبع في مجاميع

من الأدعية والزيارات، يجمعها الحمقى من عوام الناس فتزعمها كتاباً، فتجعل لها اسماً من الأسماء، ثم تتلاقفها المجاميع، فتسري من مجموعة أحقق إلى مجموعة أحقق آخر، وتتفاقم المشكلة، فيلتبس الأمر على بعض طلبة العلم والدين! وإنني صادفت طالباً من طلبة العلم والدين وهو يزور الشهداء بتلك الأباطيل القبيحة فمستت كفته، فالتفت إليّ فخاطبته قائلاً: ألا يشنع من الطالب أن ينطق بمثل هذه الأباطيل في مثل هذا المحضر المقدّس؟ قال: أليست هي مروية عن الإمام عليه السلام؟ فتعجبت لسؤاله! وأجبتة بالنفي، قال (أي ذاك الطالب): فإني قد وجدتها مدونة في بعض الكتب، فسألته عن الكتاب؟ فأجاب: كتاب «مفتاح الجنان» (وهو غير مفاتيح الجنان للشيخ القمي)، فسكت عنه، فإنه لا يليق أن يكلم المرء رجلاً أدت به الغفلة والجهل إلى أن يعدّ المجموعة التي جمعها بعض العوام من الناس كتاباً من الكتب، ويستند إليه مصدراً لما يقول. ثم بسط الشيخ رحمته الله (أي النوري) كلامه في هذا المقام، وقال: إنّ عدم ردع العوام عن نظائر هذه الأمور الغير الهامة (غير الهامة) والبدع الصغيرة، كغسل أويس القرني، وآش أبي الدرداء، وهو التابع المخلص لمعاوية، وصوم الصّمت، بأن يتمالك المرء عن التكلّم بشيء في اليوم كلّه، وغير ذلك من البدع التي لم يردع عنه (عنها) رادع ولم ينكره منكر، قد أورثت الجراحة والتّطاول، ففي كلّ شهر من الشهور وفي كلّ سنة من السنين يظهر للناس نبيّ، أو إمام جديد، فترى الناس يخرجون من دين الله أفواجاً، انتهى. (أي كلام الشيخ النوري).

وأقول أنا الفقير (أي الشيخ القمي): لاحظ هذا القول وأنعم النظر فيه، إنّه القول الصادر عن عالم جليل واقف على ذوق الشريعة المقدّسة واتجاهاتها، في سننها وأحكامها، وهو يبدي بوضوح مبلغ اهتمام هذا العالم الجليل بالأمر ويكشف عمّا يكظمه في الفؤاد من الكآبة والهمّ، فهو يعرف مساوئه وتبعاته، على التقيض من المحرومين من علوم أهل البيت عليهم السلام المقتصرين على العلم بضغث من المصطلحات والألفاظ، فهم لا يعباون بذلك ولا يبالون، بل تراهم بالعكس يصحّحونه ويصوّبونه ويجرون

عليه في الأعمال، فيستفحل الخطب ويُعاف كتاب «مصباح المتهجد» و«الإقبال» و«مُهَج الدعوات» و«جمال الأسبوع» و«مصباح الزائر» و«البلد الأمين» و«الجنة الواقية» و«مفتاح الفلاح» و«المقباس» و«ربيع الأسابيع» و«التحفة» و«زاد المعاد»، ونظائرهما، فيتسخرها (فيخلفها) هذه المجاميع السخيفة، فيدسّ فيها في «دعاء المجير» وهو دعاء من الأدعية المأثورة المُعتبرة كلمة «بعفوك» في سبعين موضعاً، فلم ينكرها منكر، و«دعاء الجوشن الكبير» الحاوي على مائة فصل يبدع (يُبتدع) لكل فصل من فصوله أثراً من الآثار، ومع ما بلغتنا (وبالرغم ممّا بلغنا ووصلنا عن الأئمة عليهم السلام) من الدّعوات (الأدعية) المأثورة ذات المضامين السّامية والكلمات الفصيحة البليغة يصاغ دعاء سخيف غاية السّخف، فيسمّى بدعاء «الحُبّي»، فينزّل من شرفات العرش، فيفتري له من الفضل ما يدهش المرء وبيهته، من ذلك - والعياذ بالله -: إنّ جبرئيل بلغ النبي محمّداً ﷺ أنّ الله تعالى يقول: إنّي لا أعذب عبداً يجعل معه هذا الدّعاء وإن استوجب الثّار، وأنفق العمر كلّهُ في المعاصي، ولم يسجد لي فيه سجدة واحدة، إنني أمنحه أجر سبعين ألف نبيّ، وأجر سبعين ألف زاهد، وأجر سبعين ألف شهيد، وأجر سبعين ألف من المُصلّين، وأجر من كسى سبعين ألف عريان، وأجر من أشبع سبعين ألف جائع، ووهبته من الحسنات عدد حصى الصّحارى، وأعطيته أجر سبعين ألف بقعة من الأرض، وأجر خاتم النّبوة لنبيّنا ﷺ، وأجر عيسى روح الله، وإبراهيم خليل الله، وأجر إسماعيل ذبيح الله، وموسى كلّيم الله، ويعقوب نبيّ الله، وآدم صفيّ الله، وجبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والملائكة، يا محمّد: من دعا بهذا الدّعاء العظيم (دعاء الحُبّي) أو جعله معه غفرت له واستحييت أن أعذّبه... إلخ.

وجدير بالمرء أن يستبدل الضّحك على هذه المفتريات الغريبة بالبكاء على كتب الشيعة، ومؤلفاتهم، (وهي) الكتب القيّمة التي بلغت الرّتبة السّامية ضبطاً وصحّة وإتقاناً، فكانت لا يستسخنها في الغالب إلّا رجال من أهل العلم والدين فيقابلونها بنسخ نسختها أيدي أهل العلم وصحّحها العلماء، وكانوا يلتمحون في الهامش إلى

ما عساه يوجد من الاختلاف بين النسخ، ومن نماذج ذلك: إنا نرى في دعاء «مكارم الأخلاق» كلمة: «وَبَلِّغْ بِإِيمَانِي»، فيرد في الهامش: إنَّ في نسخة ابن أشناس: «وَأَبْلُغْ بِإِيمَانِي»، وفي رواية ابن شاذان «اللَّهُمَّ أَبْلُغْ إِيْمَانِي»، وقد نرى الإشارة إلى أنَّ الكلمة وجدت بخط «ابن سكون» هكذا، وبخط «الشَّهيد» هكذا، فهذه هي المرتبة الرَّفِيعَة الَّتِي نالتها كتب الشَّيْعة ضبطاً وإتقاناً، وهذا مبلغ ما بذلوه من الجهد في مداقتها وتصحيحها، والآن نجدها قد عيفت وتركت فاستخلفها، كتاب «مفتاح الجنان» الَّذِي وقفت على نزر من صفته فيكون هو الكتاب الوحيد الَّذِي تتداوله الأيدي ويرجع إليه العوام والخواص والعرب والعجم، وما ذلك إلاَّ لأنَّ أهل العلم والدين لا يبالون بالأحاديث والرِّوايات، ولا يراجعون كتب علماء أهل البيت الطَّاهرين وفقهائهم، ولا ينكرون على أشباه هذه البدع والرِّوايد، وعلى دسِّ الدَّسَّاسين والوضاعين وتحريف الجاهلين، ولا يصدِّون من لا يروونه أهلاً، ولا يردعون الحمقاء (الحمقى)، فيبلغ الأمر حيث تُلْفَق الأُدعية بما تقتضيه الأذواق، أو يصاغ زيارات ومفجعات وصلوات، ويطبَّع مجاميع عديدة من الأُدعية المدسوسة، وينتج أفراخ لكتاب «المفتاح».

وتعمُّ المشكلة فيروج الدس والتَّحريف، ونراهما يسريان من كتب الأُدعية إلى سائر الكتب والمؤلَّفات، فتجد - مثلاً - كتابي الفارسي المسمَّى «منتهى الآمال» المطبوع حديثاً قد عبث فيه الكاتب بما يلائم ذوقه وفكره، من نماذج ذلك: أنَّ الكاتب دسَّ كلمة «الحمد لله» في أربعة مواضع خلال سطرين من الكتاب، فقد كتب في حال «مالك بن يسر» اللِّعين أَنَّهُ قد شلَّت يده بدعاء الحسين عَلَيْهِ السَّلَام «الحمد لله» فكانتا في الصَّيف كخشبتين يابستين «الحمد لله»، وفي الشَّتاء يتقاطر منهما الدَّم «الحمد لله»، فكان عاقبة أمره خُسرأ «الحمد لله». ودسَّ أيضاً في بعض المواضع كلمة السَّيدة (خانم) عقيب اسم «زينب» و«أم كلثوم»، تجليلاً لهما واحتراماً، وكان الكاتب مُعادياً لـ «حميد بن قحطبة»، فحرف اسمه إلى «حميد بن قحبة»، ثم احتاط احتياطاً، فأشار في الهامش إلى أنَّ بعض النسخ «حميد بن قحطبة»، واستصوب أن يكتب الاسم «عبد

الله» عوض «عبد ربّه»، والاسم «زحر بن القيس» وهو بالحاء المهملة، التزم أن يسجله بالجيم أينما وجده، وخطأ كلمة «أم سلمة»، فسجلها «أم السّلمة» ما وسعه ذلك.

والغاية التي توخّيتها بعرض هذه التّماذج من التّحريف هي بيان أمرين:

أولاً: لاحظ هذا الكاتب، أنّه لم يجر ما أجراه من الدّس والتّحريف إلّا وهو يزعم بفكره وذوقه أنّ في الكتاب نقصاً يجب أن يزال، وليس التّقصّ والوهن إلّا ما يجريه من التّحريف، فلنقس على ذلك الزيادات التي يبعثنا الجهل على إضافتها إلى الأدعية والزيارات والتّغييرات والتّصرفات التي تقتضيها طباعنا وأذواقنا الناقصة، زعماً أنّها تزيد الأدعية والزيارات كمالاً وبهاءً، وهي تنتزع منه الكمال والبهاء، وتسلبها الاعتبار عند أهلها العارفين، فالجدير أن نحافظ على نصوصها المأثورة، فنجري عليها لا نزيد فيها شيئاً ولا نحرف منها حرفاً.

ولنلاحظ ثانياً: الكتاب الذي تكلمنا عنه أنّه كتاب لمؤلف حيّ (يقصد نفسه) يراقب كتابه ويترصد له، فيجري فيه من التّحريف والتّشويه نظائر ما ذكرت، فكيف القياس في سائر الكتب والمؤلّفات؟! وكيف يجوز الاعتماد على الكتب المطبوعة إلّا إذا كانت من المؤلّفات المشهورة للعلماء المعروفين وعرضت على علماء الفنّ فصدّقوها وأمضوها؟

وقد روي في ترجمة الثقة الجليل الفقيه المقدّم في أصحاب الأئمة عليهم السلام يونس ابن عبد الرّحمن أنّه كان قد عمل كتاباً في أعمال اليوم والليلة فعرضه أبو هاشم الجعفري على الإمام العسكري عليه السلام فتصفّحه عليه السلام كلّه، ثمّ قال: «هذا ديني ودين آبائي كلّه، وهو الحقّ كلّه»<sup>(١)</sup>، فهذا أبو هاشم الجعفري أراد الجري على كتاب يونس فلم يعتمد على سعة علم يونس وفقاوته وجلاله والتزامه بدينه حتّى عرض الكتاب على الإمام عليه السلام واستعلم رأيه فيه. وروي أيضاً عن بؤرق الشّنجاني الهروي وكان معروفاً بالصدّق والصّلاح والورع أنّه وافى الإمام العسكري عليه السلام في سامراء وعرض

(١) وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٠٠ الحديث ٧٥ من الباب ٨ من أبواب صفات القاضي.

عليه كتاب «يوم وليلة» الذي ألفه الشيخ الجليل فضل بن شاذان، وقال: جعلت فداك إن رأيت أن تنظر فيه أردت وتصفحه ورقة ورقة؟ قال عليه السلام: «هذا صحيح ينبغي أن تعمل به»<sup>(١)</sup>، إلى غير ذلك من الروايات في هذا الباب.

وإني قد قدمت على تأليف هذا الكتاب، وإني واقف على طباع الناس في هذا العصر وعدم اهتمامهم لنظائر هذه الأمور، وإنما ألفتها إتماماً للحجة عليهم، فجددت واجتهدت في أخذ الأدعية والزيارات الواردة في هذا الكتاب عن مصادرها الأصلية وعرضها على نسخ عديدة، كما بذلت أقصى الجهد في تصحيحها واستخلاصها من الأخطاء، كي يثق به العامل ويسكن إليه إن شاء الله، ولكن الشرط هو أن لا يحرفه الكاتب والمستنسخ، وأن يتخلى القارئ عما يقتضيه طبعه وذوقه من التغيير.

روى الكليني رحمته الله عن عبد الرحمن القصير قال: دخلت على الصادق صلوات الله وسلامه عليه فقلت: جعلت فداك إني اخترعت دعاءً، قال: «دعني من اختراعك»<sup>(٢)</sup>، فأعرض عليه السلام عن اختراعه ولم يسمح أن يعرض عليه، ثم أنعم عليه بتعليمه عملاً ينبغي أن يؤديه.

وروى الصدوق (عطر الله مرقده) عن عبد الله بن سنان قال: قال الصادق عليه السلام: «سيسىيكم شبهة، فتبقون بلا علم يرى، ولا إمام هدى، ولا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق»، قلت: وكيف دعاء الغريق؟ قال: تقول: «يا الله يا رَحْمَنُ يا رَحِيمُ، يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فقلت: يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فقال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُقَلِّبَ القُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ»، ولكن قُلْ كما أقول لك: «يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»<sup>(٣)</sup>، وحسب العابثين بالدعوات إضافةً وتحريفاً بما يقتضيه أذواقهم وطباعهم التأمّل في هاتين الروايتين، والله العالم.

(١) أنظر: المصدر السابق الحديث ٧٦ من الباب.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٤٧٦.

(٣) كمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق ٣٥٢.



## الملحق (٥)

### سكينة بنت أمير المؤمنين عليه السلام

في تعداده لأولاد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام ذهب بعض العلماء المعاصرين (وهو الشيخ محمد الريشهري) إلى نفي وجود بنت باسم سكينة فقال: «إنّ التتبع والاستقصاء في المصادر لكلا الفريقين حول أولاد الإمام عليه السلام دلّ على عدم وجود بنت بهذا الاسم له عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

ولكن إذا كانت المصادر التاريخية لم تأت على ذكر بنت للأمير عليه السلام باسم سكينة، فإنّ بعض المصادر الحديثية ورد فيها اسم سكينة بنت علي عليه السلام، وقد أورد الريشهري بعض هذه الأحاديث، ولكنه لم يعباؤها، وهذه الأحاديث هي:

١ - ورد في رواية في دفن سيدتنا الزهراء عليها السلام عن الإمام علي عليه السلام قال: «ناديت يا أم كلثوم، يا زينب، يا سكينة، يا فضة، يا حسن، يا حسين، هلموا تزودوا من أمكم»<sup>(٢)</sup>.

حيث ذهب البعض إلى أنّ ذكر اسم «سكينة» إلى جانب «زينب» و«أم كلثوم» وهما من بناته عليها السلام قرينة على صحّة انتساب المزار الموجود في «سورية» إلى «سكينة» بنت الإمام علي عليه السلام.

لكن يرد على هذا الاستدلال أمور:

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب من الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري ج ٢ ص ١٢٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٧٩.



أ- نصّ العلامة المجلسي على أنه لم يأخذه من مصدر معوّل عليه<sup>(١)</sup>.

ب- ذكر اسم «فضّة» مع «سكينة» وأولاد الإمام عليه السلام، فإنه يدلّ على حضور أشخاص آخرين غير أولاد الإمام عليه السلام وقتئذ أيضاً.

ت- لم تدعم المصادر التاريخية وجود بنت للزهراء عليها السلام باسم «سكينة».

٢- جاء في سند رواية حول مدح سيدتنا الزهراء عليها السلام ما لفظه: عن الحسين بن إبراهيم القمي عن علي بن محمّد العسكري عن صعصعة بن ناجية عن زيد بن موسى عن أبيه عن جدّه جعفر بن محمّد عن أبيه عن عمّه زيد بن علي عن أبيه عن سكينة وزينب ابنتي عليّ عن عليّ عليه السلام..<sup>(٢)</sup>.

والضعف الشديد في أول السند يقوّي احتمال الخطأ في الرواية بشكل كبير، مضافاً إلى أنه لم يُعهد نقل رواية عن الإمام الباقر عليه السلام عن زيد عن الإمام السجاد عليه السلام.

٣- ورد في رواية أخرى عن الإمام الحسين عليه السلام: «أدخل عليّ أختي سكينة عليها السلام خادم، فغطّت رأسها منه..»<sup>(٣)</sup>.

وسند هذه الرواية أيضاً ضعيف جداً، فبعض رجاله موصوف بأنّه مجهول مختلط<sup>(٤)</sup>، هذا ما عثر عليه الشيخ الريشهري من الروايات التي ورد فيها اسم سكينة بنت عليّ عليها السلام، وقد ذكرناها مع مناقشاته التي سجّلها عليه.

## مصادر أخرى

ولكن هناك مصادر أخرى ورد فيها اسم سكينة بنت عليّ عليها السلام لم يُشر إليها الشيخ الريشهري، وهي:

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٧٤.

(٢) دلائل الإمامة ص ١٤٦، بحار الأنوار ج ٨١ ص ١١٢.

(٣) الأمالي للطوسي: ص ٣٦٦، بحار الأنوار ج ١٠١ ص ٤٥.

(٤) أنظر: موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ ج ١ ص ١٣٨.

١ - إنّ «سكينة بنت علي» وقعت في سند رواية أوردها البخاري (٢٥٦هـ) في تاريخه، والسند هو التالي: «سالم أبو العلاء مولى إبراهيم الطائي، سمع أبا صالح، سمع سكينة بنت علي، عن النبي ﷺ، «مرسل» سمع منه عبد الصمد»<sup>(١)</sup>. ولكن هذا السند لا يمكن التعويل عليه، لضعفه.

٢ - إنّ ابن قتيبة في المعارف نسب إليها «الطرّة السكينية» فقال: «الطرّة السكينية، هي تنسب إلى سكينة بنت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما»<sup>(٢)</sup>. ولكن هذا الشاهد محلّ إشكال من جهتين:

الأولى: إنّ الطرّة السكينية منسوبة إلى سكينة بنت الحسين ﷺ على ما جاء في بعض المصادر<sup>(٣)</sup>.

الثانية: إنّ الطرّة هي تسريحة شعر خاصة<sup>(٤)</sup>، ولا يُظنُّ ببنت علي ﷺ ولا الحسين ﷺ أن تقوم بعمل من هذا القبيل يوجب شهرتها بين عامة الناس، ولا يستبعد أن يكون ذلك موضوعاً بقصد النيل منها.

وفي المحصلة يمكننا القول: إنّ وجود بنتٍ لأمير المؤمنين ﷺ اسمها «سكينة» هو أمر مظنون ولا يمكن نفيه، خلافاً للريشهري، فإنّه نفى ذلك كما تقدّم، إلاّ أنّ الروايات أو الشواهد المتقدمة على ضعفها فإنّها غير مقطوعة الكذب، فالاحتمال قائم.

أجل يبقى هناك سؤال مشروع وهو أنّه على فرض وجود سكينة بنت علي ﷺ كما رجّحنا، فهل صحيح أنّها مدفونة في «دارياً» بالقرب من «دمشق»،

(١) التاريخ الكبير ج ٤ ص ١١١.

(٢) المعارف ص ٦٢٠.

(٣) أنظر: الأعلام للزركلي ج ٣ ص ١٠٦..

(٤) جاء في المعجم الوسيط ج ٢ ص ٥٦٠: الطرّة اسم الشيء المقطوع... وما تطره المرأة من الشعر الموفي على جهتها وتصفّفه، وهي القصة.

وما هي ظروف ذلك؟ وهذا أمرٌ لا أرغب في التطرّق إليه حالياً، عسى أن نوفّق للحديث عنه في مناسبة أخرى وظروف مختلفة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الرّحالة ابن جبير ذكر في رحلته أنّ في «دمشق» قبراً لسكينة بنت الحسين عليه السلام، ثم أضاف: «أو لعلّها سكينة أخرى من أهل البيت عليهم السلام»<sup>(١)</sup>. وهذا كما نلاحظ لا ينطبق على القبر الموجود في داريّا، لأنّه ينصّ على أنّ ذلك القبر هو في «دمشق» في الجبانة التي بغربي البلد، وقد نصّ أيضاً على أنّ البلد يبعد عن «داريّا» مقدار أربعة أميال.

وصحّح قبر سكينة بنت الحسين المذكور في كلام ابن جبير غير معلومة، لأنّ سكينة بنت الحسين عاشت في المدينة، ولم يذكر أحدٌ أنّها توفيت في دمشق، بل قيل: إنّها مدفونة في المدينة المنورة<sup>(٢)</sup>.



(١) أنظر رحلة ابن جبير ص ٢٤١.

(٢) الأعلام للزركلي ج ٣ ص ١٠٦.



## فهرس المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت: ٦٩٣هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، مكتبة بني هاشم، تبريز - إيران، ١٣٨١هـ.
- ٣ - الأصفهاني، عبد الله الأفندي (القرن ١٢هـ)، رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله المرعشي، قم - إيران، ١٤٠١هـ.
- ٤ - الأصفهاني، علي بن الحسين الأموي المعروف بـ «أبي الفرج الأصفهاني»، مقاتل الطالبين، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م.
- ٥ - الأمين، السيد حسن، مستدركات أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- ٦ - الأمين، السيد محسن، (١٢٨٢هـ - ١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت - لبنان، ١٩٨٦م.
- ٧ - الأمين، نفسه، رحلات السيد محسن الأمين، دار الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٢، ٢٠١١م.
- ٨ - الأميني، محمد أمين، مع الركب الحسيني في الشام ومنه إلى المدينة المنورة، من مجموعة «مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة»، دار

المرتضى، لبنان - بيروت، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.

٩ - ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد المعروف بـ «ابن الأثير»، النهاية في غريب الحديث والأثر، إسماعيليان - بالأوفست عن طبعة بيروت، قم - إيران، الطبعة العاشرة، ١٣٦٤ هـ.

١٠ - ابن جبير (ت: ٦١٤ هـ)، رحلة ابن جبير، تقديم: الدكتور حسين نصار، طباعة: مطابع جريدة السفير، سلسلة الكتاب للجميع الذي تنشره جريدة السفير اللبنانية.

١١ - ابن حنبل، الإمام أحمد، مسند أحمد، دار صادر، بيروت - لبنان، لا. ط. لا. ت.

١٢ - ابن حبان، محمد بن حبان التميمي (ت: ٣٥٤ هـ)، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط ١، ١٤١١ هـ.

١٣ - ابن خلكان (ت: ٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة - لبنان، لا. ط، لا. ت.

١٤ - ابن شهر آشوب، محمد بن علي المازندراني (ت: ٥٨٨ هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، انتشارات علامة، قم - إيران.

١٥ - ابن طاووس، السيد غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر ابن طاووس العلوي (ت: ٦٤٨ هـ - ٦٩٣ هـ)، فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق: الشيخ محمد مهدي نجف، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.

١٦ - ابن طاووس، رضي الدين أبي الهاشم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت: ٦٦٤ هـ)، الملهوف على قتلى الطفوف، تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان، دار الأسوة للطباعة، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٨٣ هـ. ش.

- ١٧ - ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد المالكي (ت: ٨٥٥ هـ)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: السيد جعفر الحسيني، الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ هـ.
- ١٨ - ابن عبد البر، (ت: ٤٦٣ هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- ١٩ - ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥ م.
- ٢٠ - ابن محاسن، يحيى بن أبي الصفا بن أحمد المعروف بـ «ابن محاسن» (ت: ١٠٥٣ هـ)، المنازل المحاسبية في الرحلة الطرابلسية، تحقيق: محمد عدنان البخيت، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- ٢١ - آل عرفات، الشيخ إبراهيم بن مهدي (ت: بعد ١٢٣٧ هـ)، الكشكول، تحقيق: عبد الغني عرفات، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- ٢٢ - بحر العلوم، السيد جعفر آل بحر العلوم (١٢٨١ - ١٢٩٨ هـ)، تحفة العالم في شرح خطبة المعالم، مكتبة الصادق - طهران، الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ.
- ٢٣ - البحراني، الشيخ عبد الله، عوالم العلوم والمعارف والأحوال، الإمام الحسين عليه السلام، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام بالحوزة العلمية - قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ. ق.
- ٢٤ - البحراني، يوسف بن أحمد الدرازي (ت: ١١٨٦ هـ)، الكشكول، مكتبة نينوى، طهران، لا. ط، لا. ت.
- ٢٥ - البعلبكي، ميخائيل موسى ألوف، تاريخ بعلبك، طبع بيروت المطبعة الأدبية، ١٨٨٩ م.

- ٢٦ - البهسودي، السيد محمد سرور الواعظ الحسيني، مصباح الأصول، تقريراً لبحوث السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي في علم الأصول، مكتبة الداوري، قم - إيران، الطبعة الخامسة، ١٤١٧ هـ.
- ٢٧ - ترحيني، السيد محمد حسن، النهضة الحسينية، دار الهادي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
- ٢٨ - التستري، الشيخ محمد تقي، قاموس الرجال، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩ هـ.
- ٢٩ - التستري، نفسه، تواريخ النبي والآل، تحقيق: محمود الشريف، دار الشرافة، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- ٣٠ - التنكابني، الميرزا محمد بن سليمان، قصص العلماء، ترجمة: الشيخ مالك وهبي، دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.
- ٣١ - الثقفني، إبراهيم بن محمد (ت: ٢٨٣ هـ)، الغارات، تحقيق: جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، إيران.
- ٣٢ - الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (١٢٣٧ هـ)، عجائب الآثار، دار الجيل، بيروت - لبنان.
- ٣٣ - حرز الدين، الشيخ محمد، مرآة المعارف، منشورات: سعيد بن جبير، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.
- ٣٤ - الحلبي، حسن بن يوسف ابن المطهر المعروف بـ «العلامة الحلبي» (٦٤٨ - ٧٢٦ هـ)، خلاصة الأقوال في علم الرجال، دار الذخائر، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ.
- ٣٥ - الحلبي، ابن داوود، رجال ابن داوود الحلبي، الناشر، دانشگاه طهران، الطبعة الثانية، ١٣٨٣ هـ.ش.
- ٣٦ - الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي

- البغدادي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان،  
١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- ٣٧- الخشن، الشيخ حسين أحمد، عاشوراء قراءة في المفاهيم وأساليب  
الإحياء، دار الملاك، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- ٣٨- الخشن، نفسه، مشغرة في التاريخ: الحركة العلمية والسياسية خلال عشرة  
قرون، دار قماطي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- ٣٩- الخشن، نفسه، الحر العاملي موسوعة الحديث والفقہ والأدب، دار  
الملاك، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/١٩٧٩م.
- ٤٠- الخشن، نفسه، أصول الاجتهاد الكلامي، مخطوط.
- ٤١- الخميني، السيد الخميني، أنوار الهداية، تحقيق ونشر: مؤسسة تنظيم  
ونشر آثار الإمام الخميني، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٤٢- الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث، الطبعة  
الخامسة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ٤٣- الخوانساري، العلامة الميرزا محمد باقر الموسوي، روضات الجنات  
في أحوال العلماء والسادات، مكتبة إسماعيليان، طهران، ١٣٩٠هـ.
- ٤٤- الدربندي، الشيخ آغا بن عابد الشيرواني الحائري المعروف بـ «الفاضل  
الدربندي» (١٢٨٥هـ)، إكسير العبادات في أسرار الشهادات، تحقيق:  
محمد جمعة آبادي - الأستاذ عباس ملا عطية الجمري، الناشر: ذوي  
القربى، قم - إيران، ١٤٣١هـ.ق.
- ٤٥- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء،  
تحقيق: حسن الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٨٩م.
- ٤٦- الذهبي، نفسه، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار  
الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.



- ٤٧ - الذهبي، نفسه، ميزان الاعتدال، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٦٣ م.
- ٤٨ - الراضي، الشيخ حسين، مقال بعنوان «حديث الكساء بين التواتر والوضع»، منشور على موقعه الإلكتروني:
- <http://www.alradhy.com/?act=artc&id=474>
- ٤٩ - الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي - قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- ٥٠ - الرديسي، حمادي - وأسماء نويرة، الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر: نصوص الغرب الإسلامي نموذجاً، دار الطليعة، بيروت.
- ٥١ - الريشهري، الشيخ محمد، موسوعة علي بن أبي طالب من الكتاب والسنة والتاريخ، دار الحديث للطباعة والنشر، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ.
- ٥٢ - الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠ م.
- ٥٣ - السابق، الشيخ محمد حسين، مرقد العقيلة زينب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٩ م.
- ٥٤ - السبكي، الشيخ تقي الدين (٦٨٣ - ٧٥٦ هـ)، شفاء السقام في زيارة خير الأنام، تحقيق: السيد محمد رضا الجلال، الطبعة الرابعة، ١٤١٩ هـ.
- ٥٥ - السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (٩١١ هـ)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٥٦ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١ هـ)، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ١٩٩٦ م.

- ٥٧ - السيوطي، نفسه، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، انتشارات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٣٧٠هـ.ش.
- ٥٨ - الشاكري، الحاج حسين، مجموعة المصطفى والعترة، نشر الهادي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٥٩ - الشهرودي، الشيخ علي النمازي (١٤٠٥هـ)، مستدرك سفينة البحار، تحقيق: الشيخ حسن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٦٠ - الشيباني، علي بن أبي كرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بـ «ابن الأثير» (ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٦٥م.
- ٦١ - الشيباني، نفسه، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٦٢ - الصدر، السيد محمد محمد صادق، مسائل وردود، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر الثاني، النجف الأشرف، دار ومكتبة البصائر - بيروت، ط ١، ١٤٣١هـ.
- ٦٣ - الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، التوحيد، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، ١٣٨٧هـ.ش.
- ٦٤ - الصدوق، نفسه، الأمالي: تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، الناشر: مركز الطباعة والنشر، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٦٥ - الصدوق، نفسه، عيون أخبار الرضا، تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ٦٦ - الصدوق، نفسه، ثواب الأعمال، تحقيق وتقديم: السيد محمد مهدي حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم - إيران، الطبعة الثانية،

١٣٦٨هـ، ش.

- ٦٧ - الصدوق، نفسه، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.
- ٦٨ - الطبرسي، المحدث الشيخ حسين النوري (ت: ١٣٢٠هـ)، كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار، مكتبة نينوى الحديثة، طهران، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
- ٦٩ - الطبرسي، نفسه، خاتمة المستدرک، مؤسسة أهل البيت عليه السلام، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٧٠ - الطبرسي، نفسه، اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر، تعريب: الشيخ إبراهيم البدوي، دار البلاغة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- ٧١ - الطبرسي، نفسه، جنة المأوى، (مدرج في ج ٣٥ من كتاب بحار الأنوار الآتي بيانه).
- ٧٢ - الطبري، الشيخ أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم، من أعلام القرن الخامس الهجري، دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٧٣ - الطبرسي، الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن (٤٦٨ - ٥٤٨هـ)، إلام الوري بأعلام الهدى، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٧٤ - الطبري، عماد الدين (القرن ٧هـ)، كامل البهائي في السقيفة، قم - إيران، الطبعة الأولى، ٤٢٦هـ.
- ٧٥ - الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك المعروف بـ «تاريخ الطبري»، تحقيق: نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- ٧٦- الطبسي، الشيخ محمّد جعفر، وقائع الطريق من كربلاء إلى الشام، من مجموعة «مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة»، دار المرتضى، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.
- ٧٧- الطباطبائي، محمّد مهدي المعروف بـ«بحر العلوم» (١١٥٥-١٢١٢ هـ)، الفوائد الرجالية المعروف بـ«رجال السيد بحر العلوم»، مكتبة الصادق، طهران- إيران، ١٣٦٣ هـ.
- ٧٨- الطريحي، الشيخ فخر الدين (١٠٨٥ هـ)، مجمع البحرين، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ناشر: مرتضوي- تهران.
- ٧٩- الطهراني، آغا بزرك، الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة، دار المرتضى للنشر، مشهد- إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.
- ٨٠- الطهراني، نفسه، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ.
- ٨١- الطوسي، محمّد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، اختيار معرفة الرجال، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم- إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.
- ٨٢- الطوسي، نفسه، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم- إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- ٨٣- الطوسي، نفسه، رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم- إيران، ط ٥، ١٤٣٠ هـ.
- ٨٤- العاملي، محمّد بن الحسن الحر (ت: ١١٠٤ هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحرير مسائل الشريعة المعروف اختصاراً بـ«وسائل الشيعة»، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

- ٨٥ - العاملي، نفسه، أمل الأمل في علماء جبل عامل، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الأولى.
- ٨٦ - العاملي، محمّد بن مكي الجزيني المعروف بـ «الشهيد الأول» (٧٨٦هـ)، الدروس الشرعية في فقه الإمامية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٨٧ - العاملي، عليّ بن محمّد بن الحسن بن زين الدين الشهيد (١٠١٤هـ) - الدر المثنور من المأثور وغير المأثور، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.
- ٨٨ - العبيدلي، يحيى ابن الحسن (٢١٤ - ٢٧٧هـ)، أخبار الزينبيات، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم إيران.
- ٨٩ - العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢هـ)، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧١م.
- ٩٠ - العسقلاني، نفسه، الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة ١، ١٤١٥هـ.
- ٩١ - العسقلاني، نفسه، تقريب التهذيب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة ٢، ١٩٩٥م.
- ٩٢ - العياشي، محمّد بن مسعود السمرقندي (ت: ٣٢٠هـ)، تفسير العياشي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
- ٩٣ - فضل الله، السيد محمّد حسين (ت: ٢٠١٠م)، للإنسان والحياة، تنسيق: السيد شفيق الموسوي، دار الملاك، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.
- ٩٤ - فضل الله، نفسه، المسائل الفقهية، دار الملاك، الطبعة السادسة، بيروت -

لبنان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٩٥ - القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت: ٦٧١هـ)، تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٩٦ - القزويني، السيد مهدي (ت: ١٣٠٠هـ)، المزار «مدخل لتعيين قبور الأنبياء والشهداء وأولاد الأئمة والعلماء»، تحقيق: الدكتور جودت القزويني، دار الرافدين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٩٧ - القمي، الشيخ عباس (ت: ١٣٥٩هـ)، نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم، دار المحجة البيضاء، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٩٨ - القمي، نفسه، هدية الأحاب، أمير كبير - طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٣هـ.ش.

٩٩ - القمي، نفسه، الكنى والألقاب، مكتبة الصدر، طهران، الطبعة الخامسة، ١٤٥٩هـ.

١٠٠ - القمي، نفسه، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، تعريب: السيد هاشم الميلاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٠١ - القمي، نفسه، مفاتيح الجنان.

١٠٢ - القندوزي، الشيخ سليمان ابن إبراهيم الحنفي (ت: ١٢٩٤هـ)، ينباع المودة لذوي القربى، تحقيق: السيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٠٣ - كاشف الغطاء، الشيخ هادي، الأجوبة النجفية في الرد على الفتاوى الوهابية، تحقيق: الشيخ أسعد كاشف الغطاء، دار الغدير، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

- ١٠٤ - الكاظمي، السيد حسن الصدر (١٢٧٢ - ١٣٥٤هـ)، نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- ١٠٥ - الكليني، محمّد بن يعقوب (ت: ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، إيران، ١٣٨٨هـ.
- ١٠٦ - الكليني، نفسه، الأصول من الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الأضواء - بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ١٠٧ - المامقاني، الشيخ عبد الله، مرآة الكمال لمن رام مصالح الأعمال، تحقيق: الشيخ محي الدين المامقاني، نشر: الشيخ محمّد رضا المامقاني، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- ١٠٨ - مجمع اللغة العربية (عدة من الباحثين)، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، لا، ن؛ لا، ط.
- ١٠٩ - المجلسي، محمّد باقر (ت: ١١١١هـ)، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
- ١١٠ - المزني، يوسف (٦٥٤ هـ - ٧٤٢ هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مكتبة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة ٢، ١٩٩٢م.
- ١١١ - المرعشي، السيد شهاب الدين، شرح إحقاق الحق، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم - إيران، ١٤١٨هـ.
- ١١٢ - المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- ١١٣ - المهاجر، الشيخ جعفر، موكب الأحزان، نشر: جمعية المعارف الإسلامية

الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

١١٤ - المهاجر، نفسه، الشيخ جعفر، مالك الأشر: سيرته ومقامه في بَعْلَبَكَّ،

دار المؤرخ العربي ومؤسسة تراث الشيعة، الطبعة الأولى.

١١٥ - مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب

الأخرى المعاصرة، الناشر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، السعودية

- الرياض، وهي منشورة على المواقع الإلكترونية أيضاً.

١١٦ - الموسوي، محمد بن الحسين بن موسى المعروف بالشريف

الرضي (ت: ٤٠٦ هـ)، نهج البلاغة، دار الذخائر، قم - إيران، الطبعة ١،

١٤١٢هـ.

١١٧ - النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل (١١٤٣هـ)، حلة الإبريز في رحلة

بَعْلَبَكَّ والبقاع العزيز، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (كتب المحقق

مقدمته في سنة ١٩٧٩م).

١١٨ - النجفي، الشيخ محمّد حسن (١٢٦٦هـ)، جواهر الكلام في شرائع

الإسلام، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة السادسة،

١٣٩٨هـ.

١١٩ - نصر الله، الدكتور حسن عباس، تاريخ بَعْلَبَكَّ، مؤسسة الوفاء، بيروت -

لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٢٠ - اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت: ٢٨٤ هـ)، دار صادر، بيروت -

لبنان.

١٢١ - روزنامه جمهوری إسلامي (صحيفة الجمهورية الإسلامية)، تاريخ:

١٣٨٧/٣/٦هـ.ش.

١٢٢ - روزنامه جمهوری إسلامي (صحيفة الجمهورية الإسلامية)، بنج شنبه:

١٣٨٧/١٠/٢٦هـ.ش.



١٢٣ - نشرية سردار جنكل (مجلة رئيس الغاية)، العدد ١٥٦، تاريخ: دوشنبه  
١٣٨٧/١٠/٢٣ هـ.ش.

١٢٤ - مجلة «المشرق»، التابعة للرهينة اليسوعية في عام ١٩٠٠م، العدد الأول،  
السنة الثالثة.





## فهرس الكتاب

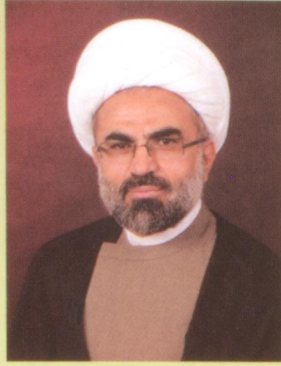
المقدمة.....	٥
لماذا هذا البحث؟.....	٥
الفصل الأول: بناء المقامات: المشروعية والأهداف والضوابط.....	١١
بناء المقامات: المشروعية والأهداف.....	١٣
المقامات مصدر للتعبئة الروحية والثقافية.....	١٧
أهمية البحث ومحلّه وأدواته.....	١٩
ضرورة التنقيب والبحث.....	٢٠
تضافر الجهود.....	٢١
بعيداً عن العقل الجمعي.....	٢٢
محلّ البحث.....	٢٣
ظاهرة تزايد المقامات: ظروفها وأسبابها.....	٢٥
أسباب الظاهرة.....	٢٨
أولاً: الجهل والاشتباه.....	٢٩
ثانياً: تنافس البلدان والمذاهب.....	٣١
ثالثاً: البناء التذكري.....	٣٢
رابعاً: المصالح المادية.....	٣٣

- كيف نشبت صدقية المراقدة؟ ..... ٣٧
- المصادر المعتبرة ..... ٣٧
- أولاً: الشهرة والسيرة ..... ٣٧
- ثانياً: الشهادات الموثوقة ..... ٣٨
- ثالثاً: الاستناد إلى علماء الآثار والطب ..... ٣٩
- «المصادر غير المعتبرة» ..... ٤٠
- أولاً: المنامات ..... ٤١
- ثانياً: حصول الكرامات ..... ٤٢
- ثالثاً: الكشف والشهود ..... ٤٥
- رابعاً: بناء المقامات وحسن الظن بالمسلمين ..... ٤٦
- بناء المقام شروط وضوابط ..... ٤٩
- أولاً: العرش ثم النقش ..... ٤٩
- ثانياً: المقام بالمقيم ..... ٥٠
- ثالثاً: شرف المكان بالمكين ..... ٥٢
- هل يكفي كونه من أبناء الأئمة عليهم السلام؟ ..... ٥٢
- مقامات الأجنة ..... ٥٣
- بناء مقام في موضع قدم النبي ﷺ أو الإمام عليه السلام ..... ٥٤
- هل يكفي الاحتمال؟ ..... ٥٦
- المحاذير الشرعية لبناء المقامات دون أساس صحيح ..... ٥٩
- أولاً: التضليل والكذب ..... ٥٩
- وضع الأحاديث ..... ٦١
- ثانياً: ترويج الباطل وتسخيف المذهب ..... ٦٢
- ثالثاً: محذور الابتداع في الدين ..... ٦٤

- رابعاً: هدر الأموال ..... ٦٥
- خامساً: بطلان الذورات ..... ٦٨
- مبررات دفاعية ..... ٦٩
- أولاً: نُبيل الهدف لا يدلّ على المشروعية ..... ٦٩
- ثانياً: الأضرحة الرمزية ..... ٧١
- ثالثاً: محاذرة الهتك والتشكيك ..... ٧٣
- الفصل الثاني: مقامات لم يثبت اعتبارها ..... ٧٩
- مقام السيدة خولة في «بَعْلَبَكَّ» ..... ٨٣
- المشاعر والحقائق ..... ٨٤
- مراحل البحث ..... ٨٥
- ١- هل للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بنت باسم خولة؟ ..... ٨٥
- عدد بنات الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ..... ٨٧
- ٢- هل مرّ موكب السبايا في «بَعْلَبَكَّ»؟ ..... ٨٩
- أولاً: رواية العلامة المجلسي ..... ٩١
- ثانياً: رواية القندوزي ..... ٩٢
- ثالثاً: رواية عماد الدين الطبري ..... ٩٣
- محاكمة النص ..... ٩٦
- رابعاً: مقتل أبي مخنف ..... ٩٩
- خامساً: كلام منسوب إلى ابن شهر آشوب ..... ١٠١
- سادساً: مشهد رأس الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ..... ١٠٢
- ٣- هل توفي أحد أفراد الموكب في «بَعْلَبَكَّ»؟ ..... ١٠٤
- ٤- ماذا عن المقام؟ ..... ١٠٥

- الإشارة الأولى للمقام ..... ١٠٦
- عمر المقام ..... ١٠٧
- الحجر المنقوش ..... ١١٣
- المنام والمقام ..... ١١٦
- مقام أبي لؤلؤة ..... ١١٩
- مقام الخواجة ربيع بن خُثَيْم (خيشم) ..... ١٢٣
- قبر مالك الأشتر في بَعْلَبَكَّ ..... ١٢٧
- ملاحق الكتاب ..... ١٣٩
- الملحق رقم ١
- دراسة في أبناء الأئمة الحقيقيين في إيران ..... ١٤١
- الملحق رقم ٢
- مقامات غير الموثقين من أبناء الأئمة عليهم السلام ..... ١٥٧
- الملحق رقم ٣
- مشاهدات عالم حجازي في «بَعْلَبَكَّ» و«جبل عامل» ..... ١٦٥
- الملحق رقم (٤)
- الشيخ عباس القمي والدسّ في كتب الزيارات ..... ١٧٣
- الملحق (٥)
- سكينة بنت أمير المؤمنين عليه السلام ..... ١٧٩
- فهرس المصادر والمراجع ..... ١٨٣





## نبذة عن المؤلف

الشيخ حسين أحمد الخشن

- \* مواليد سحمر - البقاع الغربي - لبنان 1966/11/15.
- \* التحق بالحوزة العلمية في لبنان منذ 1983 إلى 1987.
- \* التحق بالحوزة العلمية في قم منذ عام 1987 إلى 2000م.
- \* مدير دائرة الحوزات في مكتب المرجع الراحل السيد محمد حسين فضل الله.
- \* أستاذ الدراسات العليا في ماديّ الفقه والأصول في المعهد الشرعي الإسلامي في بيروت.

### \* صدر له العديد من المؤلفات ، منها :

- 1 - الإسلام والعنف.. قراءة في ظاهرة التكفير. (طبعة ثانية).
- 2 - الإسلام والبيئة.. خطوات نحو فقه بيئي. (طبعة ثانية).
- 3 - في فقه السلامة الصحية.. التدخين نموذجاً. (طبعة ثانية).
- 4 - فقه القضاء 1 و2 تقريراً لدروس المرجع الراحل السيد فضل الله.
- 5 - الشريعة تواكب الحياة.
- 6 - من حقوق الإنسان في الإسلام. (طبعة ثانية).
- 7 - حقوق الطفل في الإسلام.
- 8 - عاشوراء.. قراءة في المفاهيم وأساليب الإحياء.
- 9 - الحر العاملي.. موسوعة الحديث والفقه والأدب.
- 10 - حكم دخول غير المسلمين إلى المساجد. (دراسة فقهية).
- 11 - مشغرة في التاريخ.
- 12 - علامات الظهور.
- 13 - هل الجنة للمسلمين وحدهم؟
- 14 - تنزيهاً لرسول الله(ص)
- 15 - أصول الاجتهاد الكلامي(تحت الطبع).
- 16 - له عشرات المقالات والأبحاث والمحاضرات والندوات واللقاءات في شتى العلوم المعارف الإسلامية والاجتماعية والثقافية.
- 17 - شارك في العديد من المؤتمرات في لبنان و كندا و مصر و البحرين و الكويت و السعودية.
- 18 - عضو هيئة أمناء مؤسسات المرجع الراحل السيد فضل الله.

### المواقع الإلكترونية

[www.al-khechin.com](http://www.al-khechin.com)

[www.facebook.com/sh.khechin](https://www.facebook.com/sh.khechin)